محمد عبد القادر بافقيه

تاريخ اليمن القديم



المؤسسة العربية للدراسات والنشر

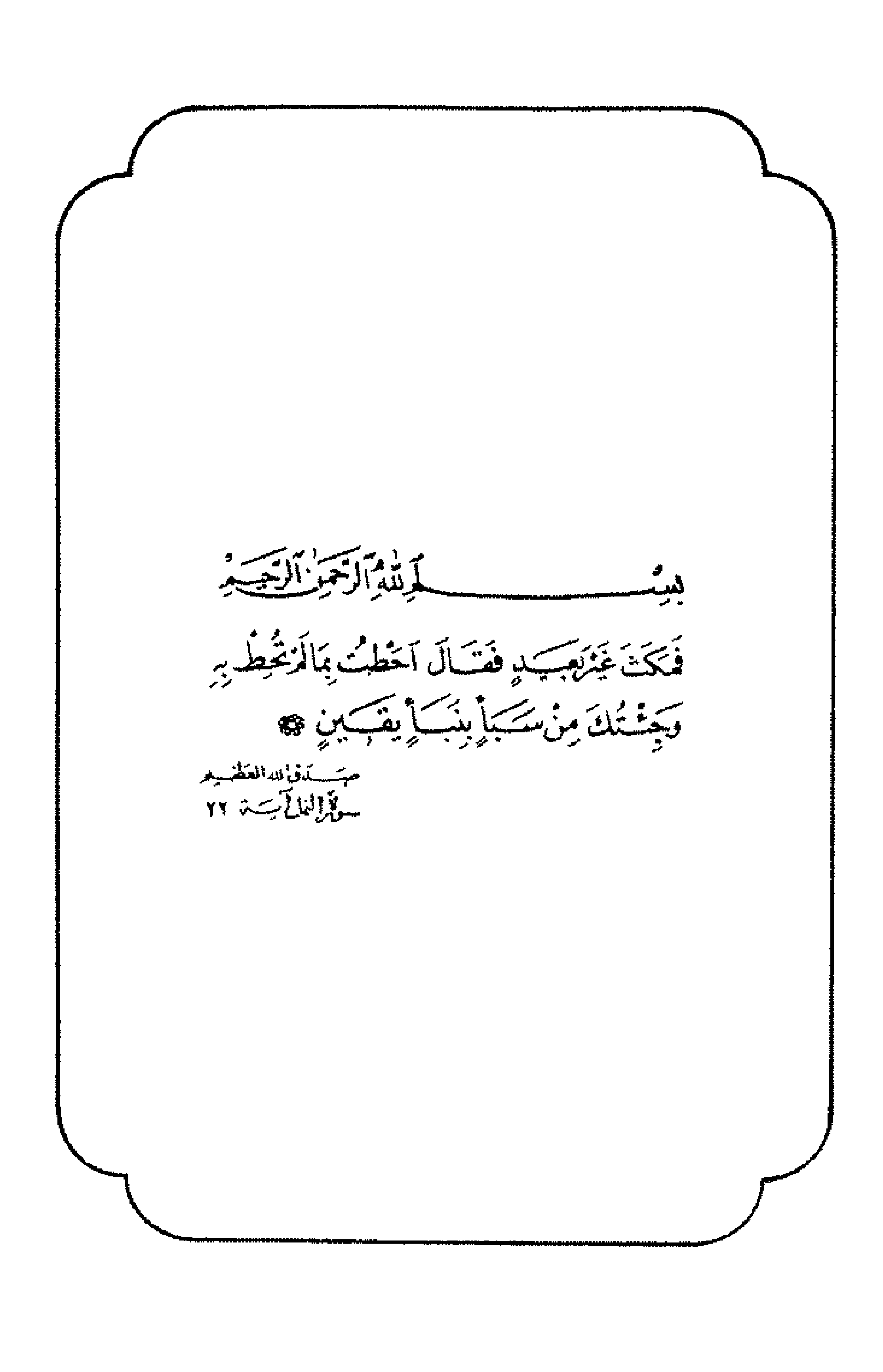
تاريخ اليمن القديم

بد القادر بافقيه



ملتزم الطبع والنشر والتوزيع
المؤسسة العربية للدراسات والنشر فقط
نيسان ١٩٨٥

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
شارع سوريا بناية صمدي وصالحة
ص.ب ٥٤٦٠-١١ هاتف ٢٥٦١١٠
بيروت - لبنان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ
وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝

صدق الله العظيم
سورة النمل آية ٢٢

المحتويات

بعد اذنك !

حكاياتك الصغيرة ،
وانا صغير ،
جعلتني
ادمن الاهتمام
بهموم البشر
البسطاء مثلك .
وجاء وقت ،
وادركت
ان تلك الهموم
هي التي حركت ،
باستمرار ،
عجلة التاريخ
على درب الحياة
المتعرج الطويل .
فهل تـــأذنين لي ،
يا أماه ،
ان اقص عليك
بعض ما قرأت
عن هموم
من سبقونا
على الدرب ؟!

محمد

القاهرة : الجمعة ١٨ صفر ١٣٩٢ هـ

تقديم

في رموز النقوش المستخدمة في الكتاب

معظم النقوش (المساند) التي استشهد بها في هذا الكتاب أو التي حاولنا شرحها حينما كان ذلك ضروريا هي من بين النقوش التي نشرت محققة ومشروحة ومعلقاً عليها في إحدى المجموعتين المعروفتين :

Corpus Inscriptionum Semiticaruniv. Inscriptions Sabaeas et Hemiariticas, Continens, Vols I-III, 1889-1927 .

و

Répertoire d'Epigraphie Semitique, Vols V-V III. 1938-68.

وقد جرت العادة على ان يشار إلى نقوش هاتين المجموعتين،عند الاستشهاد بها ، برموز تتكون من عدد من الحروف اللاتينية الدالة على اسم المجموعة متبوعة بالرقم الدال على ترتيب النقش فيها . فنجد فيها مثلاً CIH 621 رمزاً لنقش حصن الغراب في المجموعة الأولى ، بينا نجد RES 3945 رمزاً لنقش النصر في المجموعة الثانية .

ولكننا ، ولاسباب عملية بحتة ، لم نستطع استخدام هذه الرموز في هذا الكتاب ذلك لأننا حرصنا على ان يخلو صلبه من اية حروف غير الحرف العربي تيسيراً على الطابع وتحسباً عن الأخطاء المطبعية ، وكان علينا ان نستحدث رموزاً خاصة على منوال الرموز السابقة مع استخدام الحرف العربي في مقابل الحروف اللاتينية .

وهكذا فان القاريء سيجد (م ٦٢١) في مقابل CIH 621 حيث يحل الحرف (م) محل الحروف CIH . كما سيجد (ف ٣٩٤٥) في مقابل RES 3945 حيث يحل الحرف (ف) محل الحروف RES .

اما في حالة الاستشهاد بنقوش من مجموعات الافراد فلم تفعل اكثر من كتابة اسم صاحب المجموعة كاملا بالحروف العربية في مثل (جام ٦٣١)مقابل (Ja 631) .

تمهيد :
في الدراسات اليمنية القديمة

في هذا الاقليم الجنوبي من بلاد العرب : (اليمن) [1] قامت حضارة يعود أقدم ما بلغنا من اخبارها إلى القرن العاشر أو الحادي عشر قبل الميلاد . حضارة جذبت إليها انظار العالم القديم ، واثرت فيه وتأثرت به ، وبلغت من ذيوع الصيت ما جعل الكتّاب الكلاسيكيين من أمثال سترابو وبليني وبطليموس يتحدثون عنها بكثير من الاعجاب والانبهار .

ففي تلك العهود عاشت على مسرح الحوادث في العربية السعيدة ممالك في فترات متداخلة ومتعاقبة هي معين وقتبان وحضرموت وسبأ ، ومملكة لم تظهر هويتها كاملة بعد ، هي تلك التي كانت تدعى اوسان . وكانت تلك الممالك ، على الأغلب ، متعاصرة متعاونة أو متنافسة متناحرة . كل واحدة منها تستقل بنفسها تارة ، وتدين بالولاء لبعض جاراتها تارة اخرى .

ولست بزمع في هذا الكتاب أن اؤرخ لتلك الممالك : ملوكها وعظمائها ، وصلات النسب بين اسرها الحاكمة ، وفترات الصعود والهبوط لكل واحدة منها بالتفصيل . ذلك عمل يضيق به مجال هذا الكتاب من ناحية ، وهو من ناحية أخرى لم تتوفر بعد اسبابه كاملة كما سترى . وهكذا فإن غاية ما نهدف إليه من وراء هذا الكتاب هو اعطاء صورة عامة لتلك الحضارة العربية القديمة .

* * *

ان كل ما كتب ، وما سيكتب ، عن تاريخ هذه المنطقة قبل الاسلام يعتمد اساساً على استنطاق الآثار ، وفك رموز الكتابات القديمة . فهو بالدرجة الأولى تاريخ اثري ، يعتمد على الحفريات . ومثل هـــذا التاريخ يقوم على جمع القرائن المتناثرة ، وتصنيفها ، والمقارنة بينها .

فهناك الآثار ، من نقوش (مساند) ، أي كتابات قديمة أغلبها حجري ، وفخـــار وأدوات حجرية أو معدنية ذات اغراض متباينة ، وحلي ونقود ، ومواد أخرى تستعمل في الحيـــاة اليومية وخرائب معابد وقصور وحصون وغيرها ، ومدافن بما تحويه من بقايا آدمية وغير آدمية الخ ...

وهناك المـــادات والمصطلحات اللغوية المحلية الحية ، واللغـات السامية الاخرى ، وغير ذلك مما يساعد على فك رموز النقوش وترجمتها .

كما ان هناك علم الآثار المقارن والمكتشفات الاثرية في بقاع أخرى مشابهة أو غير مشابهة ، كبلاد ما بين النهرين ، ووسط شمال الجزيرة ، وسيناء ومصر ، بل وشرق افريقيا ، وبعض جزر وسواحل الأبيض المتوسط ، وربما بلاد الهند ايضاً . واخيراً هناك الكتب المقدسة ومــا جاء فيها من اشارات ، والاساطير ويدخل فيها – إلى حد بعيد – زوايات الاخبـار بين العرب ، وكتب التاريخ والجغرافية القديمة من عربية وكلاسيكية .

من هذه الاشارات والأدلة والقرائن المتناثرة يحاول عالم الآثار وعالم الكتابات القديمة ، بمساعدة آخرين في مجالات تخصصيّة ومعملية أخرى ، إعادة تركيب التاريخ القديم ، حتى تتم لهم صورة متكاملة أو شبه متكاملة . وهي عملية تشبه لعبة تركيب الصور المتقاطعة ، وتجمع بين المتعة والفائدة في آن واحد .

ولتصوير هذه العملية نقتطف مـا يلي من كتاب « مدخل إلى علم الآثار »

وفيه يقول السير ليونارد وولي، مصوراً كيف يعيد العالم تكوين احداث التاريخ قطعة قطعة كما يفعل رجال البوليس السري :

« فالرماد الذي يمتد فوق الجزء الاكبر من موقع من المواقع وتصحبه علامات حريق على الحوائط تنبىء عـــن تخريب المدينة . وإذا افترضنا ظهور أشكال جديدة من الفخار في الطبقة التي تعلو الرماد لا صلة لهـــا بما سبق من قبل فإن هذا يشير إلى تأثير أجنبي ، وإذا ربط بين هذا الدليل وبين دليل التخريب دل ذلك على غزو اجنبي ، وإذا امكن تتبع الفخار الجديـــد أصبح من الممكن التعرف على الغزاة »[٢] .

ان كثيراً من الحضارات عادت إلى الظهور بفضل جهد وجهود اولئك العلماء ساعدتهم في اعمالهم عوامل مختلفة ، لعل اهمهـــا العقائد الدينية والطقوس التي تتصل بدفن الموتى واعتقاد القدماء في نوع من الحياة بعد الموت . حتى ان السير وولي ليقول بأن الجبانة « بصفة عامة ، تمدنا بأشياء اكثر جـداً مما يستخرج من من مباني مدينة من المدن »[٣] .

وهذا ينطبق تماماً على التاريخ الذي نعالجه في هذا الكتاب ، حيث ثبت من الحفريات القليلة المحدودة التي تمت فيحريضة أوبيحان ان المقابر منالاماكنالغنية بالادلة التاريخية . بل ان أغلب مـا وصل إلينا من مملكة اوسان شبه المجهولة ، على قلته ، كان في رأي البعض من مقابر الملوك .

* * *

وإذا اردنا تتبع الدور الذي لعبه علم الآثار في المنطقة والجهود التي بذلهـا المستشرقون وغيرهم نجد ان اهتمام الغرب بالناحية الاثرية لجنوب الجزيرة العربية (اليمن) بدأ بصورة جدية حوالي منتصف القرن الثامن عشر حين أخذ بعض العلماء هناك يلفت الانظار إلى « الصلات القوية التي تربط بين هـذا الاقليم من ناحية وبين العلوم المتصلة بالكتاب المقدس من ناحية أخرى »[٤] .

فكان أن ظهرت في الميدان بعثة نيبور التي غادرت كوبنهاجن قاصدة اليمن في مطلع عام ١٧٦١ والتي حفت بها المخاطر وسقط اعضاؤها من العلماء والفنيين صرعى المرض ، ولم ينج منهم سوى نيبور الضابط الذي صمد ولم يعد إلى بلاده إلا عام ١٧٩٧ (بعد ٣٧ عاما) وبعد ان زار مناطق اليمن وانطلق إلى اجزاء أخرى من البلاد العربية .

وفتحت رحلة نيبور الباب لأوربيين عديدين، كان بعضهم من الزوار العاديين الذين يهتمون بالآثار مـــا عدا الدكتور ستزن الذي سعى في صيف ١٨١٠ إلى الحصول على النقوش التي اشار اليها نيبور ولكنه لاقى حتفه هناك ، واختفى نهائياً في تلك البلاد . وكان قــد ارسل إلى اوربا قبل اختفائه خمسة من النقوش غير الواضحة — ارسلها خفية عن طريق المخا.

وفي عام ١٨٣٤ عثر الضابط البحري الانجليزي ولستد على الحصن المعروف حالياً بحصن الغراب والواقع على الشاطىء امام بلدة بير علي شرقي بالحاف . والذي وجد به نقشين احدهمـــا يتكون من عشرة اسطر ، ويرجع تاريخه إلى عام ٦٤٠ من التقويم الحميري (حوالي ٥٢٥ ميلادية) ويعتبر اول نقش طويل وكامل يعثر عليه .

وولستد نفسه هو الذي اكتشف في العــــام التالي موقع الخرائب المعروفة بنقب الهجر ، والواقعة غربي وادي ميفعة . وميفعة هو الاسم القديم والحديث لذلك المكان .

وفي صيف ١٨٣٦ زار صنعاء كل من هلتون وجروتندن الذي وجد في صنعاء نقوشاً سبئية قصيرة .

وخلال رحلة فون فريدة في حضرموت عام ١٨٤٣ شاهد نقشاً مكوناً من

خمسة اسطر (ف ٢٦٨٧) في موقع اطلق عليه اسم اوبنه (المبنا) في الداخل إلى الشمال من قنا والساحل .

اما اول نقوش تنشر بالحروف الاصلية (المسند) فهي تلك التي جـــاء بها الصيدلي الفرنسي ارنو الذي بلغ مارب وعثر على نقوش تتحدث عـن صرواح العاصمة السبئية الأولى ، وكان ذلك عام ١٨٤٣ م ، وقد بلغ مجموع ما نسخه من نقوش ٥٦ نقشاً .

وبينما كانت رحلات العلماء والمغـامرين إلى اليمن تتوالى حدث في بلاد بابل عام ١٨٥٠ اكتشاف بطريق الصدفة ، وجد بفضله نقش جنوبي على قبر شخص دعي في النقش « هنتشر بن عيسو » .

وتزايد في نفس الوقت اهتمام الغربيين بآثار اليمن ، فصدرت في فرنسا عام ١٨٦٩ مدونة تضم تحقيق بعض النقوش المعروفة (٥) .

ومن أشهر الذين اشتغلوا بالبحث عـــن النقوش اليمنية المستشرق اليهودي عقيدة يوسف هاليفي الذي جاء إلى اليمن عام ١٨٧٠ وتزيا بزي اليهود المحليين، وتمكن من جمع ونسخ عديد من النقوش القديمة بلغت ما لا يقل عن ٦٨٦ نقشاً .

وفي ما بين ١٨٧٠ و ١٨٧١ قام ملتزن بدراسة اللهجة المهرية .

ثم يجيء عام ١٨٨٠ الذي تحرك خلاله ادوارد جلاسر المستشرق النمساوي واستاذ اللغة العربية بفيينا، قاصداً تونس ومصر ليعد نفسه من هنـــاك لرحلة اليمن .

وقام بين عامي ١٨٨٢ و ١٨٨٤ بثلاث رحلات في شمال اليمن أعقبها برحلة أخرى عـام ١٨٨٥ من الجنوب في عدن إلى صنعاء ماراً بظفار العاصمة الحميرية القديمة .

كما قام فيما بين ١٨٨٧ و ١٨٨٨ برحلة إلى مارب عاصمة سبأ . وكانت آخر رحلاته تلك التي تمت عـام ١٨٩٢ بمساعدة أكاديمية براغ . وقد جمع من كل تلك الرحلات نسخاً كثيرة جداً من النقوش اليمنية القديمة ، من بينها نقش صرواح المعظم والذي عرف فيما بعد بنقش النصر . وكان جلاسر يعكف ، كلما عاد إلى اوربا بين رحلاته ، على دراسة النقوش .

ولا بد ان نشير إلى عالم آخر فقد حياته وهو يقوم بالبحث عن آثار اليمن ذلك هو سيجفرد لانجر الذي قام برحلته منكودة الطالع عام ١٨٨٢ م .

وأرسلت الكاديمية فيينا في عام ١٨٩٨ بعثة برئاسة الاستاذ مولر استهدفت الوصول إلى شبوه دون جـدوى فتوجهت عـام ١٨٩٩ إلى سقطره لدراسة اللهجات الحديثة هناك .

ومن اواخر الرحلات في نهاية القرن المـاضي رحلة الزوجين تيودور ومابل سرت تمكن الرحالة الالماني برخردت من
تصوير آثار كثيرة في اليمن فيما بين عامي ١٩٠٦ و ١٩٠٧ م .

ثم توقفت الرحلات العلمية إلى اليمن في الفترة مـا بين الحربين العالميتين أو كادت ، فلم تكن هناك إلا :

١ — محاولة كل من راتينس وفون فيسمن إجراء حفريات عـام ١٩٣٢ في منطقة صغيرة من اليمن تحت رعاية ولي العهد .

٢ — بعثة جـامعة فؤاد الأول (القاهرة) إلى المنطقة والتي كانـت من بين اعضائها العالمـان العربيان الدكتور سليمان حزين والدكتور خليل يحي نامي (١٩٣٦) .

٣ — رحلة نزيه مؤيد العظم إلى اليمن الشمالي عام ١٩٣٦ . .

٤ ـ رحلات بعض الغربيين وكلهم من الانجليز أمثـــال فلبي وفريا ستارك والضابط السياسي البريطاني هارولد انجرامز وزوجته والدبلومـــاسي الهولاندي فان درومولن . وتمت خلال تلك الفترة حفريات منتظمة في حريضة بوادي عمد (حضرموت) قامت بها الانسة الدكتورة كانون تومسون بمساعدة اليانور جاردنر وذلك في شتاء ١٩٣٧ ــ ١٩٣٨ م .

كما قام الضابط الانجليزي هاملتون (لورد بلهافن فيما بعد) بتنقيب جزئي قرب الباب الشمالي لمدينة شبوه. ولم يكن هاملتون هذا عالماً وإنما كان هاويا وقد طلع على الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية بآراء غريبة نتيجة لحفرياته تلك .

ونجد بعد الحرب العالمية الثانية زيارات كل من محمد توفيق للجوف(١٩٤٥م) والدكتور احمد فخري لصرواح ومارب وغيرهمـــا في الأعوام ١٩٤٧ و ١٩٤٨ و ١٩٥٩ م ، ثم بعثة جامعة الدول العربية إلى اليمن عام ١٩٥٢ م .

اما في مجـــال الحفريات فقد استؤنف العمل هذه المرة ، ولأول مرة على يد الامريكان ، فكانت بعثة وندل فلبس الشاب الامريكي المغامر الذي أسس مـــا اسماه « المؤســـة الامريكية لدراسة الانسان » ، والتي حوت بين اعضائها علماء متخصصين قاموا بالتنقيب في مارب عام ١٩٥٢ . وقد ثارت ضجة حول هذه البعثة لاختلافها مع الامام آنذاك ، تركت البعثة على اثرها منطقة مارب لتعمل في بيحان حيث حفرت اجزاء من مدينة تمنع عاصمة قتبان القديمة . وانتقلت فيما بعد إلى ظفار حيث أجرت عدة حفريات في تلك المنطقة التابعة حاليـــاً لسلطنة مسقط .

ولعل آخر عمل في هذا المجال هو مـــا قامت به بعثة معهد سمثسونيان الامريكية شتاء ٦١ ــ ١٩٦٢ م ، عندمـــا أجرت مسحاً اثرياً سطحياً لوادي حضرموت بقيادة الدكتور فان بيك .

* * *

وبعد :

اننا بالرغم من هـذه الجهود التي دامت اكثر من مائة عـام ، والتي كانت متقطعة بسبب الظروف التي سادت المنطقة طيلة تلك الفترة ، نجد أن الصورة التي حصلنا عليها لا تزال مهزوزة ومرقعة .

فنحن لا نعرف إلا القليل جداً عن الحياة البشرية في هذه الاصقاع في العصور السابقة للتاريخ . وتتمثل معلوماتنا عن تلك العصور في الادوات الحجرية التي عثر عليها في اماكن متناثرة متباعدة تمتد من المكلا جنوباً إلى اطراف الربع الخالي شمالاً ومن حبروت شرقاً إلى حريضة غرباً . وبالرغم من الاستنتاجات الاولية التي خرج بها العلمـــاء عن وجود صلات أو اوجه شبه بين تلك الآثار وأخرى وجدت في الفيوم بمصر أو في شرق افريقيا [٦] ، إلا اننا ما زلنا أمام فجوة عميقة وواسعة بين تلك الحقبة من التاريخ السابقة للتاريخ ، وبين الحضارة التي قامت فيما بعد في اليمن ، والتي هي موضوع هذا الكتاب .

ولعل أقدم اشارة إلى سكان هذا الجزء الجنوبي من بلاد العرب مـا جاء فيما تركه لنا قدماء المصريين من وصف لبلاد بونت الواقعة على جـانبي البحر الاحمر حول باب المندب [٧] .

* * *

على ان استئناس الجمل (سفينة الصحراء) واستخدامه في الجزيرة العربية في وقت ما خلال الألف الثاني قبل الميلاد [٨] ، واحتكار تجـارة البخور التي كان لها شأن وأي شأن في العـــالم القديم كانا ولا شك من بين العوامل الرئيسية التي ساعدت على ازدهار الحياة في المناطق الجنوبية من شبه الجزيرة العربية : اليمن. فقد أتاح استخدام الجمال لسكان المنطقة أن يحتكروا الوساطة التجارية بين أمم الشرق في الهند ، ومن خلالها الشرق الاقصى ، من ناحية ، وبين شمال الجزيرة

العربية ومصر وبقية الدول المحيطة بالبحر الابيض المتوسط من ناحية أخرى- ذلك الاحتكار الذي ساعد على قيـــام حضارة في المنطقة لا نعرف على وجـه التحديد كيف ومتى بدأت .

على اننا نعرف من النقوش التي تم اكتشافها ودراستها ان عـدداً من الممالك قد قام ، ربمـــا منذ الألف الثاني قبل الميلاد . وان من بين تلك الممالك مملكة معين في منطقة الجوف من اليمن الشمالي ، وحضرموت التي امتد نفوذهـا ، في وقت من الاوقات إلى مشارق بيحان في الغرب وإلى ظفار في الشرق ، وقتبان ، في موضع بيحان وما جاورها ، واوسان جنوب قتبان تقريباً وسبأ الشهيرة التي بدأت جنوب معين وتوسعن عبر القرون حتى شملت اليمن كله .

وكل ما نعرفه عن هذه الممالك عبارة عن اشارات موجزة في الكتب المقدسة وفي كتابات الكلاسيكيين من اليونان والرومان ، وكتب المؤرخين والاخباريين العرب بعد الاسلام ، وعلى رأسهم الهمداني صاحب كتاب الاكليل ، وعدداً من النقوش المكتشفة يربو على الخمسة آلاف نقش ، والزيادة مستمرة ومتوقعة .

ولكن كل هـــذه المصادر لا تعطينا — حتى الآن — تاريخاً مترابطا ، ولا تكون صورة كاملة واضحة المعالم . فلا يزال العديد من القضايا الهـامة المتعلقة بتاريخ هذه الممالك العربية القديمة مبنية على الافتراض والحدس والتخمين . من ذلك بداية كل مملكة ونهايتها ، وقوائم ملوكها وحكامها كما سنرى فيما بعد .

غير ان مـــا وصل الينا على ضآلته النسبية يدل دلالة واضحة على ان امتنا العربية قد شاركت بقسط وافر في إنماء التراث الانساني ، وان العرب لم يكونوا قبل الاسلام ، كما ذهب بعض المتسرعين في الماضي ، أمـة متخلفة أو بدوية وانما على العكس من ذلك هناك دلالات كبيرة تشير إلى ان الدور الذي لعبته هـذه الأمة في التاريخ القديم كان عظيماً ، وان مـا بلغته ممالكهم من انتعاش وتقدم

كان مثار حسد الامبراطوريات الكبيرة المعاصرة التي عجزت عن أن تمد ظلها على بلادهم .

* * *

ومع كل ذلك فان هذه الصفحة المشرفة من تاريخ أمتنا لم تنل من ابنائها العناية الكاملة . فقد رأينا من الاستعراض المتقدم للجهود العلمية في هذا المجال ان الجزء الاكبر من الاكتشافات قد تم على ايدي ابناء الغرب من الرحالة وهواة التحف الاثرية والعلماء . ونحن نعلم ان الدراسات ، حتى الآن ، قام بها مستشرقون . وان حظ ابناء العرب لا يعدو الجهود الفردية القليلة التي قدمها لنا أمثال الاساتذة خليل يحي نامي ، وسليمان حزين ، واحمد فخري ، ومحمد توفيق ، ونزيه مؤيد المظم ، ومحمود إمين الغول . في حين انه من الطبيعي ان يتولى العرب انفسهم دراسة هذا التاريخ ، فهم احق وأجدر ، بل واقدر على ذلك ان شاءوا . وانا لنعتقد ان هذا العمل واجب علمي وقومي يتحتم على مؤسساتنا العلمية القيام به وفي مقدمتها الجامعات العربية والأجهزة الثقافية بجامعة الدول العربية . وتوجد اليوم في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية إدارة للآثار تشرف — ضمن ما تشرف عليه — على ثلاثة متاحف رئيسية في كل من عدن والمكلا .

ولما ان تاريخ هذه المنطقة يعتمد اساساً على الحفريات ، ولما ان البعثات الاثرية التي انجزت اعمالاً علمية قليلة تعد على اصابع اليد الواحدة ، فإن الكثير من الاسرار الثمينة لا يزال دفيناً تحت الرمال بانتظار من يرفع عنه اثقالها .

وقبل ان ننتقل إلى الصفحات التالية التي سنتعرض لبعض المسائل المتعلقة بأهم ما وصل الينا أخباره عن تلك الممالك ، نود ان نؤكد مرة اخرى اننا لسنا بصدد كتابة تاريخ متسلسل لها فهذا ما لا يستطيع احد أن يدعي القدرة على القيام به في الوقت الحاضر . ولكننا نستطيع أن نقول في ثقة ان العصر الذي شغلته حضارة اليمن يشمل عهود بابل وآشور والفرس واليونان والرومان .

القسم الاول

في الممالك اليمنية القديمة

١ ــ اوسان

في وقت ما من القرن الخامس قبل الميلاد ، وفي النصف الأخير منه غالباً ، شن الملك السبئي كرب إل وتر حملات واسعة امتدت إلى اطراف عديدة ومتباعدة في اليمن: من ارض المعافر قريباً على البحر الأحمر في الغرب إلى جميع الأودية الشرقية الواقعة بين البحر والصحراء – اودية ميفع وجردان وعرمه القريب من مدخل وادي حضرموت ورملة السبعتين . ومن السهول والأودية الجنوبية في لحج وابين ودثينة إلى المرتفات الوسطى في يافع وما عرف فيا بعد بسرو وحمير وسرو مذحج إلى وادي الجوف وارض نجران . وباختصار كل الأراضي المحيطة بسبأ ما عدا ما بقي تحت يدي كل من حضرموت وقتبان حليفتي كرب إل حينذاك . وقد وصلت إلينا اخبار تلك الحملات من نقش كبير لذلك الملك سوف نتعرض لمناقشته بالتفصيل عند حديثنا عن سبأ .

كان كرب إل عند كتابة النص المذكور قد فرغ لتوه – فيما يظهر – من تصفية حساب قديم مع مملكة اوسان وملكها مرتوم . وكانت تلك فيا نعلم اقدم اشارة في النقوش إلى تلك المملكة التي يبدو انها بسطت نفوذها ، قبل هزيمتها النكراء التي يصفها النقش ، على الاجزاء الساحلية وما يقوم عليها من ثغور وموانئ تقوم بالمتاجرة مع السواحل الأفريقية ، والتي ربما كان من بينها ميناءا عدن وقنا [٩].

ويؤكد هذا الظن اشارة عابرة جاءت في البريبلوس تصف الساحل الأفريقي شمالي زنجبار بالساحل الاوساني [١٠] . وهذه الاشارة ، التي جاءت بعد مسا يزيد عن خمسمائة عام من انتصار سبأ على اوسان ، انما تدل على عمق الأثر الذي خلفه الاوسانيون في تلك البقاع، وهو أمر لا يمكن ان يحدث إلا نتيجة لتاريخ طويل من الوجود المستمر والنشاط الفعال والنفوذ الحقيقي .

ولا نعرف على وجه اليقين اين كان مركز هذه المملكة ، غير أن دلائل كثيرة تشير إلى أنه كان في الانحاء الواقعة جنوب قتبان ، ربما في وادي مرخه وما حواليه ، فمن هناك فيما يبدو أخذت تتوسع على حساب جاراتها فاقتطعت بعض الأراضي القتبانية والحضرمية التي عمل كرب إل على إعادتها إلى اصحابها بعد أن تمكن من إخضاعها .

ولا شك أن اوسان ، ابان ازدهارهـا ، قد نافست سبأ منافسة شديدة . ولعلها استطاعت أن تحتكر التجارة البحرية وخاصة في السلع الأفريقية،وذلك من خلال سيطرتها على الاجزاء الساحلية في الشاطئين اليمني والأفريقي . ولم يكن أمام سبأ وقتها إلا أن تهتم بطرق القوافل البرية وبالزراعة . ثم جاءت حروب كرب إل لتحقق لسبأ السيطرة الكاملة على الطرق التجارية إذ اجتاح ذلك الملك معظم المدن الواقعة على البحر وضمها إلى مملكته .

ولا تضيف النقوش الاوسانية القليلة المعروفة شيئاً إلى معلوماتنا المحدودة عن الناحية السياسية من حياة تلك المملكة . فهي نقوش قصيرة تغلب عليها الصبغة الدينية .

وفي مجموعة النقوش التي نشرها كونتي روسيني [١١] تحت الارقام ٩٣ – ٩٦ تتكرر عبارة « يصدق إل فرعم بن شرح عث ملك اوسان بن ودم » . وفيما عدا النقش ٩٥ وصاحبه الملك نفسه نجد اصحاب النقوش يوجهون نذورهم أو

تقدماتهم إلى الملك مستخدمين عبارة «سقني مرأس» أي اهدى أو قدم لسيده وكلمة « سقني » حين ترد في نقوش الممالك الأخرى تقترن بالآلهة مباشرة .

والعبارة الكاملة لهـذا النوع الجديد من الاهداء هي كما وردت في ٩٤ : « ابشبم ذعم يدع قدم لسيده (سقني / مرأس) يصدق إل فرعم بن شرح عث ملك اوسان بن ودم تمثالاً من الذهب (صلم / ذ ذهبن) في هيكله نممن او نعمان (عد / محرمس / نممن) لأن اباه ود أمر بذلـك (حج / وقـه / ابس / ودم / بسألس) .

وواضح جـداً من هذه النصوص ان ذلك الملك كان يتمتع بصفة دينية لا نعرفها من قبل . فبالرغم من اننا نجد في نقوش قتبان مثلاً عبارة « ولد عم » كصفة للقتبانيين عامة ، إلا ان اعتبار الملك وحده ابناً للاله لم يعرف عند الممالك الأخرى . والقول بأن « ود » هنا لا تعني بالضرورة المعبود الوثني المعروف لا يكفي[١٢] إذ يؤكد تميز الملك بتلك الصفة المقدسة ان الهيكل هيكله «محرمس» وفيه — كما يبدو — يتلقى النذور نيابة عن ابيه (ود) .

ولما اننا لا نعرف المكان الذي جـاءت منه تلك النقوش المتشابهة فاننا لا نعرف هل كان « نممن » اسماً للهيكل وحده أم كان أيضاً اسماً لمدينة كان يقوم فيها الهيكل المذكور ، والتي ربما كانت عاصمة اوسان في عهد ذلـك الملك . وهناك موضعان على الاقل يحملان اسم نعمان ، احدهما في مرو مدحج والآخر باعلا وادي بيحان[١٣] .

على أن بعض من زار وادي مرخه يتحدثون عن خرائب واسعة في موضع فيه يدعى هجر الناب ويتوقع أن توجد هناك بقايا العاصمة المفقودة[١٤] .

ونلاحظ من تمثال بمتحف عدن للملك يصدق إل فرعم بن شرح عث ان

ملابسه عليها مسحة يونانية بخلاف تمثالين الملكين آخريين من اوسان ، ولا نملك تفسيراً لهذه الظاهرة .

كما لا ندري سر اشتراك الاوسانيين في عبادة ود مع المعينيين دون غيرهم من ابناء الممالك الأخرى التي استقلت كل واحدة منها بمعبود خاص يمثل إله القمر .

ولقد ظلت اوسان القبيلة باقية ، بعد زوال حكومتها ، فترة طويلة ، إذ ورد ذكرها أول الأمر في النقوش القتبانية تابعة لقتبان في ايام نهضتها . وفي القرن الثاني للميلاد قرب سقوط قتبان نفسها ذكرت اوسان في نقش (جسام ٦٢٩ / ٣١) يعود إلى عهد الحكم المشترك لسعد شمسم اسرع وابنه مرثدم يهحمد ملكي سبأ وذي ريدان : ابني الشرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان . وذلك اثناء المعارك التي دارت بين الملكين وكل من حضرموت وقتبان وذي معاهر د تعرضت خلالها كل مدن اوسان وحصونها (كل هجر ومصنع شعبن اوسن) للدمار .

ولعل اسم اوسان قد ظل معروفاً ومتداولاً في صورة من الصور حتى بعد مجيء الاسلام فهذا هو الهمداني (+ ٣٣٤ هـ) نفسه يروي بعض اخبار اليمن عن رجل اسمه محمد بن احمد الاوساني [١٥] . وهذا هو نشوان بن سعيد الحميري (+ ٥٧٣ هـ) يقول [١٦] : ام ابن ذو اوسان أو ذو ماذن ام ابن ذو التبجان والابراج .

في الجوف اقام المعينيون مملكتهم ، وفيه لا تزال خرائب حاضرتهم قرنو التي تعرف بمعين (١٧) باقية إلى اليوم .

والجوف ، كما يقول الهمداني ، « منفهق من الارض » تحيط به الجبال: برط والشمف واللوذ من الشمال وسليام ثم يام من الجنوب . وتفضي إليه اربعة اودية كبار اهمها وادي الخارد الذي تأتي مساقيه من فروع مختلفة اولها « من مخلاف خولان شرقي صنعاء » (١٨) .

فالجوف من اخصب بقاع اليمن وأصلحها للزراعة .

وقد زاره هاليفي عام ١٨٦٩ وعاد منه بعدد وافر من النقوش بعد ان طاف بعدد من خرائبه . وبعده بثلاثة ارباع القرن زاره الاستاذ محمد توفيق مرتين عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٥ أصدر بعدهما كتاباً ضمنه انطباعاته ودراساته وما وقف عليه من نقوش مدعماً ذلك بالصور والرسوم والخرائط . وفيه قرر « ان معظم الخرائب تقع على خط واحد تقريباً وسط هذا السهل فيما بين الغرب والشرق » (١٩) .

وهذه الخرائب تشمل خربة معين التي تقع في منتصف المسافة بين جبلي اللوذ ويام عند الفتحة المؤدية إلى رمال الربع الخالي في الشرق . كما تشمل خرائب

هرم وكمنهو والسوداء (نشن) والبيضاء (نشق) . أما خربة براقش (يثل) فتقع إلى الجنوب الغربي من معين قريباً من جبل يام .

ولقد ذكرت بعض هذه المواقع في عهد كرب إل وتر (ح ٤٠٠ ق. م.) حين تعرضت لحملات ذلك الملك ومنها نشن ونشق وهرم وكمنهو وكانت وقتها ممالك مدن كما سنرى عند الحديث عن سبأ

ويـذكر الهمداني معين كموضع في الجوف ويورد شعراً لمالك بن حريم الهمداني جاء فيه :

سنحمي الجوف ما دامت معين   بأسفله مقابلة عرادا

ويقول :

« وإذ قد ذكرنا معين في هذا الموضع فانا نذكر ما بالجوف من الآثار والعمور ونذكر ما هي من اوطان الجوف وبلد شاكر ، صفة الجوف عمران وهو لنشق ، وبيت غران والخربة البيضاء الحشاشية لبني دالان ، والخربة السوداء بالشاكرية ، ثم معين وبراقش ثم كمنا وروثان لنشق. وقد ذكرنا سوائله الكبار وهي مذاب وخبش والخارد والمنبج وحام ثم اسفل بلد بني دالان ، ومن الصغار شعبة والفلقة وعين. » [20] ولكن الهمداني لا يذكر شيئاً عن المعنيين أو مملكتهم . حتى في الاكليل فان معين عنده ليست إلا مخفد من مخافد اليمن [21] .

وفي الكتب الكلاسيكية يأتي ذكر المعنيين بين الاقوام الذين عاشوا في اليمن . فهذا بليني (+ ح ٧٩ م) يقول : « وإلى جوار الحضارمة المعينيون وهم قوم يخترق بلادهم الممر الوحيد للبخور عبر طريق واحد ضيق . وهم اول من مارس هذه التجارة وما زالوا يمارسونها اكثر من غيرهم حتى ان البخور

ليعرف بالمعيني نسبة اليهم) [٢٢] وكان بليني ولا شك ينقل تلك الاخبار عن مصادر قديمة .

ويعود الكثير من معارفنا عن نشاط المعينيين التجاري الواسع إلى نقوش معينية ولحيانية عثر عليها في العلا (موضع الددان) باعالي الحجاز حيث يبدو انهم اقاموا مستوطنة تابعة لهم على طريق القوافل ولعلهم سيطروا حينذاك على طول الطريق من الجوف ونجران إلى فلسطين . فهذا سترابو يذكرهم إلى جوانب الحضارمة والسبئيين والقتبانيين ويقول ان ارضهم تقع في الجزء المحاذي البحر الاحمر [٢٣] . وكان سترابو ينقل كلامه ذلك عن ايراتو ستينس (+ ١٩٤ ق.م).

وهناك نقش معيني (جلاسر ١١٥٥) اثار ضجة بين الدارسين واختلفوا في تقدير زمنه . وكان ذلك النقش يتحدث عن غارة من سبئيين وخولانيين على قافلة معينية في موضع بين معين ورجمة التي يعتقد انها مدينة نجران نفسها . ويذكر حربا كانت دائرة وقتها بين مذي وبين مصر في وسط مصر . وقد فسرها بعضهم بالحرب التي فتح قمبيز خلالها مصر في ٥٢٥ ق.م. ، وفسرها آخرون بالحرب التي جرت بين الميديين والمصريين عام ٣٤٣ ق.م. ، بينما ذهب آخرون إلى انها حرب بين السلوقيين والبطالمة وذلك عام ٢١٠ ق.م. [٢٤] .

وبعد ان كان اوائل العلماء يقدرون بداية معين بأواخر الالف الثاني قبل الميلاد [٢٥] اصبح المتأخرون يجعلون هذه البداية تتراوح ما بين ٥٠٠ و ٣٥٠ ق.م. [٢٦] .

ولدينا من القرن الثالث قبل الميلاد نقش (ف ٣٤٢٧) عثر عليه في الجيزة بمصر على ناؤوس رجل معيني اسمه زيد إل بن زيد من ظران كان يقوم بامداد المعابد المصرية بالمر والقليمة ويصدر من مصر الاقمشة المصرية . ويحمل النقش تاريخاً هو السنة الثانية والعشرين من عهد بطليموس بن بطليموس (تلميث بن تلميث) أي ما يوافق عام ٢٦٤ ق.م. تقريباً في زمن بطليموس الثاني . في نحو الوقت الذي بلغت فيه معين اوج ازدهارها على ما يظهر .

ولقد ذاع صيت المعينيين في العالم القديم الذي يبدو ان تجارهم قد انتشروا في ارجائه . وربط بعضهم بين المعينيين والمينويين سكان كريت القدامى وقالوا برابطة دم بين الفريقين (٢٧) . كما عثر في ديلوس من جزر اليونان على نقش معيني (ف ٣٥٧٠) يقدر تاريخه بالنصف الاخير من القرن الثاني قبل الميلاد . وفيه ذكر صريح لود والهة معين إذ يقول صاحبه انه «نصب مذبح ودم والالت (الهه) معين بدلت » اي ديلوس . واختتم بكتابة يونانية ورد فيها اسم « ود » ايضاً .

امـا عن علاقة معين بالممالك اليمنية الاخرى فنلاحظ ان سترابو في حديثه الذي سبقت الاشارة إليه يجعلهم معاصرين للسبئيين والقتبانيين والحضارمة ويحدد موقع كل فريق منهم بالنسبة إلى الآخرين مع ذكر حواضرهم المعروفة قرناء (قرنو) لمعين ومارب لسبأ وتمنع لقتبان وشبوه لحضرموت .

وفي النقوش المعينية من معين (قرنو (وبراقش (ثيل) اشارات تشي بأن علاقة خاصة كانت تقوم في وقت من الاوقات بين معين وحضرموت . ويزكي ذلك ان اسرة حكمت المنطقتين معاً منها صدق إل ملك حضرموت الذي حكم معين ايضاً وجعله البرايت مؤسساً للمملكة فيها حوالي ٤٠٠ ق.م. والذي اقتسم ابنان له من بعده العرشين فحكم شهر علن حضرموت وحكم اليفع يثع معين . ثم جاء حفيده اليفع ريام بن اليفع يثع ليوحد المنطقتين تحت حكمه .

وإلى نفس الاسرة ينتمي ابيدع يثع بن اليفع ريام (٣٤٣ ق.م.) الذي ورد اسمه في نقش الغارة السبئية الذي تقدمت الاشارة اليه . والذي حكم معين في الوقت الذي كانت حضرموت فيه تحت حكم ملك آخر من نفس الاسرة كما جاء في نقش من معين (ف ٢٧٧٥) .

وفي نقش ناقص من مجموعة توفيق من براقش (٢٨) نجد عبارة « وممين لكي يسكنوا شبوه ويتملكو فيها » وذلك في السطر الثالث والأخير .

ومن كل ما تقدم يبدو لنا أن حلفاً تجارياً أو ما هو اكبر من الحلف قد ربط سكان الجوف وحضرموت . ولا بد أنهم تمكنوا به من السيطرة على تجـــارة البخور فترة من الزمان . ولا غرابة فالجزءان يكمل كل منهما الآخر : حضرموت تسيطر على مناطق إنتاج اللبان أو تتحكم فيها بحكم موقعها ومعين بيدها مقاليد الطريق إلى الشمال . والجزآن متصلان ببعضهما إتصالاً مباشراً دون حاجة إلى واسطة . وفي ذلك يقول الهمداني :

« فمن اراد حضرموت من نجران والجوف جوف همدان ومارب فمخرجه العبر منهل فيها آبار » (٢٩) .

وإذا جئنا إلى العلاقة بين معين وقتبان خلال فترة تعاصرهمـــا التي امتدت ثلاثة قرون على الاقل نجد في ايام شهر يجل يهرجب قرب النهاية جمـاعة من يثل يبدو أن لها مصالح تجـارية في تمنع تحفر نقشاً (ف ٢٩٩٩) وجد في براقش ويعود إلى عهـــد الملكين وقه إل يثع وابنه اليفع يشر (الثاني) ملكي معين المعاصرين للملك القتباني المذكور . وقـــد اختلف الدارسون في فهمهم للنقش فوجد فيه بعضهم دلالة على خضوع معين لقتبان . وجـاء آخرون واستبعدوا ذلك ومنهم الدكتور خليل يحي نامي الذي درس النقش كما جاء في مجموعة محمد توفيق وتوصل إلى انه :

« من الجائز ان نقول أن اهل ضمران [اصحاب النقش] كانوا من القتبانيين الذين كانوا يعيشون في مدينة يثل ولذلك ارخوا وثيقتهم باسم ملكي البلدة التي يعيشون فيها ويتكسبون منها ، كما ختموا وثيقتهم باسم ملكهم الذين يدينون له بالولاء (٣٠) وكان قد جاء في السطر الثالث والرابع من النقش عبارة :

« في ايام سيد يهم وقه إل يثع وابنه اليفع يشر ملكي معين . ويحق سيده شهر يجل يهرجب ملك قتبان » .

ولكن الدكتور محمود امين الغول الذي يتفق مـع نامي في أنه لا يوجد في

النقش ما يدل على سيادة ملك قتبان حينذاك على المعينيين في يثل ، يرى ان آل ضمران انما هم معينيون وليسوا قتبانيين مستنداً إلى ان عشيرة آل ضمران لم تعرف في أي نقش آخر سوى نقش من العلا (ف ٣٧٩٢) .

واستناداً إلى نقش آخر (ف ٣٧٠٧) وجد في الخريبة بالقرب من العلا تحدث صاحبه عن اعمـــال انشائية تتعلق بالري قام بها في قرنو من اجل الملك ، يرى الدكتور الغول (وانا احاول هنا أن اترجم اجزاء من مناقشته) : « انه يبدو أن اولئك التجار الذين كانوا يقيمون في انحاء العلاء أو في تمنع كانوا يطالبون أو يتطوعون بتحمـــل تكاليف بعض المنشآت الملكية العامة . وان هذا قد يعكس الثراء الذي تعود به عليهم تجارتهم . كما يدل على ان ولاءهم للملوك في معين ، وطنهم ، كان قوياً وملزماً على الرغم من اقامتهم في الخارج . غير انه في الوقت الذي كان فيه معينيو منطقة العلا مستقلين عن أي حاكم أو ملك محلي وكانوا خـــاضعين لسيادة ملوك معين مباشرة ، فان المعينيين في تمنع لم يتح لهم التمتع بمثل ذلك الاستقلال وان كانوا يحافظون على تماسكهم كجالية . ومن المحتمل انه لهذا السبب كان يشرحئيل ، الشخص الرئيسي بين اصحاب النذر في (ف ٢٩٩٩) ، مضطراً الى ذكر (سيده) شهر يجل ملـــك قتبان . » ويتساءل في ختام المناقشة :

« أتدل هذه الرابطة القوية بين الاسماء من العلاء ومن تمنع على ان الجاليتين كانتا تتكونان من نفس العشائر وأن تلك العشائر قـــد وزعت نفسها بحيث تتمكن من الاشراف على اعمالها التجارية عند طرفي الطريق التجاري؟ اذا كان ذلك كذلك فانه قد يعني أن المعينيين كانوا مسيطرين بالفعل على الطريق التجاري وانه على النقيض من أن يكونوا قبيلة أو قوماً مستعبدين كانوا يمارسون نفوذاً ملحوظاً في غرب بلاد العرب جنوباً وشمالاً » (٣١) .

ولا تزال معلوماتنـــا عن العلاقة بين معين وسبأ مضطربة . ومن النقوش

المعينية التي تذكر سبأ ذلك النقش (هاليفي ٤٨٥) الذي تركه لنا في براقش ثوب إل وابنه يسلم بني هنأ من اهل دابر وجـــاء فيه : « وفي ايام يثع إل ريام وابنه تبع كرب ملكي معين وضع أهل دابر وقفيهم وكتابتهم (في حمى) عثتر شرقن ذقبض وود ونكرح وعثتر ذيهرق وكل الهة معين ويثل وكل الهة وحامي وملوك وشعوب سبأ وجو » (س ٥ — ٧) . ولمـــا انه يكاد يكون من المتفق عليه أن الملكين المعينيين المذكورين في النقش من الملوك المتأخرين فقد عد البعض ذكر الهة سبأ وملوكها وشعوبها (أو شعابها وسهولها) دلالة على اعتراف المعينيين بالتبعية لسبأ . ولكننا لا نرى في مثل هـــذه الاشارات ما يخول لنا اصدار احكام قاطعة في العلاقات والاوضاع السياسية .

ونحن وان كنا لا نعرف على وجه التحديد كيف ومتى تم القضاء على معين نهائياً الا اننا نجد في النقوش التي تعود الى عهود متـــأخرة ، منذ ظهور لقب « ملك سبأ وذي ريدان » على الاقل ، مـــا يدل على خضوع مدن مثل نشق و نشن و يثل لاولئك الملوك . ولا نكاد نجد ذكراً لمعين أو قرنو . كما اننا لا نجد لها ذكراً فيما وصل الينا من اخبار حملة اليوس جالوس(ح ٢٤ ق.م) التي تعرضت خلالها مدن الجوف لهجمات الرومان بما فيها يثل (اثرولا) التي ارتبطت طويلاً بمعين . اما نجران فكانت وقت الحملة تحت حكم ملك يقول سترابو أنه فر أمام الرومان .

ولعل مملكة معين قد زالت قرب نهاية القرن الأول قبل الميلاد [٣٢] ولكن الكتب الكلاسيكية ظلت تذكرهم فترة من الزمـــان . فذكرهم بليني ، وهو يتحدث عن الحملة الرومانية ، الى جانب الحميريين كاكثر الجماعات عدداً واخصبهم ارضاً واغزرهم نخلاً واكثرهم امتلاكاً للمواشي [٣٣] . وكان آخر من تحدث عنهم بطليموس (± ح ١٦٠ م) الذي وصفهم بأنهم « شعب عظيم ».

ولقد بهرت عظمة المعينيين المتمثلة في آثارهم كل زوار الجوف مـن هاليفي الى توفيق ثم فخري الذي يقول :

« ان معابد عثير في الجوف التي بنيت بهذه القطع الفخمة من الجرانيت لها مظهر يذكرنا بمعابد معينة في مصر ، مثل معبد الوادي للهرم الثاني بالجيزة والاوسيريون في ابيدوس . فهندسة هذه المعابد والزخارف على مداخلها الجرانيتية تضع نصب الحضارة المعينية في مركز عال ، وترغمنا على مقارنة حضارة بلاد العرب الجنوبية بالحضارات العظيمة الأخرى في الشرق كمصر وبلاد الرافدين » .

ويضيف :

« انني مقتنع بان امامنا هنا في هذا الركن من العالم حضارة مستقلة بذاتها . وقد تمنح المواقع في صرواح ومارب المنقب الاثري المزيد من الآثار وقد تلقي ضوءاً كبيراً على تاريخ بلاد العرب في تلك الايام الغابرة ، ولكن اذا اردنا ان نعرف اصول حضارة سبأ ، فان علينا ان نتطلع الى مدن الجوف فهناك تحت انقاض مدنه قد يستطيع عالم الحفريات أن يرفع الغطاء عن منشأ وتطور واحدة من أعظم حضارات الشرق القديم » (٣٤) .

٣ ــ قتبان

في عام ١٩٥٠ قامت بعثة « مؤسسة دراسة الانسان الاميركية » باجراء حفريات في هجر كحلان ببيحان وهو الموقع الذي كانت تقوم عليه تمنع عاصمة قتبان (بكسر القاف غالبا)[٣٥] والتي قال بليني ان « بها خمسة وستين معبداً » الأمر الذي يصور لنا مدى اتساعها[٣٦] .

ولقد ادت تلك الحفريات ، على نقصها وضيق مساحتها ، إلى نتائج هامة نسبياً مست بعض القضايا التاريخية وجعلت البرايت يعيد النظر في الآراء القديمة المتصلة بالتسلسل الزمني لتاريخ قتبان وبلاد العرب الجنوبية[٣٧] .

واستناداً إلى مخربش قدر جام انه يرجع إلى القرن العاشر أو الحادي عشر قبل الميلاد استنتج أن الاستيطان بمدن قتبان يعود إلى ذلك العهد[٣٨]. ويعتقد أيضاً أن ذلك المخربش هو أقدم نقش يعثر عليه حتى الآن في جنوب بلادالعرب.

أما الصورة التي تقدمها لنا الدراسات المختلفة للتطور السياسي لمملكة قتبان فيمكن أن تلخص في الخطوات التالية ،علماً بأن باب البحث والتأمل والاستنتاج بل والكشف لا يزال مفتوحاً على مصراعيه :

(١) عصر المكربين الأول :

أقدم النقوش تعود إلى عصر المكربين الأول الذين يقدر البرايت زمنهم

بالفترة ما بين القرن السابع والخـــامس قبل الميلاد . ويظهر أن أقدم من ورد اسمه منهم في النقوش المعروفة لدينا المكرب سمه علي وتر . من القرن السادس قبل الميلاد تقريباً .

ومن القرن الخامس ق. م. نجد ورو إل الذي يعتقد انــه كان خاضعاً لملك سبأ كرب إل وتر (حوالي ٤١٠ ق م) أو حليفاً له؛ويدع أب ذبيان صاحب اقدم نقش وجد عند الباب الجنوبي لمدينة تمنع (أواخر القرن الخامس ق م) .

(٢) فترة ازدهار :

وفي القرن الرابـع ومنذ حوالي ٣٥٠ ق م – فيما يبدو – اصبحت قتبان تسيطر على الشريط الساحلي الممتد من باب المندب حتى ما وراء عدن إلى الشرق. وفي هذا الوقت يجعل البرايت بداية فترة ازدهار قتبان . فمنها تـــأتي أغلب النصوص الطويلة وأغلب النصب التذكارية [٣٩] .

وفي القرن الثاني قبل الميلاد[٤٠] نجد المكرب يدع أب ذبيان بن شهر يصف نفسه بأنه مكرب قتبان وكل ولد عم واوسان وكحد ودهس وتبني (ف٣٥٥٠ و٤٣٢٨ وركانز ٣٩٠) . ويتلقب في نقش آخـر (ف ٣٨٧٨) بلقب الملك . ويبدو أن قتبان في وقتـــه كانت تسيطر أيضاً على كل بلاد مراد . وفي النقش (ف ٣٨٧٨) الذي تضمن قانوناً سنه ذلك المكرب والملك محـــدداً عقوبات القتل نجده يذكر قبائل خاضعة لقتبان من بينها ردمان ومضحيم ، وهي قبائل ستر د اسماؤهـا باستمرار ، فيما بعد ، مناوئـة للسبئيين في عهود ملوك سبأ وذي ريدان .

ولقد اضطلع يدع أب هذا باعمال عمرانية كبيرة خاصة في مجال شق الطرق التي لا بد وانه قد أقامها لتسهيل مرور القوافل التجارية وللتحكم في حركتها من جهة ، وللربط بين اجزاء مملكته الواسعة وسرعة تحريك قواته للدفاع عنها أو

حفظ النظام في أطرافها من جهة أخرى . ولا تزال عقبة مبلقه ، التي تؤدي من خلال الجبال إلى وادي حريب باقية إلى يومنا هذا شاهداً حياً على تلك الأعمال الجبارة .

(٣) فقدان الاجزاء الساحلية :

ومنذ نهاية القرن الثاني قبل الميلاد ، على ما يبدو ، أخذ الحميريون يقتطعون أجزاء من الاراضي التابعة لقتبان . وبنهاية القرن الأول قبل الميلاد تمت سيطرة حمير على الأجزاء الساحلية وفقدت بذلك قتبان سيطرتها على التجارة البحرية[٤١] .

(٤) الملوك المتأخرون وحريق تمنع :

وفي وقت ما من القرن الأول الميلادي نجد ورو إل غيلان يهنعم يسك نقوداً ذهبية تحمل اسم قصره « حريب » . ويظهر أن أخاً له يدعى فرع كرب يهوضع هو الذي خلفه في الحكم .

ويذكر البرايت ثلاثة ملوك آخرين جاءوا بعد ذلك آخرهم شهر هلال يهقبض الذي يرى فون وزمن أن تمنع قد أحرقت على عهده حوالي ٩٠ إلى ١٠٠ ميلادية[٤٢] . وكانت بعثة مؤسسة دراسة الانسان الامريكية قد عثرت على آثار ذلك الحريق اثناء حفرياتها في هجر كحلان[٤٣] .

(٥) بعد خراب تمنع :

وبعد خراب تمنع أقام القتبانيون لفترة من الزمان عاصمة جديدة لهم في موضع هجر بن حميد . وهناك كان الملك يقيم في قصر يدعى « حريب » أيضاً . وفي نقش عليه طابع الاسلوب الحديث في الكتابة وجد في هجر بن حميد[٤٤] نجد اسم الملك نبط عم بن شهر هلال وابنه مرثد . وهما فيما يرجح نفس الملكين الأب والابن المعاصرين لسعد شمسم اسرع وابنه مرثدم يهحمد ملكي سبأ وذي ريدان (جام ٦٢٩ / ١٠ و ١١) .

(٦) المراحل الأخيرة :

ولدينا نقوش من وادي بيحان تذكر ملوكاً حضرميين حكموا بعد خراب تمنع كما تذكر مدينة ذات غيل (ذات غيلم) التي يرجح أن الحضارمة أقاموها في مكان ما من ذلك الوادي [٤٥] .

وقد ظلت حضرموت تحكم أجزاء من قتبان فترة من الزمان حتى أخرجتها سبأ منها . وربما حدث ذلك في عهد شاعرم اوتر ملك سبأ وذي ريدان بن علهان نهفان الذي نراه يخوض حرباً ضد العزيلط ملك حضرموت، تبدأ بمعركة من موقع ذات غيلم بالذات كما سيأتي .

ومهما يكن من أمر فان قتبان قد انضوت في النهاية تحت لواء سبأ – ربما في حوالي منتصف القرن الثاني للميلاد .

هذه لمحات من قصة قتبان . ولا يستبعد أن تؤدي حفريات جديدة إلى تعديل بعض وجهات النظر هذه أو الاضافة إليها .

ومما لا شك فيه ان التجارة قد لعبت دوراً كبيراً في الازدهار الذي حققه القتبانيون في وقت من الاوقات . ويرجع ذلك أساساً إلى موقع بلادهم التي كانت تتوسط المناطق الأخرى ، حضرموت إلى الشرق ومعين إلى الشمال وسبأ إلى الغرب ، ثم سيطرتهم على الاجزاء الجنوبية المطلة على البحار . ومن أجل التجارة شق القتبانيون الطرق ووضعوا القوانين التي من بينها قانون سنه شهرهلل (ف. ٤٣٣٧ أ – S) وأمر بكتابته على نصب حجري أقيم في وسط مدينة تمنع حيث كانت تقوم سوقها على ما يعتقد . ولا يزال ذلك النصب قائماً مكانه تغطيه الكتابة من جهاته الأربعة غير ان جهتين منها اختفت كتاباتها تقريباً . وقد قام بيستون [٤٦] مؤخراً بدراسة جديدة للنقش المذكور اقتضت منه اعادة تركيب بعض اجزائه وتقسيمه إلى فقرات أو مواد بلغت الاثني عشر وتدور حول قاعدتين عامتين :

الأولى : تركيز التجارة وحصرها في الموضع المسمى (شمر) ، وهي سوق تمنع ، وحظر عمليات البيع والشراء ليلاً . كل ذلك لضمان جباية الضرائب والرسوم المفروضة على التجارة .

الثانية : تفضيل التجار من أبناء قتبان الأصليين على غيرهم وفرض رسوم إضافية على غير القتبانيين .

وإلى جانب عنايتهم بالتجارة عني القتبانيون بالزراعة فأقاموا مشاريع الري في وادي بيحان الذي اكتشفت فيه البعثة الامريكية قناة رئيسية تمتد مسافة طويلة ولها مصارف تتحكم في مياه السيول وتقوم بتوزيعها على الجداول الفرعية التي كانت تشكل شبكة منتشرة في الأرض الزراعية على الجانبين . ويقدر زمن إنشاء تلك القناة بالقرن الخامس قبل الميلاد ويعتقد انها ظلت تستخدم حتى القرن الأول الميلادي على الأقل [٤٧] .

٤ ـ حضرموت

تجعل التوراة حاضر ميت (حضرموت) إسماً لاحـــد ابناء يقطان. وقد ذهب الاخباريون العرب في تعليل الاسم كل مذهب ، متأثرين في الأصل برواية التوراة . أما الهمداني فيقول :

« حضرموت من اليمن وهـــي جزؤها الأصغر ، نسبت هـــذه البلدة إلى حضرموت بن حمير الأصغر فغلب اسم ساكنها » (٤٨) .

ولقد ظلت حضرموت تعرف بهذا الاسم قروناً طويـلة بدون انقطاع ، ولم يزل الاسم بزوال المملكة القديمـــة كما حدث لشقيقاتها . وتكرر ورود اسم حضرموت في الشعر الجاهلي في مثل قول الشاعر عبد يغوث بن وقاص الحارثي :

أبـــا كرب والايهمين كليهما وقيساً بأعلى حضرموت اليمانيا

ولكن هذا الاسم على شهرته ، لم يرد في القرآن الكريم .

* * *

وتتضارب الآراء حول زمن بدء مملكة حضرموت القديمة وتطورها ، وكل ما لدينا في هذا الصدد عـــدد من أسماء الملوك وصلت إلينا كاملة أو ناقصة ،

بعضها في نقوش حضرمية من حضرموت وقتبان ، وأخرى في نقوش سبئية أو معينية . وقد حاول الدارسون ترتيب الاسماء الواردة فيها ترتيباً زمنياً ، ومنهم فلبي الذي يقدم لنا تسعة عشر ملكاً في الفترة ما بين ١٠٢٠ ق. م. و١٢٥ م. والبرايت الذي يجعل البداية في نحو ٤٥٠ ق. م.[٤٩] .

والحقيقة هي أن ما لدينا من أسماء حكام حضرموت على قلته يتوزع على فترات متباعدة تغطي أغلب المراحل السبئية .

وقد عرفت حضرموت نظام المكربين الذي يفترض أن يكون سابقاً للتحول إلى نظام الملكية الخالصة . وفي عهود أولئك المكربين تعرضت حضرموت لغارات حميرية على مناطقها الساحلية (ف ٢٦٨٧) . ولعله في نحو ذلك الوقت خسرت حضرموت بعض الأراضي التي استولت عليها اوسان والتي أعادها إليها فيما بعد كرب إل وتر السبئي (ف ٣٩٤٥) الذي شملت حروبه مناطق امتدت من ميفع إلى عرمه [٥٠] . وكان على حضرموت وقتها حليفة يدع إل .

وفي وقت من الاوقات نرى صدق إل ملكاً على حضرموت ومعين معاً . ومن بعده ابنه شهر علن بن صدق إل ملكاً على حضرموت وحدها ، يعقبه معد كرب (بن اليفع يثع ملك معين) . ثم اليفع ريام بن اليفع يثع شقيق معد كرب الذي يعتقد انه حكم حضرموت ومعين مثل جده . ويعتمد تقدير زمن حكم أولئك الملوك على تقدير زمن قيام معين . وقد جعلهم البرايت بعد يدع إل المعاصر لكرب إل وتر السبئي .

وفيما عدا العلاقة الخاصة التي قامت بين حضرموت ومعين في الثلث الأخير من الألف الأول قبل الميلاد على ما يبدو فاننا لا نكاد نعرف شيئاً عن نشاط الحضارمة في ذلك الوقت ، ولكن الاشارات الواردة في الكتب الكلاسيكية

تدل على ان تجارة البخور كانت مزدهرة وان شبوه كانت مركزاً رئيسياً لتجميع تلك السلعة الثمينة .

وحتى إذا ما جاء العصر المسيحي وأخذت قتبان في الضعف تحت ضربات الحميريين غالباً وآلت معين إلى السقوط نجد حضرموت إحدى جهات ثلاث تقتسم النفوذ في اليمن كله وذلك حين امتد سلطانها إلى وادي بيحان وكان لها وجود في الجوف [٥١]، فيما سيطر الحميريون على معظم الأجزاء الساحلية (يمنت) ما عدا قنا، وكان السبئيون في المناطق الشمالية الغربية يصارعون بني ذي ريدان الذين ثبتوا أقدامهم في مناطق يافع وذي رعين والمعافر .

في ذلك الوقت تعاقب على حضرموت ملوك من اسرة واحدة لعل أولهم يدع إل بن ربشمس الذي أسس القصر الملكي شقير (بيتن شقر) في شبوه (ف ٤٩١٢ / ٢) وحارب فيما يبدو سعد شمسم اسرع وابنه مرثدم يهمد ملكي سبأ وذي ريدان ابني الشرح يحضب (جام ٦٢٩) وكان حلفاء حضرموت وقتها قتبان وذو خولان وذو مصبح وردمان ومضحيم وبعض الاعراب (س ١١ – ١٢) وجاء بعد يدع إل ابناه اليام يدم ثم يدع أب غيلان الذي كان حليفاً لعلهان نهفان ملك سبأ (م ١٥٥) . وكل هؤلاء الحكام وآخرون من حمير جاءوا فيما بين ١٠٠ و١٩٠ م تقريباً [٥٢] .

ولما انفرد شاعرم اوترن علهان نهفان بالحكم شن حرباً على حضرموت التي كان يحكمها ملك اسمه العزيلط قد يكون هو العزيلط بن يدع إل الذي جاء اسمه في نقش من شبوه (هاملتون ٨) . ويبدو ان الحرب بدأت بهجوم مباغت على العزيلط ، وهو في مدينة ذات غيلم بأرض قتبان ، أدى الى اسره ، ثم مهاجمة شبوه فقنا ووادي حضرموت . ولم يلبث ان تصالح الرجلان بعد ذلك (جام ٦٤٠) .

وفي البريبلوس (مطلع القرن الثالث الميلادي حسب احدث التقديرات) يرد

اسم العز أو العذ (اليازوس) ملكاً على أرض اللبــان ومعاصراً لكربئيل (خربئيل) الحميري (ملك سبأ ذي ريدان) في ظفار . وقد يكون العز هذا هو العذيلط بن عم ذخر الذي كان حليفاً لثاران يعب يهنعم الحميري كما جاء في احد نقوش العقلة (ف ٤٩٠٩) وورد اسمه في نقش من بيحان (ف ٣٩٥٨) غير ان تقدير زمن هذا الملك رهن ايضاً بتقدير زمن ثاران يعب يهنعم . وقد جعله فون فسمن في حوالي ٢٢٩ م [٥٣] .

وما هو الا قرن أو مــا دون القرن حتى يملن شمر يهر عش (مطلع القرن الرابع الميــلادي) ضم حضرموت الى مملكته وهو مــــا سنناقشه في محله من فصل قادم .

* * *

وترجع أهمية حضرموت قديماً إلى موقعها الجغرافي ، وحــاصلات المناطق التابعة لهــا ، وطبيعة واديها الكبير وادي حضرموت الذي يرى البرايت [٥٤] انه كان من أنسب مناطق الجزيرة العربية للاستيطان خلال العصر البرونزي . وان اتساعه ، وقرب مخزون المياه من سطحه ، بالاضافــــة إلى تربته الغرينية اتاحت لســاكنيه استنبات المحاصيل الجيدة . وانــه من المحتمل ان يكون ذلك الوادي قد عرف الحياة البشرية قبل ان تعرفهــا المناطق الغربية (من اليمن) والتي تفتقد ميزاته . وانه يجوز ، عندما بدأ استخدام قوافل الجمــال في نهاية الألف الثاني قبل الملاد ان تكون تجارة نشطة قد قامت بين حضرموت وبابل ، تبعتها بفترة قصيرة حوالي القرن العاشر قبل الميلاد حركة القوافل بين الجنوب وكل مــــن سوريا وفلسطين . ويبعد وادي حضرموت عن ساحل البحر العربي بحوالي ١٦٥ كلم تقريباً . وتقــع بدايته في الغرب حيث ينتهي الطرف الشرقي لرملة السبعتين ، وحيث يبلغ أقصى مدى في اتساعــــه فيتجاوز الخمسة عشر كيلومتراً ثم يضيق تدريجيــا ، وهو يسير في خط مواز للساحل متجهــاً الى

الشرق ، حتى يصبح عرضه ، فيما وراء مدينة تريم ، كيلومترين وحسب. وينضم اليه في مسيرته (٢٠٠ كيلومتر تقريباً) العديد من الاودية الفرعية القادمة من الهضبتين المعروفتين بالجول الشمالي والجول الجنوبي . كما تحيط به من الجانبين صخور الهضبتين الشاهقة . وبعد المكان المعروف بقبر هود [٥٥] ينحرف الوادي إلى الجنوب وتظهر عند ذاك مياه دائمة تصب في البحر عن طريق وادي المسيلة، وهو الاسم الذي يطلق على الجزء الاخير من ذلك الوادي الكبير حتى مصبه في البحر .

وفي شتاء ١٩٦١ / ١٩٦٢ م اختارت بعثة معهد سمشونيان الامريكية هذا الوادي الغني بخرائبه الاثرية (والذي يحتمل ان تكون الحياة فيه قد استمرت دون انقطاع منذ العصور الاثرية القديمة) لتجري فيه مسحاً اثرياً سطحياً ، أملاً في الحصول على سلسلة ثقافية متواصلة منذ اقدم العصور إلى اليوم ، واستكمالاً — فيما يبدو للجهود التي قام بها اعضاء هذه البعثة من قبل في كل من بيحان (قتبان) ومأرب وظفار .

ونجد في الخلاصة التي جاءت في نهاية التقرير الاولي للبعثة المذكورة [٥٦] الاستنتاجات التالية :

(١) استمر العصر الحجري (في وادي حضرموت) حتى وقت متأخر من الألف الثاني ق.م متخلفاً عن التطورات التي حدثت في الهلال الخصيب.

(٢) لا توجد حلقة ترابط بين ذلك العصر وعصر قيام المدن التي ترجع في الاغلب الى الألف الثاني ق.م ، أو بعد ذلك بقليل .

(٣) ربما دل هذا الانفصال على حدوث هجرة من الشمال قضت على السكان الاصليين وتمثلتهم .

(٤) ربما جاء اولئك الطارئون بتقاليد جديدة هي نتاج حياة متمدنة في

موطنهم الاول من علم بصناعة الخزف والمعادن، وزراعة تستخدم فيها وسائل الري المطورة ، وربما المام بالكتابة ايضا .

(٥) من الدراسة الأولية للنماذج الفخارية وغيرها يبدو ان حضرموت شاركت في كل الاتجاهات الحضارية العامة التي سادت الجنوب اليمني في ذلك الوقت وادخلت عليها ، في نفس الوقت، ملامح محلية واقليمية جعلت حضارتها متميزة في بعض النواحي [٥٧] .

* * *

اما المرة الوحيدة التي تمت فيها حفريات علمية بحضرموت فلم تشمل إلا دفعة محدودة جداً لم نحصل منها على نتائج حاسمة ، ذلك لأنها بالاضافة إلى حدوثها في أحد الأودية الفرعية أسفل وادي عمد ، اقتصرت على اجزاء من معبد قديم مقام لاله القمر الحضرمي « سين » وبعض المقابر الكهفية المجاورة له وبقايا المنشآت الزراعية القريبة . ولم يستمر عمل البعثة إلا اسابيع قليلة .

ومع ذلك فإن ما وجد في هذا الموقع الذي عرف في النقوش باسم«مذاب» يعود (حسب تقدير الدكتورة جرترود كيتون تومسون صاحبة الحفريات) إلى تاريخ يتراوح بين القرنين الخامس والرابع ق.م [٥٨] ، ويضع امامنا قضايا كثيرة ستنعكس حتما ، عندما تتم حفريات اشمل في اليمن كله ، على معرفتنا بحياة الناس في المنطقة بأسرها في تلك العهود الغابرة .

فنحن نلاحظ انه حتى في تلك القمة شبه المنعزلة قد تسربت تأثيرات من مناطق غير حضرمية . فالنقوش المهداة إلى الاله الحضرمي «سين» استخدمت فيها اللهجة السبئية في بعض الأحيان في مثل استبدال حرف السين بحرف الهاء السبئي، في اول الفعل المتعدي ، وخاصة في مثل « هقنى » (أي قدم أو اهدى) بدلاً من « سقنى » . كما نجد في بعض النقوش ذكر الاله السبئي (المقة) . وفي

نقش ناقص نجد كلمتي « ودم ابم » أي ودأب على الطريقة المينية ، أو الاوسانية .

وهكذا فإننا نلمس في حفريات حريضة على صغر مساحتها تأكيداً لما نعتقده من أن حياة الممالك اليمنية القديمة كانت متداخلة ، ليس نتيجة للحروب والغزوات فحسب ، وإنما لوجود تبادل تجاري وحركة هجرة متبادلة ، عبر السنين ، تحت ضغط الظروف المعيشية العادية .

* * *

ذاك بعض ما كان من أمر وادي حضرموت الذي لم يكن ــ على اهميته ــ إلا جزءاً من مملكة مترامية الاطراف ، لا شك انها كانت في أوج ازدهارها وقوتها اكبر الممالك اليمنية القديمة رقعة ، امتدت من مشارف بيحان (قتبان) غرباً إلى حدود عمان شرقاً شاملة ظفار كلها ، وامتدت ايضاً عبر البحر إلى جزيرة سقطره .

وقد جاء أقدم دليل على امتداد هذه المملكة في الفقرات ٢٧ ــ ٣٢ من كتاب البريبلوس ، وفيها يتحدث عن مدينة قنا التي يصفها بانها مدينة تجارية على الساحل تابعة لاليازوس (العذ) ملك بلاد اللبان . ويذكر أن مدينة سبوتا (شبوه » تقع في الداخل وانها محل إقامة الملك ، وإليها يجلب اللبان لخزنه . ثم يتحدث عن العلاقات التجارية التي تربط قنا بالساحل الصومالي في الغرب ، وعمان والساحل الفارسي المجاور وبعض الموانى الهندية في الشرق . ويعدد انواع البضائع التي تجلب إليها من مصر ، والبضائع التي تصدر منها وعلى رأسها اللبان والصبر .

وفي فقرة أخرى يتحدث عن المنطقة المنتجة للبان ويصفها بأنها جبلية وعرة يجللها السحاب . ومن ذلك الوصف نستنتج أن المقصود هو ظفار وربما بعض اجزاء منطقة المهرة (المحافظة السادسة) لأنه يذكر فيما يذكر ميناء ومستودعا للبان يحرسها حصن مشيد عند رأس سياجورس (فرتك) .

ثم يتحدث عن جزيرة ديوسكريدس(سقطره) وطبيعتها ومنتجاتها وأهمها صدف السلاحف . ويقول أن سكانها خليط من العرب والاغريق والهنود الذين تجمعهم هناك ممارسة التجارة . ويؤكد ان الجزيرة تابعة لملك بلاد اللبان . ويصف لنا البضائع التي ترد إلى تلك الجزيرة ومن بينها الارز . ويشير إلى الزراعة فيها .

وفي الفقرة ٣٢ يذكر لنا ميناء لتصدير اللبان يقع على الساحل اسمه موشا ويبدو من الوصف أنه في ظفار أو قريب منها . ويذكر واردات ذلك الميناء واتصاله بقنا وبعض الموانيء الهندية .

ونجد في الفقرة ٣٣ إشارة تستحق منا الالتفات وهي قوله : « ووراء هذا (يقصد الجزر التي يدعوها زنوبيان ولعلها كوريا موريا) منطقة بربرية لم تمد تابعة لنفس المملكة (مملكة بلاد اللبان) وإنما اصبحت تابعة للفرثيين» . وأهمية هذه الفقرة — في نظرنا — تكمن فيما تحمله من احتمال امتداد مملكة حضرموت القديمة إلى ما وراء ظفار ، وإلى احتكاكات قديمة بالممالك الشرقية سبقت الغزو الفارسي لليمن قبيل الاسلام .

* * *

هذه الاخبار وما شابهها في كتابات الكلاسيكيين الاخرين امثال سترابو وبليني — (رغم ما اعتور هذه الاخيرة من تشويشات وتضارب في وصف المناطق والقبائل لاعتمادها على المعلومات من مصادر غير مباشرة ومن عهود مختلفة) — تدل دلالة واضحة على اهمية مادة اللبان وغيرها من انواع البخور والاعشاب الطبية في حياة الشعوب القديمة وخاصة للاغراض الدينية . كما تدل على اهتمام شعوب العالم القديم في حوض البحر الابيض المتوسط بما اسموه بلاد اللبان والشعوب والقبائل التي تعيش فيها وتحتكر تلك التجارة المربحة وتحيطها بهالة من التقديس، وتؤلف حولها الاساطير فيتناقلها الاجانب ويتزيدون فيها .

وفي العصور الحديثة تسابق العلماء والرحالة الغربيون ، الجادون منهم والمغامرون ، في الوصول إلى شبوه ذات الستين معبدا ، كما يقول بليني [٥٩] . وتنافسوا في البحث عن طريق البخور الرئيسية التي يحرم القانون الانحراف عنها . ومضى الكثيرون منهم يرسمون صوراً خيالية لبلاد اللبان ، حتى جاءت بعثة مؤسسة الانسان الامريكية عام ١٩٥٢ وقامت باجراء اول حفريات في ظفار . وسرعان ما ثبت لها انها أرض اللبان التي وصفها البريبلوس ، لتوافر غابات اشجاره فيها. وثبت بالدليل القاطع انها كانت جزءا من مملكة حضرموت القديمة . وقال يومها وندل فيلبس بحماس ظاهر وفرحة طافحة :

« لقد كانت حضرموت بلاد البخور لانها كانت مملكة مترامية الاطراف تتوسط بلاد العرب وتمتد إلى اظفار اعظم المناطق المنتجة للبخور » [٦٠] .

• • •

ويجدر بنا أن نستعرض هنا عمليات الحفر الاركيولوجي التي تمت في ظفار، معتمدين على كتاب وندل فيلبس الاخير « عمان المجهولة » لنرى كيف ترسمت البعثة الامريكية خطى ذلك التاجر القديم المجهول صاحب البريبلوس ، وكيف جاءت نتائج الحفريات مصداقاً لوصفه الدقيق : اجريت الحفريات الرئيسية المثمرة في مكان يدعى خور روري وهو مكان سبق ان تحدث عنه بنت [٦١] وكانت هذه المحاولة الثالثة بعد محاولتين سابقتين في مكانين آخرين لم ينتجا شيئاً يذكر. ويقع هذا الخور إلى الشرق من سلالة في منتصف الطريق بين قريتي البلاد ومرباط، وهو عبارة عن خور مستطيل في نهاية واد سد منفذه إلى البحر بكتلة رملية يمتد خلفها الماء نحو البر مسافة ميل واحد، ثم يختفي عندما يلامس أرض الوادي الصخرية .. وتقع الخرائب القديمة على الجانب الشرقي منه . وقد استغرقت الحفريات في ذلك الموقع ثلاثة مواسم فيما بين ١٩٥٢ و ١٩٦٢ م .

بدأ العمل اول الأمر في جانب من خرائب مدينة قديمة يعتقد انها ترجع إلى

مما يقرب من ٢٣٠٠ عام، كانت تقوم بحراسته احسن مواني الساحل الظفاري، كما يذهب البرايت، ورفعت هناك الانقاض عن معبد بكامله، وهو ما لم يحدث من قبل في اي مكان آخر من الجزيرة العربية.

ويشتمل ذلك المعبد على نظام معقد لمزاولة طقوس الوضوء والاغتسال الديني. ومذبحين للقرابين، وعديد من قطع النقد البرونزية وكمية من مادة البخور القديم [٦٢].

كما تم العثور على لوح برونزي عليه كتابات قديمة تتكون من ستة اسطر تقرأ من اليمين إلى الشمال، ويرجع الدكتور البرايت انه يعود إلى القرن الثاني للميلاد. وترجع أهميته إلى انه يعطي لنا اسم المدينه وهو سمهورم (س م هـ ر م) [٦٣] ويذكر في نفس الوقت (سين ذالم) معبود حضرموت الرئيسي وبذلك يثبت في اسطر قليلة الصلة القديمة بين ظفار وحضرموت.

وبتقدم الحفريات اكتشفت داخل أحد ابواب المدينة سبعة نقوش حفرت على احد الجدران تذكر العز ملك حضرموت، كما تذكر مدينة شبوة، ويرجح ان العز هو نفس الملك الذي يسميه البريبلوس باليازوس. وهكذا تزيدنا النقوش يقيناً بالعلاقة السياسية التي ربطت كلاً من ظفار وحضرموت في وقت من الاوقات بين القرنين الأول والثالث للميلاد.

ومن بين النقوش التي عثر عليها هناك صدفة نقش قدمه صاحبه إلى الاله « ود اب » [٦٤]. ولم يقدم لنا الكتاب صورته، غير ان هذه الاشارة قد تدل على ان جماعات معينية أو ربما اوسانية كانت تقيم هناك وتتعبد للاله (ود). ويذكرنا هذا بحالة مماثلة من حفريات حريضة (مذاب) التي سبقت الاشارة اليها.

وفي الموسم الثالث والأخير عثر على مذبح مسطح طوله قدمان ينتهي، كالعادة، برأس ثور. ويمتاز الرأس كما يقول وندل فيلبس، بصورة ورقة نبات

مثلثة الشكل على جبهته. ومع انه لم يقدم لنا صورة المذبح المذكور في الكتاب إلا ان هناك مذبحاً في متحف عدن تحلي جبهة رأس الثور فيه زخرفة مثلثة لا نستبعد أن تكون شبيهة بما يصفه الكاتب . على أن مذبحه ذلك يختلف عن المذابح العادية بعدم وجود ميزاب فوق رأس الثور .

ولقد اتضح من الحفريات ان سمهورم مدينة حصينة يقوم على سورها برجان، احدهما عند الطرف الجنوبي الشرقي والآخر عند طرفها الشمالي الغربي . ويبدو انه كان من الصعب مهاجمتها من الناحيتين الشرقية والجنوبية لقيام السور هناك على صخرة شديدة الانحدار . أما من الناحيتين الغربية والشمالية ، حيث يقوم السور على أرض منخفضة في مستوى بطن الخور ، فاننا نجد أن عرض الجدار يبلغ ٨ أقدام ، مما يوحي بان ارتفاعه كان يبلغ ما بين ١٥ و ٢٠ قدما . وتقوم القلعة هناك بحماية المدينة من تلك الناحية. كما ان مدخل الخور نفسه يتمتع بحماية طبيعة تتمثل في مرتفع صخري منبسط وشاهق يبدأ من طرف البحر مباشرة ولا يمكن ارتقاؤه إلا من الناحية الشمالية . كما أن بقايا سور كبير لا تزال اثاره بارزة للعيان على ظهر ذلك المرتفع الصخري المنبسط تزيد من احكام مناعة الموقع كله .

لم يقتصر عمل البعثة في ظفار على موقع خور روري أو مدينة سمهورم وإنما قامت البعثة بزيارة لمنطقة اخرى تدعى حنون ، تقع في إحدى مناطق اللبان وجيء منها بنقش(٦٥) يذكر الاله (سين) و (شبوه) ، كما يذكر (سمهورم). واسم حنون القديم ، وهو سانان ؛ ويسمى المنطقة كلها (اي ظفار) كما يقول الكاتب ، ساكلهن. وعثر هناك على صخرة يبلغ ارتفاعها $\frac{1}{2}$ ١ قدم عليها سطر من الكتابة القديمة .

وفيما عدا ذلك فان أبرز ما في خرائب حنون تسعة مستودعات طويلة وضيقة تشبه بصورة ملفتة للنظر مستودعات وجدت في الركن الجنوبي الشرقي

من سمهورم ومن الغريب انه لم يعثر في حنون إلا على شقفة فخـــار واحدة . واستنتج من ذلك ان حنون محطة للاقامة المؤقتة في موسم جمع اللبان ، يذهب إليها اللاقطون في ذلك الموسم وحده ، كما يفعلون في الوقت الحاضر .

الخلاصة ان الحفريات اثبتت بصورة قاطعة ، كما رأينــا ، ان ظفار الغنية بغابات اشجار اللبان حتى يومنا هذا ، كانت المعنية باسم بلاد اللبان في كتابات الكلاسيكيين وان اطلاق ذلك الاسم على حضرموت إنمــا يرجع إلى خضوع ظفار لتلك المملكة الواسعة . وجـــاءت الحفريات مصداقــاً لما قاله صاحب البريبلوس مع اختلافات بسيطة في تحديد المواقع والمسافات يمكن التجاوز عنها. ولربما ساعدتنا الحفريات في المستقبل على فهم أوضح لما جاء في البريبلوس .

٥ ـ سبأ

السبئيون في نظر الكثير من العلماء جاءوا إلى اليمن من الشمال . فالدكتور فرتزهومل يقول : ان الفترة السابقة لتاريخهم الحقيقي بدأت خارج اليمن ، ويرجح ان هذا الوطن الخارجي كان في الأصل في شمال بلاد العرب [٦٦] . ومثل هذا سبق ان أوصى به سترابو حين ربط بين الانباط والسبئيين لكونهم أول من سكن العربية السعيدة [٦٧] . وتمشياً مع هذا الرأي اقترح الاستاذ و.ف. البرايت تاريخاً لهجرتهم حوالي ١٢٠٠ ق.م ذاهباً في نفس الوقت إلى أن هجرتهم تلك تأتي بعد هجرة القبائل الأخرى (ممين وحضرموت وقتبان) والتي حدثت في تقديره حوالي ١٥٠٠ ق.م [٦٨] .

لكننا لا نستطيع أن نقطع برأي في هذه القضية الشائكة التي يكتنفها الظلام من كل جانب ، فلا نقول بهجرة بناة الحضارة اليمنية من الشمال كما لا نقول بهجرة كل الساميين من الجنوب وهي القضية التي شغلت أوائل الدارسين لتاريخ ما أسموه بالشعوب السامية ومنهم العرب ، وآثرنا ألا نخوض فيها هنا [٦٩] . هذه قضايا من الأفضل للعلم أن نرجىء الحكم فيها ، وأن نكتفي بالاشارة إليها حتى نحصل على مزيد من المعلومات الأكيدة من الحفريات العلمية المأمولة ومن النقوش ، وأن نركز دراستنا لهذه المملكة على ما هو ثابت وصريح . والثابت والصريح هو أن السبئيين وجدوا في اليمن منذ عصور موغلة في القدم. ويكفي

في هـــذه المرحلة أن نتحدث عن تطورهم السياسي في اليمن نفسه بالقدر الذي تتيحه المراجع والأدلة والقرائن المتيسرة لنا .

* * *

ولقد ورد اسم سبأ — دون غيرها من القبائل والممالك اليمنية القديمـة — في القرآن الكريم في سورة النمل وفي سورة تحمل اسمها ، سورة سبأ ، واقتضى ذكر القرآن الكريم لها ، وقرب عهودها الأخيرة من الاسلام ، أن يهتم بهـا الاخباريون العرب . ولكن المنافسة المضرية القحطانية الـتي أطلت برأسها في العصر الاسلامي الأول ، ثم صراع العرب مع الشعوبيين في العصور التالية ، أديا إلى كثير من المبالغات الواضحة التي أفقدت تلك الكتابات الكثير من أهميتها . وعمل انتشار الخط العربي الشمالي ونسيان الخط العربي الجنوبي (المسند) على عجز اليمنيين عن قراءة النقوش القديمة التي ظلت قائمة بينهم عبر القرون . ويعتبر كتاب الهمداني (الاكليل) أكثر الكتابات الاسلامية نفعاً في هذا المجال . ومثله الكتب الجغرافية واللغوية التي حفظت لنا أسماء الأمـاكن القديمة والمفردات المهجورة الآن .

* * *

وورد اسم سبأ بكثير من التفخيم في الكتابات الكلاسيكية — ومنهم بليني بأنهم أشهر من عرف من قبائل البلاد العربية[٧٠] وأفرد لهم سترابو فقرة مطولة ، نقلاً عن ارتيميدورس ، وصف فيها بلادهم[٧١] ، وذكر فيها انهم شعب كبير التعداد ، وان بلادهم شديدة الخصوبة ، تنبت المر واللبان وأنواعاً أخرى من الأعشاب ذكية الرائحة . وزعم أن لها أفاعي حمراء داكنة طول الواحدة منها شبر ، تقفز إلى خصر الانسان ، وانها إذا لدغت فإن لدغتها غير قابلة للشفاء . كما زعم أن السبئيين شعب كسول (؟) وان ذلك يعزى إلى خصوبة أرضهم . وقال أن ماريابا (مارب) عاصمتهم ، تقوم على جبل كثيف الأشجار ، وانه يحرم على

ملكهم مغادرة مسكنه ، فيقضي حياته مع حاشيته في المتع الحسية بين النساء . أما ابناء الشعب فإن حياتهم موزعة بين الزراعة والاتجار بالطيوب التي ينتجونها أو يجلبونها بالسفن المغطاة بالجلود من اثيوبيا عبر البحر. وختم كلامه بان السبئيين هم والجرهائيين [٧٢] أصبحوا بفضل التجارة أغنى القبائل . وأنهم يقتنون كميات كبيرة من الأشياء المصنوعة من الذهب والفضة ، والارائك والآنية ثلاثية القوائم والاحواض وأواني الشراب ، هذا بالإضافة إلى منازلهم الرائعة ، ذات الأبواب والجدران والسقوف المطعمة بالعاج والذهب والفضة والحجارة الكريمة .

ومن سترابو أيضاً نجد الاشارة الهامة التي اعتمد عليها المؤرخون حديثاً في تقدير تواريخ ملوك سبأ كما سيأتي . وذلك ما ذكره أثناء وصفه لغزوة اليوس جالوس لليمن من أنه بعد احتلال القائد الروماني اثرولا (يثل) تقدم نحو مدينة مارسيابا (مأرب ؟) التابعة لشعب يسميه رامايتي (اريمـــن) من رعـــايا الازاروس (الشرح ؟) وهاجمها ثم حاصرها ستة أيام رفع بعدها الحصار لقلة المياه [٧٣] .

* * *

ولا شك أن النقوش السبئية هي أوثق المصادر التاريخية التي يمكن الركون إليها ، ولدينا منها الكثير . ولكنها هي الأخرى تنطوي على فجوات كثيرة فيما بينها من ناحية التسلسل الزمني . ويرجع هذا ولا شك إلى نقص الحفريات بالدرجة الأولى . وهذا ، مضافاً إلى عدم استخدام التواريخ في أغلب النقوش أو استخدام تقاويم لم نعرف بعد أسسها [٧٤] ، يجعل من الصعب علينا ترتيب الحوادث التي تشير إليها النقوش الكثيرة التي بين أيدينا بما فيها من أسماء ملوك وحكام ورجال ذوي مناصب هامة وأفراد عاديين وقبائل ومدن ومناطق وآلهة .

وعلى ذكر النقوش السبئية لا نجد مناصاً من الاشارة ، مجرد الاشارة ، إلى نقش عجيب تعرض له الدكتور جواد علي [٧٥] . وهو عبارة عن لوح برونزي

حفرت عليه عبارة «عبد شمس بن سبأ بن يشجب يعرب بن قحطان» (ف ١٣٠٤).

ويعود الفضل في حصولنا على النقوش السبئية المعروفة إلى جهود العلماء الذين أشرنا إليهم في التمهيد من مستشرقين وعرب وخاصة الدكتور احمد فخري. على أن أحدث ما اكتشف من هذه النقوش هو ما عثرت عليه بعثة مؤسسة دراسة الانسان الامريكية أثناء عمليات الحفر، قصيرة الأجل، في موقع معبد المقه الشهير بحرم بلقيس في مأرب.

. . .

مكربو سبأ

ولا نكاد نعرف شيئاً عن الخطوات الأولى التي أدت إلى قيام دولة سبئية في اليمن. ولكننا، بغض النظر عن المكان الذي جاء منه السبئيون، نتوقع أن يكون المجتمع السبئي قد نظم نفسه منذ وقت بعيد جداً في شكل من أشكال التنظيم القبلي الذي يرأس فيه القبيلة رئيس أو شيخ من أبنائها. فنحن نلمس من النقوش قوة الرابطة القبلية التي كانت تربط أبناء سبأ والعلاقة الخاصة التي تجمعهم حول معبودهم القبلي «المقه»[٧٦].

ومن النقوش السبئية التي تم جمعها ودراستها حتى الآن، وآخرها ما عثرت عليه البعثة الامريكية في مارب، حاول العلماء التعرف على أوضاع الحكم في سبأ وتطوره في عهودها المبكرة. ولقلة المعلومات التي جاءت بها تلك النقوش تحفظ بعضهم في دراستهم تلك، واكتفوا بجمع الأسماء الواردة في النقوش، والتي توحي بأن أصحابها كانوا من طبقة الحكام، فصنفوها إلى أجيال أو جمهرات متعاقبة أو حتى غير متعاقبة. بينما حاول آخرون وضع تسلسل زمني لتلك الأسماء ابتداء من عام ٨٢٠ أو ٨٠٠ إلى عام ٦٢٠ ق.م[٧٧].

ويلاحظ أن كثيراً من تلك الأسماء لم تكن مقرونة بنعت من تلك النعوت.

التي ينعت بها الحكام (مثل ينف أو بين أو وتر الخ) ، كما لم تلقب في النقوش بلقب « مكرب » وهو اللقب الوحيد الذي تحلى به بعض الحكام في تلك الفترة، والذي من أجله سميت بفترة المكربين .

ويكاد يجمع العلماء على أن أقدم النقوش السبئية المعروفة لا يتجاوز القرن الثامن قبل الميلاد . ونلمس هذا الاتجاه عند البرايت الذي يجعل تاريخ أقدم مكرب سبئي معروف (دون ذكر اسمه) حوالى عام ٨٠٠ ق. م. وهو ما ذهب إليه فلبي أيضاً مضيفاً أن أول المكربين هو (سمه على) من غير نعت أو لقب . وهذا يعني أنه لا يوجد دليل خطي قديم على قيام مملكة سبئية في اليمن في القرن العاشر الذي عاش خلاله الملك سليمان ، والذي تحدثت الكتب المقدسة عن قيام ملكة سبأ بزياته في مملكته . ولكن هذا أيضاً لا ينفي وجود السبئيين في الأراضي المجاورة لمارب منذ وقت أبعد من ذلك بكثير حيث اتخذوا حاضرتهم الأولى « صرواح » بين التلال الواقعة جنوب مارب ، وشيدوا بها معبداً رئيسياً لالمقه وأقاموا في وادي « صرواح » المحاط بالجبال من كل ناحية « سداً لتخزين مياه الأمطار »[٧٨] .

ثم ما لبثوا أن احتموا بمارب ، حيث أقاموا السد العتيد ، كما أقاموا معبداً آخر لالمقه هو معبد « اوام » الشهير بمحرم بلقيس . وبمرور الزمن حلت مارب محل صرواح عاصمة لهم ، واستمر ذلك عهوداً طويلة جداً كما سنرى .

ويستدل من كتابات آشورية أن بعض الحكام السبئيين كانوا على صلة بملوك آشور خلال هذه المرحلة التي سميت بمرحلة المكربين . فمن عهد سرجون الثاني (ح عام ٧١٥ ق.م) نجد ذكر (اتى امرا) السبئي إلى جانب الملكة سمسي ملكة العرب على انهما قدما لسرجون اتاوة من الذهب والاحجار الكريمة والأعشاب والجمال . ويرجح ان المقصود هو يثع امر المكرب السبئي . ومن عهد سنحريب (ح ٦٨٥ ق.م) تأتي الكتابة التي تتحدث عن هدية أمر بارسالها

كريب ايلو الملك السبئي إليه ، وذهب بعض الدارسين إلى انه المكرب كرب إل وتر الأول [٧٩] . وعلل الدكتور هومل إطلاق لقب ملك على كرب إل في ذلك النقش بـــأن الآشوريين لم يهتموا كثيراً بألقاب هؤلاء الأمراء البعيدين ، ولذلك دعوا مكربا « ملكاً » [٨٠] .

ولهذه الإشارات الآشورية فائدتان كما هـــو واضح : أولاهما أنها تقدم لنا اساساً تاريخياً ثابتاً يساعدنا على تقدير بعض مراحل التاريخ السبئي ، والثانية انها تشير في نفس الوقت إلى الصلاة الخارجية النشطة للسبئيين مع الممالك الشمالية والتي يرجح أن لها علاقة بتجارتهم الخارجية في ذلك الوقت .

ولا بد وان السبئيين قد بدأوا الاهتمام بالتجارة منذ وقت بعيد يسبق تلك الكتابات الاشورية وسعوا من أجل ذلك إلى السيطرة على تجارة البخور بالذات . وهنا ينبغي الاشارة إلى موقع مارب الممتاز في ملتقى طرق القوافل القادمة من شبوه وقتا وعدن والحا في طريقها إلى الجوف والشمال .

وقبل القرن الخامس - كما سنرى - كان السبئيون قد قطعوا البحر الأحمر إلى البر الافريقي حيث أقاموا أسس حضارة جديدة هناك . وما كان ذلك ليحدث لو لم تسبقه أحداث وتطورات على البر العربي تسببت في تلك الهجرة الهـــامة خلال هذه المرحلة التي نحن بصددها .

ومهما يكن من أمر فإن الآثار الباقية من تلك المرحلة ، وخاصة في صرواح ومارب ، والمتمثلة في معابدها وأبنيتها الفخمة الضخمة وأعمـــال الري لتدل دلالة واضحة على الازدهار والرخـــاء كما تدل عـــلى تقدم السبئيين في فن المعمار وهندسة الري .

على أن أبرز أعمال هذه المرحلة ، بلا منازع ، هو ذلك السد الشهير المعروف بسد مأرب أكبر الأعمال العمرانية في التاريخ السبئي بل واليمني كله ، والذي

لا تزال اجزاء منه قائمة حتى يومنا هذا شاهداً حياً على الرخاء القديم . ويعتبر النقش (م ٦٢٣) أقدم اشارة إلى سد مارب إذ تحدث عن تعمير سمه على ينف للسد ربما في حوالي ٥١٠ ق.م[٨١] ثم توالت الاضافات بعد ذلك على أيدي حكام آخرين من بعده منهم يثع أمر بين ابنه (م ٦٢٢) .

ويبدوا ان نفوذ السبئيين قد امتد في تلك المرحلة إلى الجوف . فنحن نرى يثع أمر وتر بن يدع إل ذرح (م ٤٩٠) يترك نقشاً في الدابر[٨٢] بالجوف . كما ان يدع إل بين من بعده يقوم بتقوية أبراج نشق (ف ٢٨٥٠) .

ولم يكن عهد المكربين كله سلاماً وعمرانا وإنما قامت خلاله حروب . وأكبر الحروب المعروفة لدينا هي تلك التي خاضها كرب إل وتر (٤٥٠ / ٤١٠) الذي تلقب في أواخر عهده بلقب « ملك سبأ » . وقد وصلت إلينا أخبار تلك الحروب من نقشه الكبير في صرواح (ف ٣٩٤٥) لانه سجل فيه انتصاراته الساحقة على مناطق واسعة لم تكن من قبل تابعة لسبأ . ويعد ذلك النص بحق أحد المصادر الرئيسية للتاريخ السبئي في تلك المرحلة .

نقش النصر

يقوم نقش النصر في موقع معبد المقه الكبير في صرواح . وكان ارنود أول من أشار إليه . وحصل جلاسر على طبعات منه مضغوطة على الورق ، ثم قام الدكتور احمد فخري عند زيارته اليمن عام ١٩٤٧ بتصويره ونسخه . وقد لاحظ أن كثيراً من الأجزاء التي كانت سليمة أيام جلاسر قد أصابها التلف ، كما لاحظ أن أحد جانبي النقش يقع اليوم « داخل حظيرة للمواشي ، والجانب الآخر وسط المكان ومعرض لعبث الناس »[٨٣]

والنسخة التي نقلها فخري من النقش تظهر بجلاء التلف الكبير الذي أصابه حتى أننا لا نستطيع الآن أن نعرف ما جاء في مطلعه . فالسطر الأول لم يبق

منه من الكلمات الكاملة إلا القليل القليل، حتى اسم كرب إل نفسه لم يبق منه إلا حرفان .

تعود أهمية النقش ، فيما نرى ، إلى أنه أقدم نص طويل يصل إلينا ويحفظ لنا أسماء مناطق كثيرة ، ويساعدنا على معرفة الاراضي التي كانت جزءاً من مملكة اوسان شبه المجهولة والمناطق التي كانت مرتبطة بها ، ويعيننا على تكوين صورة عن الوضع في المنطقة في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد وهو القرن الذي تشير أدلة كثيرة إلى انه شهد عملية مخاض كبيرة أدت فيما بعد إلى ازدهار كل من حضرموت ومعين وقتبان .

ويبدو كرب إل وتر ، المكرب الذي أصبح ملكاً بأمر الالهة ، منتشياً من أول سطر في النقش الذي يسجل فيه أحـــداث انتصاراته العديـدة الواسعة وحدود اقطاعياته المترامية ، وذلك بعد افتتاحية قصيرة (س ١ — ٢) يقول فيها أن الالهـــة [٨٤] أوحت لكرب إل وتر بن ذمر على مكرب سبأ بملكه لألمقه ولسبأ يوم أن وحدت الشعب . وبعدد ما تقرب به إلى عثتر وإلى هوبس، ثم يتحدث عن تجديده لرابطة (معشره) سبأ ليكونوا يداً واحدة(كأحد). ويشكر الاله التي جادت عليهم بالامطار . ويصف الاعمال الزراعية التي قام بتنفيذها .

وكل ذلك ، رغم الايجاز ، يبين بصورة جلية وقوية شخصية ذلك المكرب الملك، وسعة نفوذه في قومه، وإمساكه بالسلطتين الدينية والزمنية بيدين ثابتتين، واهتمام قومه بالزراعة ، وسطوة النظام الاقطاعي القبلي انذاك وازدهاره .

اما بقية النقش (س ٣ — ٢٠) فعبارة عن وصف لغزوات وحملات شنها ذلك الملك على مناطق واسعة امتدت من المسافر في الغرب (قريباً من البحر الاحمر) إلى عرمه في الشرق ، من أدوية حضرموت اليوم ، ومن ساحـل أبين في الجنوب إلى اطراف نجران في الشمال . ويبدأ كل حملة رئيسية بعبارة (ويوم

مخض) . ويمكن تقسيم النقش إلى الاقسام التالية :

(١) الحملة على المعافر	الاسطر (٣ — ٤)
(٢) الحملة على اوسان	» (٤ — ٧)
(٣) الحملة على دهسم (يافع ؟)	» (٧ — ٨)
(٤) تقسيم المناطق	» (٨ — ١٣)
(٥) الحملة على كحد دسوطم	» (١٣ — ١٤)
(٦) الحملة على تشن ونشق	» (١٤ -- ١٧)
(٧) الحملة على سبل وهرم وفننن	سطر (١٨)
(٨) الحملة على مهامرم وأمرم	» (١٩ — ٢٠)

(١) الحملة على المعافر (٣ — ٤) :

يصف الحملة على المعافر بالعبارات التالية :

« ويوم هاجم أو ضرب (مخض) سادم واحرق نقبتم وكل مدن المعافر وقهر ظبر وظلم واروي واحرق كل مدنهم . وبلغ عدد قتلاهم ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) والسبي منهم ثمـانية آلاف (٨٠٠٠) . وضاعف عليهم الجزية . وفرض عليهم مع الجزية (غرامة) من البقر والمـــاعز (؟) يدفعونها مع الجزية . وهاجم ذبحن ذقشرم وشرجبب واحرق مـدنهم . وتملك لالقمه ولسبأ عرهم (= جبل حصين) عسمت ومصدر مياههم صير » .

ولا يعبأ النص بذكر أي مبرر لهذه الهجمات . غير اننا ندرك بوضوح منذ البداية أن كرب إل سعى اول ما سعى إلى السيطرة على أرض المعافر في الطرف الجنوبي الغربي وفي الطريق إلى شواطىء البحر الاحمر . وان ذلك كان قصاً لأجنحة اوسان التي كانت تسيطر على منافذ التجارة البحرية وتمهيداً لهجماته على المناطق الأخرى التي امتدت إليها اوسان بصورة أو بأخرى .

ويحدثنا الهمداني في مواضع كثيرة من كتابه « صفة جزيرة العرب » عن المافر فيقول عند الحديث عن « مخلاف المافر » (ص ٩٦) :

« اما جبا واعمالها وهي كورة المعافر فهي في فجوة من جبل صبر وجبل ذخر . . . وشراب الجميع من عين تتحدر من جبل صبر غزيرة يقال لها انف . . . وساكني هذه المواضع من بطون حمير من ولد المافر يعفر » . ويذكر ذبحان إلى جانب المافر فيقول عند الحديث عن السراه (ص ٦٧) :

« فمبتدأ هذه السراة من أرض اليمن أرض المافر . . . . وهي تجمع مخلاف ذبحان والجوه وجبا وصبر وذخر . . . . ويسكن هذه المافر نسل المافرين يعفر ومن همدان الخ . . . . » .

ويورد شعراً (ص ٢١٧) :

طبقت بالسيول ابين حتى ... لججها وهي والسماء سواء
تلكم احور وتلك الدثينا ... ت مع السرو جنة خضراء
ولذبحان فالمافر فالساحل ... من غورها ضباب عماء

فذبحان هنا ذبحان المافر وكذلك شرحب هي « ايضاً من المعافر الحجرية » [٨٥] . اما صير فلدينا في صهبان بلواء إب قضاء السياني موقع يدعى « مصنعة صير » لا بد ان له صلة بما جاء هنا .

ويصعب تحقيق المواقع الاخرى التي وردت في النص . ولكن يبدو ان سادم ونقبتم من مدن المافر كما يقتضي السياق . ولا ينبغي أن تبعد مواقع ظبر وظلم وأروي كثيراً عن أرض المافر وذبحان .

(٢) الحملة على اوسان (٤ — ٧)

وينتقل إلى وصف الحملة على اوسان فيقول :

« ويوم هاجم ، اوضرب ، اوسان فكان قتلام ستة عشر ألفاً (١٦٠٠٠) والسبي منهم أربعين ألفاً (٤٠٠٠٠) . ونهب ودمر من الجاتم إلى حمن وأحرق كل مدن انفم وأحرق كل مدن حبان وذيب . ونهب اوديتها ونهب نسم ذهب (ارض مروية) رشاي وجردان . وهاجم دثينة وأحرق كل مدنها وهاجم تفض ودمرها وأحرقها ونهب اذهبها وهاجمهم حتى بلغ البحر وأحرق كل مدنهم التي على البحر .

وضرب بوسر حتى اكتسح اوسان ومرتوم ملكهم واستعبد رؤس مسود اوسان لسمهت

واعمل فيهم قتلاً وسبياً وأخذ رياش (خرش) بيته (أي مرتوم) مسور . وطمس كل كتــابه ثالت من كرب إل من بيته مسور وكتابات بيوت الهتهم ..... بيته مسور .

وعـاد (؟) ولد المقة وجوم احرارم وعبيدهم من أراضي ذي اوسان ومدنهم . وأعطى لالمقة ولسبأ سرم واراضيها وحمدن واراضيهم ، وسوّر مدن سرم ونظم الري في أوديتها وسلمها لسبأ .

هذه حملة تبدأ من ديار الاوسانيين الاصلية وهي وسرم كما يظهر من تكرار ذكرها والتي يعتقد انها في نواحي وادي مرخه . فلجأتم التي قد تكون لجية التي ذكرها الهمداني في الصفة (ص٩٥) ضمن مناطق مرخة وقال عنها انها «واد كثير النخل والعلوب » . وكذلك « حمان » بفتح الحاء المهملة والميم وآخره نون ، انقاض موضع باعلا مرخة »[٨٦] .

وحبان واد معروف بهذا الاسم إلى اليوم وهو اسم ساكنيه ايضاً (بالمحافظة الرابعة) وكذلك ذيبة قبيلة حميرية تسكن إلى جوار حبــان . ولا نعرف موقع انفم ، وكذلك نسم. اما نسم الجوف فليست هي المقصودة [٨٧]. ورشاي:

هو وادي رشاء الذي يصب في وادي جردان [٨٨] . أما جردان فواد معروف بين مرخة وحبان . ثم يتوجـــه إلى الغرب ليغزو دثينة أو الدثنيات كما يقول الشاعر. ودثينة معروفة إلى اليوم(بالمحافظة الثالثة) . ومنها وينطلق مكتسحاً المناطق الساحلية حتى نواحي ابين (تفض ؟) ، ليعود ثانية لتسوية حسابه مع مرتوم ملك اوسان فيكتسح اوسان (القبيلة) وملكها مرتوم. ويستذل رقاب رؤساء الطبقة العليا (المسود) ويسلب ما حواه قصر الملك المسمي مسور من رياش ثمين . ويحرص على أن يطمس كل الكتابات التي تعرضت له(اي كرب إل) بالانتقاص . وهذه اشارة هامة لعلها تعني هزيمة سابقة الحقتها اوسان بكرب إل نفسه فكان هذا الانتقام الرهيب .

وفي النقش تلف بعد هذه الفقرة . ولعل جيش سبأ قد عـاد بعد ذلك من اراضي اوسان ومدنها . وبلا مقدمات نجده يتحدث عن اعطاء سرم (سروم؟) واراضيها وحمدن (حمدان) واراضيها لالمقة وسبأ . (أي للدولة) ولكن لا ندري هل هذه المناطق امتداد لما سبق أم هي مناطق أخرى .

(٣) الحملة على دهسم (يافع ؟) (٧ — ٨)

يقول :

« ويوم هـاجم دهسم وتبني وكان قتلاهم ألفين (٢٠٠٠) والسبي منهم خمسة آلاف (٥٠٠٠) ، وأحرق مدنهم ... (تلف في النقش) . يقول القاضي محمد بن علي الاكوع [٨٩] : دهس بفتح اوله وسكون ثانيه وآخره سين مهملة ، وتبني بفتح التاء المثناة من فوق وسكون الباء الموحد وآخره ألف مقصورة : موضعان متاخمان لمرخـــة وشرقي مسورة سرومذ حج بلاد البيضاء . ويرى آخرون أن دهس هي يافع وتبني هي لحج [٩٠] .

(٤) تقسيم المناطق (٨ – ١٣)

بعد عبارة « وأحرق مدنهم » التي انهى لهـا الحملة على دهسم وتبني تعرض

النقش لخراب لا ندري ماذا جاء فيه . غير اننا نلاحظ أن الفقرات التالية كلها عبارة عن وصف للاجراءات التي اتخذها كرب إل بحق تلك المناطق التي غزاها فهو يقول :

أ) ووهب دهسم وتبني ودثنت لالقمه ولسبأ (أي لـلدولة) . ووهب عودم (التي لم يرد ذكرها من قبل أو لعلها وردت في الجزء التالف من النقش) لملك دهسم (؟) . وانتزع من اوسان ولد عودم وممتلكاتهم لانهم حالفوا المقة وسبأ (؟ ؟) .

(تلف آخر في النقش)

ب) ثم عبـارة كل اراضيهم (ا ا) .. وانفم ومدنهم واذهبهم واعررهم واسررهم (اوديتهم) ومراعيهم اقتطعها لنفسه .

ونسم ورشاي وجردان إلى فخذ ألو وعرمه (عرمو) التـــابعة لكحد (ذات كحـــد) .. وسيبان واراضيهم ومدنهم انخ وميفع ورتحم وكل أرض عبدان ومدنهم وسرهم ومرعاهم وجند عبدان حرهم ورقيقهم اقتطعهم ...

(تلف آخر في النقش)

... دثينة احلفوا وميسرم ودثينة التـــابعة لثبرم (ذات ثبرم) وحرثو (وكل) مدنها واسررها ومناطقها واذهبها واعررها ومراعيها اقتطعها. وكل قسط ؟ (سادة) موالى (ادم) ذي ثبرم واولادهم ومقتنياتهم إلى البحر ....

(تلف آخر)

... ومناطقها وأذهبها وعرهـا وسرها ومرعاها اقتطعها ، وكل مدن ومناطق (ابضع) حول منطقة تفض (ابين) باتجـاه دهسم (يافع) والتي على البحر وكل البحار التـابعة لهذه المناطق (؟) وكل أرض يلاي وشيعن (٩١) .

وعبرت ولبنت كل مدنهم وحراثتهم (محرثتمهمو) ومرعـاهم وأسررهم وعرهم اقتطمها . وكل ما اقتنى مرثوم بدهسم وبتبني .

جـ) واعطى يتحم (التي لم تذكر من قبل) وقسطهم وانمهم ؟ (عامتهم) ومنطقتهم واعررهم واسررهم ومرعاهم لالمقة ولسبأ .

واستولى على كحد ذي حضم قسطهم وانمهم واعطى كل من حالف كرب إل من ... اقطاعية لالمقة ولسبأ .

وتملك كرب إل قسط كحد احرارهم وعبيدهم واولادهم ومقتنياتهم وكل جند وقسد (؟) يلاي وشيمن وعبرت واولادهم ومقتنياتهم اقطـاعية لالمقة ولسبأ .

د) ووهب لسين ولحول (الهي حضرموت) وليدع إل ولحضرموت اراضيهم من تحت ذي اوسان (بن تحتي ذا اوسان) . (اي التي كانت تحت يد اوسان).

ووهب اراضي عم وانسبي (الهي قتبان) وورو إل من تحت ذي اوسان نتيجة لمحالفة (بذت آخو) حضرموت وقتبان لالمقة وكرب إل وسبأ .

(ملحوظة : في ظننا أن الكلمات قسط وانم وقسد يصعب تحديد مدلولهـا بدقة) .

(٥) الحملة على كحد ذسوطم (١٣ - ١٤)

ويصف حملة اخرى ضد فرع من فروع كحد فيقول :

« ويوم هاجم كحد ذي سوطم لانهم خـانوه أو غدروا به فكان قتلاهم خمس مئة (٥٠٠) والسبي من اولادهم ألف (١٠٠٠) وأخـذ من انمهم ألفين (٢٠٠٠) واستولى على كل مواشيهم ومقتنياتهم » .

هذه حملة تأديبية أو انتقامية نتيجة لغدر هذه القبيلة وقد حرص كرب إل

على أن يذكر المبرر هنا . وقبيلة كحد صاحبة سوط (ذسوطم) هي غير كحد صاحبة حضن (ذت حضنم) السالف ذكرها . وكان قد وصف عرمة (عرمو) بانها تابعة لكحد (ذت كحد) . والمعروف ان الهضبة التي تشقها اودية كثيرة من بينها وادي عرمه، تسمى السوط . ولعل كحد ذسوطم كانت تسكن بتلك المنطقة . كما أن لفظة حضنم (حضن) توحي بأن مساكن كحد الاخرى كانت المنخفضات التي في السهول إلى الغرب من السوط . ومن المعروف ان القبائل الكبرى تنقسم عادة إلى (عليا) و(سفلى) وفقاً لاماكن إقامتها .

ومهما يكن من أمر فان كرب إل فرغ بهذه الحملة من امر المناطق الجنوبية الوسطى والشرقية والتي عرفت فيما بعد بأنها ضمن مناطق حمير وولدعم .

(٦) الحملة على نشن ونشق (١٤ – ١٧)

ويتحدث ايضاً عن حملة في الجوف فيقول :

« ويوم هاجم نشن وأحرق مدنهم . ونهب عشر وبيحان (بيحن) وكل أوديتهم لما تمردوا ذات مرة (باحد منشأم) . ويوم تمرد نشن للمرة الثانية (ويوم نشن تنيم منشأم) : حاصر نشن ونشق (نقشم) وفقا لنبوءة عثتر ثلاث سنوات واخضع نشق وأرضها لالمقه ولسبأ ، وقتلى نشن كانوا ألفاً . واكتسح سمة يفع ونشن . واسترد أراض كان ملك سبأ قد وهبها لهم فوهبها هو لالمقه ولسبأ . واستولى على مدنهم. قوم وجوعل وفدم ودورم وشبم ومدن أيكم وكل ما اقتنى سمه يفع ونشن بأيكم . واستولى باسم المقه على امتداد الحدود وسبأ على مناطقهم لموضع الاوثان (؟) (لمهيع اوثان) حتى وثن منهيتم [٩٢] واستولى على ماء (عذب) صلم وماء حمرت وحرم ملك نشن ونشق من ماء مذاب[٩٣] وازال (نضع) سور مدينتهم نشن حتى اساسه . (ولكنه) اعفى مدينة نشن من الحريق (وهجرن نشن يهحرم بن موفط) . واستولى على رياش بيتهم عفرو (قصر أو معبد) ورياش مدينتهم نشن .

وفرض على سمة يفع ونشن بان تسكن سبأ (كذيجور سبأ) بمدينة نشن وبأن يبني سمة يفع ونشن بيت الله بوسط مدينة نشن .

وانتزع ماء ذقفمن من سمة يفع ونشن واقطعه يذمر ملك هرمم وانتزع من سمة يفع ونشن حرة ذات ملك وقه واقطعها نبط على ملك كمنهو وكمنهو من حرة ذات ملك وقه إلى حـــد حدده كرب إل . وسور نشق ووضعها تحت اشراف سبأ لالقمة ولسبأ .

هذه حملة على مدينة نشن وملكها سمة يفع في مرتين ثارت خلالهـــا هذه المدينة مما يدل على انها كانت خاضعة له من قبل . ولا نرى علاقة بالضرورة بين حملاته السابقة التي استهدفت اوسان ومناطق ذات صلة بها وبين هذه الحملات على مدن الجوف التابعة لنشن وملكها والتي نفهم من السياق أنه لسبأ اقطاعيات فيها.

ونلاحظ أن نشق من ذلك التاريخ اخضعت لسبأ مباشرة وقــد حرص على تسويرها ليسهل الدفاع عنها بينما ازال سور نشن ليسهل تأديبهـا إذا ثارت ، كما انه اسكن فيها سبئيين لضمان عدم تمردها . وهنـــاك مساند سبئية كثيرة من مختلف العهود تشير إلى تلك السبئيين للارض بنشق . وحرص بعض ملوك سبأ وذي ريدان على ذكر نشق إلى جـــانب مدنهم المفضلة مأرب وصنعاء كما فعل الشرح بيحضب (جام ٥٧٧/١٧) وشمر يهرعش (٦٤٧/٢٨) .

(٧) الحملة على سبل وهرم وفننن (١٨)

« ويوم هاجم سبل وهرم وفننن واستولى على كل مصادر مياههم وأحرق مدن سبل ، ومدن هرم ، ومدن فننن . وبلـغ قتلاهم ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) ، وقتل ملوكهم ، وبلغ السبي منهم خمسة آلاف (٥٠٠٠) . وأخذ من مواشيهم ١٥٠ ألفاً . وفرض عليهم جزية لالمقة ولسبأ » .

وهنا ايضاً كان سبب هذه الحملة غدر هذه المدن. ولهذا كان الانتقام رهيبا .

(٨) الحملة على مهامرم وأمرم (١٩ — ٢٠)

« وهاجم مهامرم (بعد المدن السابقة مباشرة على ما يبدو) وأمرم (أرض امير) [٩٤] وكل قبائل مهامرم وعوهبم وكان قتـــلاهم خمسة آلاف (٥٠٠٠) والسبي من اولادهم اثني عشر ألفــاً (١٢٠٠٠) واستولى على مواشيهم من إبل وبقر وحمير وغنم (؟) عـلى مائتي ألف .. وأحرق كل مدن مهامرم . واستولى على يفعت ورياشها .. كما استولى كرب إل على أرض زراعية لمهامرم بنجران . وفرض على مهامرم جزية لالمقة ولسبأ » .

وهكذا فإن كرب إل وتر الذي خاض هذه المعارك للقضاء على اوسان وحلفائهــا قد سعى في نفس الوقت إلى الاستحواذ لنفسه ولمملكته ولقبيلته على أجـود الاراضي في الجوف ونجران وفي السهول الساحلية الجنوبية . والصورة التي يرسمها النقش (ف ٣٩٤٥ أ) تجعل من كرب إل ملكاً مهيمناً على اكثر بقاع اليمن .

وفي نقش آخر له (ف ٣٩٤٥ب) يواصل وصف انجازاته التي تغلب عليها في هذا الجزء الصفة الاقتصادية والعمرانية الاقطاعية . فيذكر :

١) انه سور عـدداً من المدن من بينها يثل من مدن الجوف وهي ثالثة المدن التي اهتم بها السبئيون طيلة عهودهم .

٢) كما قام باصلاح مسايل الميـــاه حول تمنع وسور عدداً من المدن هناك . واعطى «لولد عم» كل مدنهم لأنهم حالفوا المقة وكرب إل وسبأ .

٣) واحتفظ لنفسه بمناطق زراعية واسعة أدخلها ضمن اقطاعياته . واشترى عبيد بعض كبار الاقطاعيين .

٤) ولم ينس أن يوسع املاك قبيلته فيشان .

٥) واتم تعلية قصره سلحم « سلحن ؟ » واضاف اصلاحـات جديدة إلى

المساقي المتفرعة من سد مأرب من ناحية «يسرن» من رادي اذنه

٦) واصل الحديث عن الاراضي التي انتزعها من اصحابها الاقطاعيين واضافها إلى اقطاعياته الكثيرة .

٧) وتحدث عن تقدمة قدمها لعثتر في إحدى المناسبات .

٨) كما اضاف اراض كثيرة أخرى إلى قبيلة فيشان .

* * *

هذه نظرة سريعة على النقش الخطير بجزئيه ولا ندعي اننا شرحنا كل مما ينطوي عليه من ادلة ومعان . وإذا كان لنا أن نفحص هنا بعض الدلالات فإنه ينبغي أن نشير إلى التالي :

١) اول ما يلفت النظر هو أن كرب إل قام بحملاته تلك في أربعة اطراف ووصل إلى البحر حيث دمر المدن هناك . ولا شك انه إنما فعل ذلك انتقاماً من اساءات أو اضرار سابقة الحقتها به تلك المناطق أو رغبة في انتزاع مكاسب كانت تحققها من دونه .

٢) والخصم الرئيسي كان اوسان الذي حوى قصر ملوكها ومعابدها كتابات انتقصت من كرب إل أو لعلها سجلت هزائم سابقة الحقت به .

٣) ولقد لاحظنا أن انظار كرب إل اتجهت اولاً إلى الطرف الغربي الاقصى عند البحر الاحمر . ولعله تمكن بذلك من أن يوجه ضربة شديدة لاقتصاد اوسان والمناطق المرتبطة بها . ولقد عمل كرب إل على تأمين ظهره قبل أن يبدأ غزواته فحالف جهات عديدة بعضها نعلم انه كان متضرراً من اوسان وهما حضرموت وقتبان ، وبعضها ربما قام بدور الطابور الخامس في صفوف اوسان كما يستشف من الاشارة إلى « ولدعودم » . وهادن كرب إل كحد ذي سوطم

وهو يحارب سيبان في نواحي ميفع ويغزو حبان وذيب وجردان حتى نواحي عرمة . وذلك في الوقت الذي حارب فيه ايضاً كحد الاخرى ذات حضنم .

٤) ان سير المعارك رغم صعوبة تحقيق كثير من الاسماء ، ان كانت لقبائل أو مدن ومواقع ، يساعدنا على تكوين فكرة عامة عن المناطق التي قامت فيها مملكة اوسان ومدى مـا وصلت اليه من انتشار وازدهار . ونلاحظ من ناحية أخرى ان حروب كرب إل غطت فيا غطت كل المنـاطق التي عرفت فيا بعد بأنها ديار حمير .

٥) أخذ على تلك الحروب انهـا اضعفت اليمن وخربت المدن وشجعت بروز الاعراب كمنصر مشاغب . ولا ندري هل نأخذ الارقام التي حرص على تسجيلها كرب إل وتر على علاتهـا أم ترى انها اشتملت على مبالغات . ولكن مهما تكن المبالغة فما لاشك فيه ان تلك الحروب الواسعة قد غيرت مصاير خلق كثير وهزت اركان حياتهم .

٦) والظاهرة البارزة في اجراءات كرب إل هي سيادة العقلية الاقطاعية على كل تصرفاته . وفي النقش ايضاً اصطلاحات واشارات كثيرة عن النظـام الاجتماعي آنذاك من ملوك صفاد ومسود وكسد واسد وقسط وانم وادم وعبيد، وهي مصطلحات لا تزال في حـاجة إلى مزيد من الدراسة والتدقيق . ويلفت النظر ايضاً عمليات السبي الكبيرة التي تتم في اعقاب الغزو .

٧) ولقد أتبع كرب إل اساليب متعددة كانت القسوة الزائدة فيها — كما يبدو — نتيجة الخوف من انتقاض القبائل المغلوبة والحرص على ضمان خضوعها اطول مدة ممكنة . من تلك الاساليب :

أ — الاكثار من القتل لاضعاف القوة المقـاتلة لدى الخصوم والمنـافسين وارهابهم .

ب – الاكثار من السبي من الصغار إلى جانب الكبار لنفس الغرض .

جـ – احراق المدن وسلب مقتنياتها الثمينة « خرش » لاضعاف قوتها الاقتصادية .

د – اتباع ذلك بفرض أنواع مختلفة من الغرامات التي تحرم الخصم من تنمية موارده . مثال ذلك الاعداد الهائلة من الحيوانات بأنواعها .

هـ – ثم فرض الجزية وهو مبلغ يتكرر دفعه سنوياً وتختلف نسبته من منطقة إلى أُخرى. ففي المعافر البعيدة عن مركز حكمه وحيث اكتفى بامتلاك جبل حصين « عرعسمت» وأحد مصادر المياه « منهيتهم صير » حرص على أن يضاعف الجزية .

و – مصادرة الأراضي باسم الملك شخصياً أو باسم قبيلته أو باسم الدولة « المقه وسبأ » واستخدام السكان كأجراء أو مستأجرين فيها .

ز – إضعاف الزعماء المنافسين وقتل الخطرين منهم وضربهم بعضهم ببعض كما حدث في تعامله مع ملوك الجوف الصغار .

ح – إزالة أسوار المدن لاضعاف دفاعها في حالة التمرد .

ط – إحلال السبئيين في بعض المدن أو الأراضي المغلوبة .

٨) وفي النقش فوق ذلك كله مصطلحات مفيدة تصور لنا جوانب من نظام الحياة في ذلك العصر وخاصة فيما يتعلق بحياة القبائل والمدن من حيث توزيع الأراضي بينها إذ لكل مدينة أو قبيلة مساحات من الأراضي المروية والأودية الصغيرة والجبال الشاهقة (الاعرر) التي هي دليل المنعة ، وأحد وسائل الدفاع ، إذ أنهم كانوا يحرصون – كما نفهم من نقوش كثيرة – على أن تكون

مساكنهم حول هذه الاعرر إذا توفرت . ولكل عر اسم يعرف بـــه . ومن أسماء الجبال الحصينة أخذوا الأسماء لقصورهم كما فعل بنو ريدان وكما فعل ملوك حضرموت حين سموا قصرهم شقر أو شقير (ف ٤٩١٢ / ٢) ربما على اسم جبل شقير في بيحان (٩٥) . وأكثر من ذلك أننا نستطيع أن نعرف طبيعة البلد التي يصفها النص من مجرد ذكره « للمر والذهب والسر الخ » فنستطيع أن نرجح ان كانت المنطقة في الجوف مثلاً أو في غيره من هذه التفاصيل التي ترد في قائمة المصادرات التي حرص كرب إل على تسجيلها .

٩) وأخيراً لقد هزمت اوسان فيما نظن لأنها كانت قد بدأت فى الانحدار ربما بعد أن تجاوزت قدرتها في الاتساع . ولعل نفس الشيء قد حدث لسبأ بعد كرب إل ولو أنها لم تسقط سقطة اوسان وإنما مرت بفترة صراع طويل طويل، وحتى عندما انتصر الحميريون ، احتفظوا باسم سبأ إلى النهاية .

ملوك سبا

حفظت لنا المساند المعروفة اسماء عدد من الحكام الذين يعتقد انهم حكموا بعد كرب إل وتر (ح ٤١٠ ق.م) ولكنها لم تقدم لنا تفاصيل كافية تساعدنا على تكوين صورة عامة عن عهود أولئك الحكام وما حدث خلالها من تطورات في مختلف مجالات الحياة .

وقد آثر بعض الدارسين ، من جراء ذلك النقص، ان يجمعوا الاسماء الواردة في النصوص وأن يصنفوها إلى جهرات وأجيال معترفين أن المسألة شائكة . وحاول آخرون ترتيب الأسماء مشيرين إلى وجود فجوات في التسلسل الذي اقترحوه (٩٦) .

وقدم لنا فون فيسمن قائمة تعتمد على دراسة جديدة تغطي القرون الأربعة التي وصلت بين عهد كرب إل وتر الثاني حسب وصفه وآخر المكربين (٤١٠ ق.م) وبين زمن الغزوة الرومانية (٢٤ ق.م) (٩٧) .

ورغم قلة ما بين ايدينا من معلومات عن هذه الفترة الطويلة فإننا نستطيع أن نتصور أن الموجـــة التي تمثلت في حروب كرب إل وتر عندما انحسرت اعقبتها نهضة في الممالك الأخرى التي يظن انهـا بلغت ذروة ازدهارها بعد تلك الحروب .

وأما عن سبأ فلدينا نقش سبيء (جام ٥٥٥) يصور لنا جانباً من جوانب الحياة فيا بين أواخر القرن الرابع ومطلع الثالث قبل الميلاد [٩٨] . وصاحبه هو ذمر كرب بن ايكرب بن شوذبم الذي يدعو نفسه قينا يشمر ويكرب ملك وسمه علي ويدع إل ويكرب ملك سجله بمناسبة تقربه إلى المقه عندما بنى جزءاً من سور معبده اوم . وتعود أهمية النقش في نظرنا إلى أمرين :

الأمر الأول : هو ما ينطوي عليه من دلائل تتعلق بازدهار النظام الاقطاعي الذي لمسناه قوياً في نقش كرب إل وتر (ف ٣٩٤٥) . فهذا القين تنتشر أملاكه في بقاع كثيرة يعددها لنا في النقش (س٢و٣) : —

(أ) بيته يهر ونخله ذي صوم وذي ردمان وذي اوين وذي مقلدن (المقلد) .

(ب) وشرون وعقنتن وذي مسقمم ويملأ صحل واحطبن بالمفلق الأيسر (أي بسد مأرب ؟) .

(جـ) ونخله في الشمال بمنطقة نشق (في الجوف) .

(د) وبيته بمدينة جهران .

(هـ) واراضيه وغيوله بمنطقة قبيلتي مهأنف ويبرن .

والأمر الثاني : هو اشارته إلى حرب خاضها مع سمه علي ينف بارض قتبان . ولعل سبأ قد استعادت وقتها بعض الأراضي التي انتزعتها منها من قبل قتبان في عهد يدع أب يجل (ف ٣٨٥٨) .

وليس هناك أي دليل على تأثر الحياة في اليمن في أواخر القرن الرابع ق.م بفتوحات الاسكندر المقدوني خاصة وان الأجل لم يمهل ذلك الفاتح الكبير لكي

يستكمل محاولة اكتشاف الشواطيء العربية التي بدأها في أخريات ايامه ، تمهيداً لمحاولة ضم بلاد العرب [٩٩] .

وفي القرن الثالث رغم اهتمام البطالمة (خلفاء الاسكندر) في مصر بالبحر الأحمر فان معظم التجارة في السلع الشرقية ظلت في ايدي العرب . ولعل هذه الحقيقة هي التي املت على اجاثر خيدس قوله :

« ليس هناك من الامم من هو أغنى من السبئيين والجرهائيين [اصحاب مدينة ازدهرت حينذاك في الخليج العربي] الذين كانوا وكلاء كل شيء يقع تحت اسم النقل من آسيا واوروبا . فانهم هم الذين جعلوا سوريا البطالمة غنية بالذهب وهم الذين سهلوا للفينيقيين سبل التجارة المربحة » .

ومن الجدير بالذكر هنا ان نقش الجيزة المعيني (ف ٣٤٢٧) الذي سبقت الاشارة إليه يعود إلى ذلك القرن .

وقد ساعد على ازدهار الحركة التجارية بصفة عامة ان الاسكندرية التي أسسها الاسكندر الأكبر والتي اصبحت حينذاك مركزاً للتجارة بين مختلف ارجاء العالم القديم عملت على زيادة حجم التبادل التجاري بين الشعوب [١٠٠] .

ولقد امتد ذلك الازدهار إلى القرن الثاني قبل الميلاد وهو الوقت الذي بلغ فيه نشاط اليمنيين جزر البحر الابيض المتوسط (ف ٣٥٧٠) .

ولكننا في القرن الثاني ايضاً نرى قتبان على عهد يدع أب ذبيان بن شهر تسيطر مرة اخرى على مناطق واسعة كانت من قبل قد آلت الى سبأ . على انه طوال هذه القرون الثلاثة رغم التنافس بين الممالك اليمنية ، كما لمسناه في العلاقات السبئية القتبانية ، فإن الازدهار — فيما يبدو — كان شاملاً . وكان هذا هو السبب في كل ما غصت به الكتب الكلاسيكية من قصص الثراء والبذخ العربية .

ولكن نهاية القرن الثاني قبل الميلاد شهدت تحولاً من الداخل ومن الخارج . ففي نحو ذلك الوقت ، على مـــا يبدو ، بدأ الحميريون زحفهم الطويل الذي انتهى بهم فيا بعد إلى إقامة حاضرتهم الجديدة (ظفار) في المرتفعات الجنوبية الغربية . وكان ذلك على أي حـــال بداية الصراع الذي لم يضعف اواره قروناً كما سنرى [١٠١] .

وفي الخارج أخذ النشاط البطالمي في البحر الاحمر يزداد وبدأت الرحلات البحرية من مصر إلى الهند مباشرة [١٠٢] .

وفي خلال القرن الاول قبل الميلاد تأثرت الرحلات البحرية من مصر والهند بالاضطرابات التي نجمت عن الحروب الاهلية الرومانية وضعف الحكام البطالمة المتأخرين. ولكننا لا ندري مدى تأثير ذلك سلباً وايجاباً على التجارة العربية .

على أن عودة السلام إلى ارجـــــاء البحر الابيض المتوسط في اواخر القرن الاول قبل الميلاد وازدهـــار التجارة الشرقية من جديد صاحب في نفس الوقت محاولة الرومان غزو اليمن (٢٤ ق.م) .

الحملة الرومانية :

من الغريب اننا لا نجد لهذا الحـــادث الخطير صدى في النقوش المعروفة حتى الآن . المصدر الوحيد الذي ترجع إليه معلوماتنا عن هذه الغزوة هو الكتابات الكلاسيكية وخاصة ما كتبه سترابو [١٠٣] معاصر القائد الروماني وصديقه .

كان هدف الرومان من حملتهم تلك ، كما يقول سترابو ، محاولة إحتلال بلاد العرب التي اشتهر اهلها بالغنى أو اكتساب صداقتهم . ولا شك أن الصداقة التي كانوا ينشدونها هي صداقـــة الضعيف للقوي والتي لا تعني اكثر من التبعية . واعتمدوا في دخولهم إلى الجزيرة العربية على حلفائهم النبط ، حيث كان دليلهم ومـــستشارهم الوزير النبطي سيلاس (صالح) على رأس ألف من الانباط اشتركوا

في الحملة . وحديث سترابو عن المناطق التي مر بها الجيش الروماني خلال الحملة لا يدل على علم ، ولا يفيدنا كثيراً في معرفة احوال الجزيرة العربية في ذلك العهد . ونفهم من وصفه للحملة أن اليوس جالوس حمل جنوده من مصر بحراً إلى ميناء لايكه كومة النبطي (في الحجاز) الذي وصلوا اليه بعد أن غرقت بعض سفنهم بمن فيها من جنود، ومرد ذلك سوء اختيارهم لنوعية السفن، الامر الذي يوحي بجهل صارخ بطبيعة البحر الاحمر. وصلوا إلى ذلك الميناء منهكين مرضى. وبعد فترة من الراحة تحرك الغزاة صوب الجنوب وكانت اول المدن اليمنية التي تعرضت لهجومهم مدينة نجرانا (لعلها نجران) التي هرب ملكها . ومن هناك ساروا إلى اسكا (لعلها نشق) التي سلمها ملكها دون مقاومة . على انه في الطريق بين نجران ونشق حدثت معركة عند نهر قتل فيها ، كما يزعم سترابو، عشرة آلاف من العرب في مقابل رجلين من الرومان ، وهي مبالغة مكشوفة وساذجة . وبعد نشق تسقط اثرولا (لعلها يثل) من غير مقاومة ايضا . وهكذا تصبح الطريق إلى ماريابا (التي يرجح الدارسون انها مأرب) سهلة . ولكن المدينة نفسها كما يظهر كانت قوية التحصين مما اضطر الرومان إلى محاصرتها فترة ثم النكوص عنها بسبب قلة المياه كما يقول سترابو . ويعود اليوس جالوس بجيشه خائباً بعد ان علم من الاسرى العرب انه كان على بعد مسيرة يومين من ارض البخور . وقد استغرقت الرحلة من لايكه كومة إلى مأرب (؟) ستة اشهر لان الوزير النبطي صالح لم يحسن إرشادهم. ولكن العودة إلى ميناء نجران التي يعتقد انها ينبع تستغرق ستين يوماً فقط .

وأهم ما ورد في وصف تلك الحملة من الناحية التاريخية هو وصف (ماريابا) بأنها مدينة الرامانيتي (أريمان) التابعين لايلازاروس . وهذا الاسم قد يقابل في العربية اسم « الشرح » وهو ما ذهب إليه جام وبنى عليه تاريخ عهد الشرح يحضب ملك سبأ وذو ريدان . فهل بلغ اليوس جالوس مأرب حقاً ؟ وإذا كان قد بلغها فعلاً وعجز عن اقتحامها وهو الذي اخضع عديداً من المدن قبلها

فلماذا الانسحاب الكلي ؟ لماذا لم يحتفظ بالمدن الشمالية نجران ونشق ويثل ؟ ان الصورة التي يعطيها لنا وصف سترابو للحملة توحي بان اليمن كانت مفككة في ذلك الوقت فلم تحدث مواجهة كبيرة بين الرومان والسبئيين . بل لا نجد في حديثه عن الحملة اشارة إلى سبأ . ونجد بدلاً من ذلك مدنساً يحكمها ملوك مختلفون . ومع ذلك فان المعركة التي حدثت في مكان ما بين نجران ونشق تدل على تجمع يمني كبير لان عدد القتلى العرب كما يقول سترابو بلغوا ١٠ آلاف رجل . فمن كان يقود أولئك المقاتلين ولأي مملكة من ممالك اليمن ينتمون ؟ وهل حاول السبئيون التصدي للرومان في ذلك الوقت قبل بلوغهم مأرب فانهزموا وفروا عائدين إلى عاصمتهم ليجتمعوا فيها وليدافعوا عنها ؟ إذن لماذا لم يسجلوا ذلك في نقش من النقوش الكثيرة التي كشف عنها في معبد المقه (محرم بلقيس) بمأرب ؟ ان زحفاً يستغرق ستة اشهر في الصحارى العربية لا يمكن ان يفاجأ به أهل اليمن ولا يسمعون به قبل أن يصل إلى حدودهم . فما هي يا ترى حقيقة تلك الغزوة الفاشلة ؟

أغلب الظن ان سترابو لم يكن اميناً في وصفه للحملة ، ولم يكن في حديثه ذاك مؤرخاً يتحرى الحقائق وإنما كان سياسياً يدافع عن سمعة امبراطوريته وعن صديقه القائد الذي فشل . ولكنه فشل هو الآخر في دفاعه عن فشل ذلك الصديق . فلم يكن حديثه بالتاريخ الصحيح . ولا بالدفاع الموفق .

ولقد حمل الوزير النبطي صالح وزر اليوس جالوس وحكم عليه بالاعدام لخيانته المزعومة التي يؤكدها سترابو دون ان يقنعنا بما اورد من حجج لدعم ذلك الزعم . والشيء الثابت الوحيد والذي يؤيده حديث سترابو ، وان لم يقصده ، ان الحملة كانت فاشلة منذ اللحظة الأولى ، لأن قائدها يجهل كل شيء عن طبيعة الأرض التي اخذ على عاتقه مهمة غزوها . فلم يحسن حتى اختيار السفن التي نقلت جنوده من مصر إلى الحجاز كما يقول سترابو نفسه . وحتى هذا الخطأ الذي لا دخل لدليل صحراوي فيه حاول مؤرخنا المتحيز ان يلقيه على كاهل الوزير المسكين لانه اوحى لاليوس جالوس باستحالة الذهاب من

مصر إلى بلاد العرب مـــن طريق بري ؛ ولم ينج من لوم سترابو حتى عباده (فقرة ٢٤) ملك النبط الذي كان صالح وزيره ، فقد اتهمه باهمـال المصالح العامة وخاصة مـــا يتعلق منها بشئون الحرب ، والاتكال على وزيره الطموح صالح .

حديث سترابو المتهافت وسكوت النقوش عن هذا الحدث الخطير أو عدم وصولهـا إلينا ، إذا كانت قد تحدثت عنه ، يجعل الأمر كله في غاية الغموض . وكل ما يمكن قبوله هو ان الرومان حاولوا في حوالي ٢٤ ق.م غزو بلاد العرب السعيدة ولكن قائدهم اليوس جالوس لم يحسن الاعداد لحملته تلك ففشلت منذ اللحظة التي حط فيها بقايا جنوده اقدامهم على البر العربي في لايكه كومه . والله وحده يعلم ماذا حدث فيما بين وصوله إلى ذلك الميناء وعودته إلى مصر بعد أن عجز عن تحقيق أي شيء من اهدافه فلا أرضاً احتل ولا تحالف حقق مع أحد .

* * *

المؤسف انه لم يعثر بعد على نقش يشير من قريب أو بعيد إلى هذا الحادث الخطير في تاريخ اليمن ، حتى النقوش اليمنية التي رأى بعض الدارسين رجوعها باليوجرافيا إلى ذلك الوقت لم تتعرض له . وكل ما خرجنا بـه منها هو ان ايلازاروس قد يكون أميراً اسمه الشرح شقيق لذمر علي بين (جلاسر ١٦٩٦) وابن لسمه علي ينف وكبير في نفس الوقت المديكانيقي (اريمن) الذين أشار اليهم سترابو (١٠٤).

٦ ـ سبأ وذو ريدان

نأتي الآن إلى فترة من أشد الفترات تعقيداً في التـاريخ اليمني القديم على الرغم من كثرة النصوص التي وصلت الينا منها . ذلك لأن الفجوات القائمة فيا بين تلك النصوص تجعل من الصعوبة بمكان محاولة ترتيبها للحصول على صورة عامة عن الفترة التي تمثلها . والحق أن محاولة رسم مثل تلك الصورة إعتماداً على نقوش متناثرة ، مهما كانت كثرتها ، وحفريات ناقصة ومحدودة ، لا تؤدي إلا إلى تصورات جزئية وقاصرة لا تلبث أن تهتز كما اهتزت من قبل تصورات كثيرة عند أول اكتشاف جديد . وهذه هي – بلا شك – مشكلة السبئي واليمني كله – مشكلة حفريات لم تتم. ولقد دلت الحفريات الناقصة نفسها على أن القوم قد تركوا لنا تاريخهم منقوشاً على الصخر وما علينا إلا أن ننقب عن تلك النقوش في مظانها وهي معروفة ايضاً . ويومها – نكاد نجزم – أن كثيراً من الأمور التي تبدو معقدة اليوم ستبسط والنقوش التي تبدو ملتوية ستستقيم، وحتى قضية التسلسل الزمني وعلاقته بالتقاويم القديمة ربما حلت . فالقوم ، بعد حضارة دامت اكثر من ألف عام بلا انقطاع، كان حسهم التاريخي خلالها قويا ، لا يمكن أن يكونوا قد غفلوا عن الحاجة إلى تقاويم مترابطة تعينهم على قراءة تاريخهم وفهمه ، وكانوا يقرأونه ، وما كتبوه إلا ليقرأ .

* * *

ولقد اتسمت الفترة التي نحن بصددها بكل ما تتسم به فترات الانتقال من

قلق. وكان طابعها الواضح والمميز لها هو الصراع الذي يشتد حيناً ويخفت برهة ليعود إلى اشده مرة أخرى وهكذا . وكان من أدلة ذلك الصراع ونتائجه في نفس الوقت كثرة اسمـــاء الملوك في فترة – يبدو من النقوش – انها قصيرة نسبياً .

ويختلف الدارسون حول زمن بداية هـــذه الفترة (١٠٥) ولكن نقطة البدء تأتي – على أي حال – مع تبلور الصراع حول ذلك اللقب الاثير : « ملك سبأ وذي ريدان » الذي إعتبره الدارسون عنواناً لهـــذه الفترة . وهو لقب ، إذا تأملناه ، لوجدناه يتكون من المزج أو الجمع بين لقبين : «ملك سبأ» لقب الملوك القديم في مارب ، و« ذي ريدان » لقب الزعماء في حمير . أي أن الذي يتحلى بهما معاً إنما يعلن عن تملكه للجهتين : مملكة سبأ ودولة بني ريدان . أو بعبارة أخرى يعلن انه « ملك سبأ » وانه « ذو ريدان » في نفس الوقت .

ولا نعرف على وجه اليقين أي الفريقين بدأ استخدام ذلك اللقب المركب. والشيء الاكيد هو أنه كان هنـــاك كيانان متميزان وراء اللقبين . وانه حتى في لحظـــات الجمع بينهما لم يحدث دمج بسيط لهما . مثل ذلك التوحيد البسيط لم يكن متيسراً في ظروف تلك الفترة ويتعارض مع نمو الاقطاع والروح القبلية . ولدينا نقش جديد (١٠٦) من عهد ياسر يهنعم وأبنه شمر يهرعش يتحدثان فيـــه عن « كلي ملكيهمو» ويقصدان بذلك «سبأ» و« ذي ريدان » فيما نرجح.

* * *

وتعود معارفنـــا عن هذه الفترة إلى نقوش تمثل وجهة النظر السبئية زاد عددهـــا بعد حفريات مارب (١٠٧) ، ونعتقد أن حفريات أخرى في ظفار مثلا قد تسفر لنا – إذا تمت – عن الوجه الآخر للحقيقة .

وبقي أن نشير إلى أنه قد نشر في الآونة الاخيرة مجموعة جديدة من النقوش

السبئية اطلق عليها ناشرها السيد / مطهر علي الارياني اسم (مجموعة الكهالي) وشرحها وعلق عليها في كتابه (في تاريخ اليمن) الذي قال في مقدمته(ص٣٢): « ولقد كان بودي أن يقترن هذا النشر بالصور الفوتوغرافية للمساند في مادتها الاصلية » معتذراً عن عــدم استكمال الشروط العلمية — على حد تعبيره وهو نقص يؤسف له . ولكن للظروف أحكامها .

ولقد اتيح لي أن اطلع على بعض هذه النصوص قبل نشرها كما تفحصتها بعد النشر ملياً . فوجدت — وأرجو الا يكون التوفيق قد جافاني — انه لا يمكن إلا أن نأخذهـا « في الحسبان » كما قال الاستاذ الارياني . خاصة ونحن نعرف أن البعثة الاميركية التي رفعت الانقاض عن جانب من« محرم بلقيس »في مارب لم تسجل كل النقوش التي رفعت الانقاض عنها كما اعترف جام [١٠٨] .

ولقد استعنت — عن اقتناع — بهذه النقوش الجديدة في ترجيح أو توضيح أو تفسير بعض التصورات . وبامكان القارىء الذي يجد من الاسباب ما يدعوه إلى التحفظ أن يتغاضى عـــن هذه النقوش ويكتفي بما نستشهد به من نقوش قديمة معروفة .

* * *

في الفصل السابق توقفنا عند الحملة الرومانية الفاشلة التي حدثت في مطلع الربع الاخير من القرن الاول قبل الميلاد وفترة ملوك سبأ على مـــا نرجح . في ذلك الوقت كان صيت الحميريين قد ذاع في العالم القديم إذ نرى بليني يصفهم بانهم من اكثر الاقوام عدداً في المنطقة [١٠٩] .

وفي ذلك الوقت ايضاً كانت الأحوال في ارجاء البحر الابيض المتوسط قد استتبت واستقرت بعد اضطراب . وجاء مع الاستقرار ازدهار نتج عنه إقبال في رومـــا وباقي الحواضر الكبيرة الأخرى كالاسكندرية على السلع الشرقية

النفيسة . وكان ذلك الاقبال بداية لعصر ذهبي للتجارة الرومانية الاغريقية مع بلاد العرب ومع الهند (١١٠) .

ولدينا إشارة هـامة من بليني تؤكد استمرار الاقبال على استهلاك اللبان العربي في انحاء الامبراطورية الرومانية . وإشارة أخرى تتحدث عن ميناء على البحر الاحمر اسمه موزا (موزع / موشغ) يؤمه التجـار الذين يتعاملون في اللبان والروائح العربية (البخور؟) وتقول ان ظفار مدينة الملك وسوا المدينة الأخرى تقمان في الداخل (١١١) . ومن هـذا يحق لنا أن نستنتج أن الحميريين كانوا قـد وصلوا في وقت بليني (+ ح ٧٩ م) إلى الساحل الجنوبي من البحر الاحمر وسيطروا على المعافر كما اقاموا حاضرتهم ظفار في المرتفعات على حدود سبأ (١١٢) .

وهناك من القرائن ما يدل على ازدهـار حضرموت وضعف قتبان، ويرجح خروج معين من المسرح كدولة. فماذا كان أثر ذلك كله على سبأ والسبئيين ؟

ليس بإمكاننـا تتبع التطورات خطوة خطوة ولكن يبدو أن الاضطراب ساد المملكة في نحو زمن الحملة الرومانية أو بعدها . ولعلها نتيجة لما تقدم وصفه من تطورات أصبحت دولة داخلية محصورة (١١٣) . ويبدو أن هيبة الملوك في مارب قد ضعفت أو أن قوة امراء الاقطاع القبلي في المقاطعات قـد زادت . وكانت النتيجة الحتمية ، خاصة تحت ضغط الزحف الحميري ، تفكك المملكة أو ضعف السلطة المركزية بهـا . فهناك نقوش همدانية تتحدث عن معارك خاضتهـا تلك القبيلة الكبيرة تحت قيادة امرائهـا الإقطاعيين ضد الحميريين (م ٣٤٣ / ١٤ — ١٥) وكذلك ضد حبشت ايضاً (م ٣٥٠) . وهـذه قد تكون أقـدم إشارة إلى الاحباش الذين يبدو انهم استغلوا ظروف الصراع الداخلي في اليمن واخـذوا يناوشون اطراف مملكة سبأ الشمالية الغربية بعد أن أخذوا يثبتون اقدامهم في اجزاء من الساحل الغربي ربمـا شمالي وادي سهام (١١٤) .

* * *

وإذا عدنا إلى سبأ في مـارب نجد أن الدارسين الذين تصدوا لعملية ترتيب اسماء الملوك في هذه الفترة اختلفوا فيما بينهم اختلافاً بيناً حتى انهم لم يتفقوا على نسب وانتماءات بعض اولئك الملوك . فهناك نشأ كرب يهأمن بن ذمر علي ذرح، ملك سبأ ، الذي اعتبره اوائل الدارسين من بين « الملوك الذين جـاءوا في آخر الطبقة التي ملكت العصر المعروف بعصر ملوك سبأ » (١١٥) وذهب بعضهم إلى انه آخر من حكم من الاسرة الحاكمة السبئية التقليدية . بينما جـاء جام لينقض كل ذلك وليرجح انه إنما ينتمي إلى « بني بجرت » (١١٦) .

ومع اننا لا نريد ان نخوض في أصل ونسب ومكان هـذا الملك إلا اننا - رغم مناقشة جام الممتعة - لا نزال نرى في القليل من الاخبار التي حملتها الينا نقوش عهده الدليل على سوء الاحوال وترقب الاخطار . فان تقربه إلى « شمسة تنف بعلت غفران » « لوفيهو وو في بيتن سلحن وابعلهو وملكهو » في عدد من النقوش مثل (م ٥٧٣ وجام ٨٥٣ أ - و) لدليل على ذلك القلق . وأن مـا جاء في آخر النقش (م ٥٧٣ / ٤ - ٥) من حرارة التضرع : « لوضع وثبر ومنع وآخرن كل ضرهمو وشنأهمو » يمكن أن يكون دليلاً على توقع الخطر . امـا الاستشهاد بصيغة الدعاء في النقش (جام ٥٦٧ / ٢٦ - ٢٨)حيث جاءت اكثر حرارة مع عدم وجودهـا يشير إلى الحروب أو أي نوع من انواع القتال كما يقول جـام فغير كاف لاسقاط حجة من يرى في دعـاء نشأ كرب الخوف من غلبة الاعداء (١١٧) .

ومهما يكن الاختلاف حول حقائق عهد نشأ كرب وزمنه وصلته بمن سبقه وجاء بعده فإنه يكفي هنا أن الدارسين متفقون على انه من بين اواخر الملوك الذين جاءوا قريباً من فترة اشتداد الصراع السبئي الريداني والتي سنتناولها فيما تبقى من هذا الفصل. وهي فترة على ما فيها من تعقيدات حافلة بالادلة والوثائق التي تمكننا من أن نشكل اطاراً وان نضع داخل الاطار صورة معقولة حتى لو كانت مرقعة .

وتتكون مادة ذلك الاطار وتلك الصورة من اسماء ملوك وزعماء وعشائر ومناطق وأخبار معارك واحداث سياسية مختلفة جاءت كلها في نقوش ناقصة أو كاملة .

ويبدو أن معظم هذه الأحداث قد تمت خلال القرنين الثاني والثالث الميلادي [١١٨] . ويساعدنا على ربطها بعضها ببعض قدر الامكان في الجزء الاول من الفترة انها حدثت خلال حياة أربعة أجيال من اسرة واحدة لعب افرادها ادواراً بارزة في التطورات السياسية ، تلك هي اسرة اوسلت رفشان الهمداني.

* * *

(أ) اسرة الشرح يحضب (الاول)
(ملوك سبأ وذي ريدان)

اسم الشرح يحضب من الاسماء التي ظلت تذكر بعد الاسلام [١١٩] . كما عرف اسمه من نقوش متفرقة عند بدء الاهتمام بالنقوش وجمعها وتحقيقها وكان هناك ما يوحي بأن هناك اكثر من الشرح يحضب واحد حمل لقب ملك سبأ وذي ريدان .. وجاءت أحدث النقوش لتؤكد هذا الاتجاه [١٢٠] .

فالنقش (ك ٤) يجعل من المحتمل أن يكون أوسلت رفشان قد عاصر الشرح يحضب (الاول) الذي يقدر فون وزمن زمنه بحوالي ٨٥ م . وهو نقش يعود إلى عهد ابنه وترم يهأمن ملك سبأ وذي ريدان .

ويبدو أن الشرح يحضب (الاول) ملك سبأ وذي ريدان كان بكيليا مرثديا . ولعل حلفاً قد قام في وقته بين بكيل وجرت [١٢١] . ولا نعرف الاساس الذي قام عليه تلقبه بملك سبأ وذي ريدان كما اننا لا نعرف شيئاً عن والده . وهناك من يرى انه المعني بكبير اقبان (م ١٤٠) الذي حارب الحميريين والحضارمة في أرض خولان [١٢٢] .

وفي عهده خط القيلان سعد شمسم اسرع وابنه مرثدم يهحمد بني جرت وقيلا القبيلة ذمري النقش (جام ٥٦٨) ، وهو نقش فريد في نوعه لان صاحبيه يقدمان به تمثالاً إلى المقة بعل اوام لانه وجـه عبده الشرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان (س ١ — ٦) عندمـا (هوكل ستوكل) الملك الشرح لعبديه سعد شمسم وابنه مرثدم بني جرت لدى المقة بعل اوام (س ٦ — ٩) . فحمد سعد شمسم وابنه مرثدم بني جرت المقة لأنه اوفى عبده الشرح ملك سبأ وذي ريدان وعبديه سعد شمسم ومرثدم بني جرت فيما يخص هذه الهوكل « هوكلن » (س ٩ — ١٣). وبقية النقش تودد إلى « املك سبأ » (س ٢١) ثم الدعاء الأخير وهو قائمة طويلة من اسماء الالهة (س ٢٢ — ٢٧) .

ويتوقف فهم النقش على فهمنـا لمعنى الاصطلاح الديني فيه وهو (هوكل) الذي يأتي معرفـاً ايضاً (هوكلن) . وهو نوع من انواع التوسل المتعلق بطلب تحقيق أمر من الأمور . ويقوم بهذا العمل عـادة الافراد (جام ٦٠٦ و ٦١١ و ك ١٠ مثلاً) والجماعات ايضاً(جام ٦٥٣) لتحقيق مطالب فردية أو جماعية لأصحاب النقوش انفسهم . والاختلاف الوحيد هنا والهام ايضاً هو أن الشرح يحضب الملك هو الذي قـام بهذا العمل (هوكل ستوكل) نيابة عن سعد شمسم ومرثدم أو من اجلهم، الأمر الذي يدل دلالة قوية على متانة العلاقة بين الطرفين وهي العلاقة التي ترتب عليها — فيما يبدو — وصولهما إلى العرش فيما بعد .

ويوجد نقش آخر (جام ٧٥٣) لنفس القيلين لا نعرف زمنه يذكران فيه (املك سبأ) دون تخصيص وهو أمر باعث على التأمل ولا ندري مغزاه(١٢٣).

والنقوش المعروفة من عهد وترم يهأمن قليلة وشحيحة فيما يتعلق بالاخبـار السياسية . فكل ما نعلمه لا يتجاوز تجريده كلف بها القيل الرم يجمر بن سخيمم قيل الشعب سمعي ثلث ذي هجرم (جـسـام ٦٠١ و ٦٠٢ المتشابهان) بارض خولان جددن (العالية) لان قبائلها اخطأت ضد سيدهـا الملك . ومن نقشين

متشابهين للقيلين سعد شمسم ومرثدم (جـام ٦٠٦ و ٦٠٧) نفهم انهما عاصرا ذلك الملك كما عاصرا والده وفيهما يصفان الملك الابن بسيدهما .

اما النقش (لك ٤) الذي سبقت الاشارة اليه فقد جـاء في فقرتين طويلتين حسبما نشرهما الارياني :

(١) اوسلت / رفشن / ويرم أيمن / وبنيهو حيو / عثتر / يضع / بنو همدن / اقول / شعبن / سمعي / ثلثن / ذحشدم / هقنيو / المقه / ثهون / بعل / أوم / ذن / صلمن / حيجن / وقههو / بسألهم / لوفي / يرم / بن / همدن / ولسعدهمو / المقه / بعل / اوم / حظي / ورضو / مرأهمو / وترم / يهأمن / ملك / سبأ / وذريدن / بن / الشرح / يحضب / ملك / سبأ / وذريدن / ولسعدهمو / اولدم / اذكروم / هنأم / .

(٢) ولسعد / اوسلت / وبـــني همدن / نعمتم / ووفيم / واثمر / وافقل / صدقم / عدي / ارضيهمو / واسررهمو / ولذت / نعمت / وتنعمن / لبني / همدن / وشعبهمو / حشدم / ولخزينهمو / بن نضع / وشعي / شنأم / بعثـــتر / وهبس / والمقه / وبذت / حميم / وبذت / بعدنم / وبشمس / ملكن / تنوف / ولشيمهمو / تالب / ريم / ورثدو / هقينتهمو / المقه / بعل / أوم .

ولنا ان نلاحظ الآتي :

١ — ان يارم يذكر بعد اوسلت دون كلمة (وبنهو) مما يزيد في التعقيدات المحيطة بصلات افراد هذه الاسرة المعروفين (١٢٤) .

٢ — هذه اول اشارة إلى معاصرة اوسلت لهـــذا الملك . ومن ذكر يارم (الاصغر) إلى جانبه يمكننا ان نتصور معاصرته هو لشرح يحضب الأول .

٣ — أما حيوعثتر فغاية ما يمكننا قوله هنا هو استبعاد ان يكون نفس الشخص المعاصر لشاعرم اوتر (جام ٦٤٠و٦٤١) .

٤ — ان الغرض الرئيسي من النقش هو الدعاء ليارم .

٥ — هذه الاسرة كانت من الاقيال في عهد وترم يهأمن وربما من قبل(١٢٥) .

٦ — وهي هنا تعترف بسيادة ذلك الملك وتعيش في وئام معه[١٢٦] .

٧ — يلفت النظر انهم يذكرون من النقش « شمس ملكن تنوف » ضمن الدعاء الأخير كما يذكرون الههم الخاص تالب ريام .

٨ — يدعى لاوست بعد الملك وإلى جانبه بني همدان قبيلتهم وهذا فيما نرى يدل على زعامة اوسلت للقبيلة في ذلك الوقت .

ولا بد ان عهد وترم يهأمن هذا لم يدم طويلاً .

وبعد وترم يهأمن وإلى وقت شاعرم اوتر تتداخل الاحداث وتتعقد الصورة بحيث يصعب معها ترتيب الوقائع التي تحدثت عنها النقوش إذ نجد عدداً من الملوك والزعماء المتعاصرين من اسر وعشائر مختلفة يدخلون في تحالفات وصراعات متشابكة — ملوك من حمير وجرت وبتع وهمدان وربما من الاسرة السبئية التقليدية أيضاً .

وسنتناول فيما يلي الاسر السبئية التي حكمت خلال الفترة واشتركت في احداثها مشيرين إلى أن إيرادنا للاحداث ، فيما بين عهدي وترم يهأمن وشاعرم اوتر ، لا يعني بالضرورة ترتيباً زمنياً لها اللهم إلا حينما يكون في النقوش مايدل على ذلك الترتيب :

(ب) اسرة وهب إل يحز (البتعية)

(ملوك سبأ)

هناك نقش معين (جلاسر ١٢٢٨) تناوله الدارسون الذين تعرضوا لهذه الفترة بالتحليل[١٢٧] وفيه يرد اسم سعد شمسم ومرثد وقبيلتهم جرت وهم

يحاربون إلى جانب من يدعوه النقش ذمر علي ذي ريدان وذلك ضد وهب إل يحز الذي نرى إلى جانبه هوف عم مخطرن وسخيم وذو خولان وبتع .

وكل شيء يرجح ان سعد شمسم ومرثد هنا هما القيلان اللذان سبق الكلام عنهما . أما الاشارة اليهما بهذه الصورة الموجزة فهي عادة في النقوش خاصة عند تناول اسماء الخصوم .

وإذا ثبت هذا فاننا نفهم ان انشقاقاً كبيراً قد حدث فيما بين الاقيال الكبار في سبأ . وان ذلك شجع الحميريين على التدخل .

ويذهب فون فسمن إلى أن ذمر علي ذي ريدان الذي ورد اسمه في النقش إنما هو ذمر علي يهبر ملك سبأ وذي ريدان بن ياسر يهصدق ملك سبأ وذي ريدان الذي ورد اسمه أيضاً في النقش (م٣٦٥) . وقد تمكن ذمر علي من دخول مارب في هذه الفترة مع ابنه ثاران [١٢٨] .

وهناك نقش (ك ٦) نرى فيه قيلان من بني ساران وحيلم اقيال قبيلة بكيل الربع من ريدة (ربعن ريدة) هما سعدم يسكر ويهعن يغنم وابنهم كلبم اوكن يتحدثون فيه عن نجاتهم عندما اتوا إلى مارب مع الاقيال في اليوم الذي كان بين الاسباء (اسبأن) ولحي عثت كبير اقيان . وهي معركة يبدو انها حدثت ضمن المعارك العديدة في هذه الفترة . ونرى هنا القيلين يطلبان « حظي ورضو مرأيهمو ذمر علي يهبر وبنهو ثارن ملكي سبأ وذريدن بني يسرم يهصدق ملك سبأ وذريدن » .

وهناك نقش (جام ٥٦٣) سبق ان لفت انظارنا إليه الاستاذ الارياني[١٢٩] وهو من عهد كرب إل وتر يهنعم بن وهب إل يحز نجد فيه اسماء مشابهة لأصحاب النقش (ك ٦) وهي :

« سودم اسأر ويهعن . . . م وبنيهمو كلبم بني عثكلان » .

ولما ان الواو والعين متقاربان شكلاً في المسند فان هذا الخطأ متوقـــع . وكذلك الأمر بالنسبة لاسأر التي وردت مرة واحدة في نقش (جام ٥٦٣ / ١) فان الالف الثانية جاءت مشطوفة من اعلا بحيث يمكن ان تكون (كافاً)ايضاً. ولقب يهعن الذي ورد مرة واحدة أيضاً (جـــام ٥٦٣ / ٢) لم يبق منه إلا « الميم » في الآخر كما في يغنم . وكلهم جاء بلا لقب عند جام .

وإذا صح ان الاشخاص في النقشين هم نفس الاشخاص فان تداعيات الأمر ستكون كثيرة وستزيد الموضوع تعقيداً خاصة وانهم في (جام ٥٦٣) ليسوا اقيالا بينما هم في (لك ٦) اقيال (!) .

ونعود إلى وهب إل يحز لنقول انه فيما يبدو خاض حروباً قبل ان يستقر على العرش . ونجد الحديث عن تلك الحروب في عدد من النقوش المتناثرة احدها (لك ٩) الذي يحمد صاحباه نشأ كرب وبنهو وهب اوام بـني ذي محلتم المقه لنجاتها من (الحروب) التي حدثت **في عام معد كرب بن نشأ كرب بن فضحم ثكمتن** [١٣٠] . ويحمد انه ايضاً بصفة خاصة لأنه أعاد نشأ كرب سالمـــاً إلى مارب في نفس العام الذي (ملك) فيه مرأهمو وهب إل يحز ملك سبأ البيت سلحن (قصر سلحين) باثر تلك الحروب (س ٣) . كما يحمدانه ايضاً لنجاة نشأ كرب عند اشتراكه في غزوة على أرض حمـــير **والرحبة** في العام السابق (س ٣ ايضاً) ، ويكرران الحمد لالمقه لانه استجاب لدعوتهما بعودته سالماً من تلك الغزوة (س ٤) .

ومن هذا النقش نفهم بوضوح اكثر من أي نقش آخر ان الحرب امتدت إلى ارض حمير وانها شملت الرحبة . ولا بد انها رحبة صنعاء . وهـذا ما قـد يفسر وقوف سعد شمسم ومرثدم وبني جرت إلى جانب حمير (جلاسر ١٢٢٨) .

ونلمس من النقش القلق الذي عاناه المحاربان المذكوران خلال تلك الحروب.

ويعود لنا النقش (م ٣١٥) من ريام خطورة الصدام الذي حدث وابعاده

الحضيرة . وهـــو نقش معروف من قبل واستشهد به مراراً . وفيه يتحدث صاحباه القيلان يارم اين وأخوه بارج يهرحب ابني اوسلت رفشن الهمدانيان اقيال الشعب سمعي شلثن ذحشدم عـن السلم الذي وفق يارم اين بن همدان في إبرامة بين« املك سبأ وذريدان وحضرموت وقتبان واخمسهمو واشعبهمو » (س٦و٧) وذلك بعد الحرب التي اندلعت ودارت « بكل أرض بين كل املكن واخمسن » (س ٧ و ٨) حتى قام يارم اين بن همدان واقنع امراءه ملوك سبأ وذي ريدان وسائر الملوك بذلك السلم . واتم يارم المسالمة بين الملوك والجيوش .

ويحمل النقش تاريخاً قد تسعدنا الايام بفهمه عند استكمال الحفريات . فهو مؤرخ بعام ثوبان بن سعد يهسحم .

وقد طلب القيلان في النقش من حاميهم تالب ريام بعل ترعت «حظي ورضو امر اهمو املك سبأ » بالجملة دون تخصيص .

وواضح جداً هنا أن يارم اين قد قام بالمسعى المذكور ، في وقت اضطربت فيه الأحوال ، بمبادرة ذاتية وليس بتكليف من جهة بذاتهـا أو ملك بذاته . ولا بد أن جانباً من اسباب نجـاح المسعى يعود إلى احساس الاطراف المختلفة بالحاجة إلى مخرج من تلك الحرب الطاحنة .

ولقد رأى البعض في التركيز على « بني ريدان » في عبارة « وتقنع يارم اين بن همدان امراهو املك سبأ وبني ريدن وسأر املكن لهوت سلمن» (س٨–١٠) دلالة على أهمية دور حمير في تلك الحروب[١٣١] . وقـد يصح ذلك ، ولكن هنـــاك سبباً آخر للتركيز على حمير وهو قربها من همدان واحساس القوم بخطرها اكثر من غيرهـــا . وسنرى كيف يتبلور هذا الاحساس في سياسات اسرة يارم اين فيما بعد .

وفي نقش آخر (جـام ٥٦١ مكرر) نرى يارم اين وأخيهم بارج يهرحب وابنهمو (ابن يارم) علهـان بني اوسلت رفشان بن همدان (كما يقول النقش)

اقيال سمعي الثلث من حاشد (س ١ — ٤) قـد اصبحوا يدينون بالولاء لوهب إل يحز كما يظهر من صبغة الدعـــاء التقليدية (س ١٨ — ١٩) . وقد سجلوا نقشهم ذاك لشكر المقة إذ من على اتباعه بني همـــدان وشعبهم حاشد بتحقيق مقتلة مجزية والحصول على غنائم من كل الاماكن التي حاربوا فيها في الحروب التي جرت بين « املك سبأ وبني ذي ريدان » (س ٥ — ٦) ، ولم يقولوا هنـــا « امر امرأ ملك سبأ » أو انهم اشتركوا في الحرب مناصرة لاولئك الملوك . كل ما قالوه هو انهم « سترسو » (ترأسوا ؟) فيها . وبكل الاماكن الأخرى التي بلغوها لمنازلة بعض الاعراب في حدود حـاشد (س ١٠ — ١٢) وببعض اراضي الاعراب الذين اخطـأوا في حق اسيادهم ملوك سبأ (س ١٢ — ١٤) وفي بعض اراضي قبائل ملك سبأ (س ١٤) . ونلاحظ هنا نفس التركيز على « بني ذي ريدان » .

وهناك نقش (ك ٨) يشير إلى اشتراك حضرموت إلى جانب بني ذي ريدان في حروبهم مع ملوك سبأ . ويعود ذلك إلى زمن وهب إل يحز ايضا .

وفي دراسات كثيرة نوقشت العلاقة الزمنية بين النقوش المختلفة المعروفة التي اشارت إلى تلك الحروب[١٣٢] ، وهو ما تحاشيناه هنـا ، إذ يكفي أن نرى أن الحالة وصلت في تلك الفترة حـداً عمت فيه الحرب كل الارضين وكل الملوك وكل الشعوب (القبائل) وكل الجيوش .

ولقد وصل وهب إل الى مارب . وبتلك المناسبة قرب ربم اريم وأخوه شرحثت اذ أن وابنهما يفرع بنو كبسي اقيـال الشعب تنعمم وتنعمت تمثالاً إلى المقة بعل اوام حمـداً لأنه حقق وصول (ستوفي اتيت) مرأهم وهب إل يحز ملك سبأ إلى القصر سلحين (ك ٧) .

وقنع وهب إل بلقب ملك سبأ (دون ذي ريدان) وربما فعل ذلك إعترافاً منه بالواقع .

ولا تزال معلوماتنا عن عهد وهب إل محدودة جداً [١٣٣] . وليس هنـاك ما يبرر الاعتقاد بان رقعة ملكه قد شملت كل ما يعرف عادة بمملكة سبأ رغم وصوله إلى مارب والقصر سلحين كما رأينا .

وقد حمل اللقب نفسه اثنان من ابنائه احدهمـا يدعى انمرم يهأمن والآخر كرب إل وتر يهنعم . وليست معارفنا عن عهديها بأفضل أو اوسع من معارفنا عن عهد الأب .

ولدينا نقشان احدهما (جام ٥٦٢) من عهد انمرم يهأمن الذي يرى جسام أن عهده لم يدم طويلاً [١٣٤] وفيه يتقدم صاحبه القيل سخيان يهصبح التبعي من اقيال سمعي ثلث حملان يقربان إلى المقة لأنه من عليهم بتحقيق وصـــول (بستوفين اتيت) سيدهم انمرم يهأمن ملك سبأ بن وهب إل يحز ملـك سبأ إلى القصر سلحن من بيت ذي غيمان لأن اتباعـه الاسباء (وقد تعني السبئيين أو المقاتلين!) والاقيال والجيش اقنعوه أو ارضوه (تقنعوه) (س ٤ — ٨) .

وتذكرنا عبارة « بستوفين اتيت » هنا بالعبارة المشابهة في حالة وهب إل يحز الاب (لك ٧) . وتوحي باحتمال وقـــوع احداث جسام قبل وصوله إلى مارب . ولو اننا لا نرى في هذا النص أي اشارة إلى العمليـات العسكرية ضد غيمان التي يقال أن النص تحدث عنها [١٣٥] . واعلنـا — على النقيض — نرى في وجـــوده ببيت ذي غيمان قبل مجيئه إلى سلحن دلالة على وقوف بني غيمان إلى جانبه .

والنقش الثاني (جام ٥٦٤) من عهد كرب إل وتر يهنعم بن وهب إل يحز . وصاحبـــه هو انمرم الغيماني الذي يشير في ثنايا نقشه إلى بني غيمان ويصفهم في مطلعه بانهم « ابمل البيت سلحين » واقيال غيمان (س ٢) . وفيه يذكر انه وكل الجنود الذين شايعوه من قبيلتهم غيمان قاموا بالمرابطة (بجزيةجزيو) بالمدينة مارب (قارن جام ٦٢٩) . ويبدو انه لامر ما كلف الملك الغيمانيين — انصار

اسرته لا اعداءها —فيا نعتقد — بهذه « الجزية » التي دامت خمسة اشهر .

ولا ندري اين هو الشغب الذي حدث داخـل مارب [١٣٦] وان كنا لا نستبعد أن الجزية إنما حدثت لحالة اقتضت من الملك أن يكون بعيداً عن قصره.

والحقيقة البارزة هنا هي الدور الذي لعبه الغيانيون في الدفـاع عن سلحن وهو ما فعلوه ايضاً في وقت آخر لا نظنه يبعد كثيراً عن هذا العهد حين وقفوا مدافعين عن سلحن في وقت « يهقم بن ذمر علي ذرح » (جام ٦٤٤) .

وتجعلنا القرائن المختلفة نتصور أن الامـور لم تستتب لتلك الأسرة وأن مقامها في سلحين لم يطل. وان الاسرة كلها لم تكن إلا طرفاً واحداً من اطراف عديدة متصارعة في فترة قصيرة نسبياً لعلها امتدت منذ اواخر عهد وترم يهأمن بن الشرح يحضب (الاول) إلى اواخر عهد علهـان نهفان بن يارم ايمن . وهي الفترة التي تعاقبت فيهـا العهود بصورة مذهلة كما نلاحظ من تعدد الاسماء التي حملت القاب الملك بحيث يصعب معها ترتيب الاحداث دون مزيد من النصوص التي لا بد وانها لا تزال مدفونة.

(جـ) سعد شمسم اسرع وبنهو مرثدم

(ملوك سبأ وذي ريدان)

في وقت ما يصعب تحديده ولسبب ما لا نعرفه بعد نرى سعد شمسم اسرع وابنه مرثدم يهحمد يتلقبان بملكي سبأ وذي ريدان وينسبان نفسيهما إلى الشرح يحضب (الاول) بصلة البنوة،والمقصود فيما يبدو هو التبني والمتبني غالباً هو سعد شمسم وحده . اما ذكر ابنه مرثدم إلى جـانبه قبل لفظة (بني) فله أمثلة مشابهة في النقوش الجـديدة مثل (ك ٦) من عهد ذمر علي يهبر وبنهو ثارن ملكي سبأ وذي ريدان ابني يسرم يهصدق ملك سبأ وذي ريدان ، و(ك ١٠) من عهد علهان نهفان وبنيهو شاعرم اوتر ملكي سبأ وذي ريدان ابني يرم ايمن ملك سبأ [١٣٧] .

والنقش (جام ٦٢٩) هو الوحيد من بين نقوش عهدهمـا المشترك المعروفة (جام ٦٢٦ — ٦٣٠) الذي يصور لنا الحالة العامة في تلك الفترة ، ويحسن بنا أن نستعرض فحواه :

(جام ٦٢٩)

١ — سجل النقش القيلان مرثدم يـ . . . وذرحان اشوع قيلا الشعب يهبعل (س ٢) .

٢ — بمناسبة اشتراكها وقبيلتها فيشن ويهبعل في الحرب بارض ردمان (س ٦) .

٣ — وذلك عندما اشعل وهب إل بن معهر حرباً اشترك معه فيها ذوخولان وحضرموت وقتبان وردمان ومضحيم وخلق (انس) آخرون واعراب كانوا معهم (س ٦ — ٨) .

٤ — وقد تولى الملكان سعـد شمسم اسرع وابنه مرثدم ملكي سبأ وذي ريدان ابني الشرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان قيادة الحرب معـاً والتقيا في اتجاه مدينة وعلان [١٣٨] بيدع إل ملك حضرموت ونبطم ملك قتبان ووهب إل بن معهر وذي خولان وذي مصبح ومضحيم وكل من كان معهم (س٨—١٢). وكان مع الملكين اتباعها (ادمهمي) من الاسباء والاقيال وجيش ملك سبأ .

٥ — وقد تحقق النصر للملكين على كل جموع ملك حضرموت ووهب إل بن معهر وكل من كان معهم (س ١٢ — ١٥) .

٦ — ولهذا يحمد القيلان المقة لأنه اعـان ذرحان وجند ومقتوين شايعوه من فيشن ويهبعل وحقق كل ما املوه من تلك الحرب (١٥ — ٢١) .

٧ — كما حمدوا المقة لوصول سيديهم الملكين مع جيشهما سالمين إلى مـارب (مريب) (س ٢١ — ٢٣) .

٨ ـ ثم يذكر النص حملة اخرى كلف بهـــا ذرحان ومشايعيه على مدينة (حلظوم) والمشرقية (مشرقين) حيث دمروا ونهبوا المعابد والاودية وردموا الابار فيا حولها (س ٢٤ ـ ٢٩) .

٩ ـ كما ان الملكين أيضاً قادا حملة منفصلة على مدينة منوبم (الاوسانية) وكل مدن وقلاع (مصانع) الشعب اوسان والمدينة شيمن (من مدن اوسان التي مر بنا ذكرها من قبل في النقش ف ٣٩٤٥) .

١٠ ـ ويبدو ان ذرحان اشوع ومعه شخص آخر اسمه ربشمسم بن علفقم قـــد كلفا بمطاردة بعض الحضارمة او الاحضور (احضرن) والاعراب الذين وصلوا إلى ناحية تمنع (خلف تمنع) دون ان توصف بانها مدينة (هجرن) مما يذكرنا بالنقش (جام ٦٤٣) حيث ذكرت مدينة حنان (حـــنن) مسبوقة (بهجرن) وغير مسبوقة بها « خلف هنن » (س ٣١ ـ ٣٤) .

وهناك على اي حال ـ ما يوحي بان منطقة تمنع لم تعد حينذاك في ايـدي القتبانيين .

١١ ـ ثم تأتي فقرة عارضة يحمد فيها صاحبا النقش المقه لعودة الملكـــين سالمين غانمين من تلك الغزوة (٣٤-٣٦) وينتقل النقش بعد ذلك الى الحديث عن موضوع جديد :

الجـــزيـــة

١٢ ـ وذلك بمناسبة نجاح ما يسميه النص بجزية مرثدم الجرافي (ذجرفم) احدُصاحبي النقش والأكبر سناً أو مكانة فيا يبدو أو الاثنان معاً . وهـــي الجزية التي تمت بمدينة صنعاء (صنعو) . ويذكر الاقيال الذين حضروا (الجزي) بالرحبة (رحبة صنعاء) بتوجيه من سيديهم الملكـــين سعد شمسم ومرثدم . وكانت الجزية خلال تلكما الغزوتين (بهمت سبأتنهن) لا بد انه يعني الحملة على ردمان وحملة الملكين على مدن اوسان .

أما الاقيال الذين « جزي » مع مرثدم فهم (س ٣٧-٤١) :

١) شرح إل بن ذرنح :

وقد جاء اسمه (ناقصاً الحرف الأول) في أول قائمة الاقيال . ويوجد لنفس القيل نقش جديد (ك ٥) حيث يوصف بني ذرنح بانهم اقيال الشعب ذمري ، يشير فيه إلى عودة الملكين من الحرب بارض ردمان (س٢) وهي الحرب التي لم يشترك فيها لانه كلف بهذه الجزية في انحاء صنعاء. وكلمة (جزيت) هنا تعني - كما نفهم من السياق - نوعاً من المرابطة ، وتذكرنا بالنقش (جام ٥٦٤) حيث ترد عبارة « بجزية جزيو » « ولعل المرابطة كانت تحسباً من هجوم مباغت من حمير مثلا وهي الطرف الذي لا نعرف موقفه تماماً خـــلال معارك الملكين في الشرق .

٢) شمرحثت بن بتع :

لا نكاد نعرف شيئاً عن هــــذا القيل [١٣٩] ولا عن علاقته بوهب إل يحز البتعي الذي صار في وقت ما من هذه الفترة ملكاً لسبأ في مارب ، على أن ورود اسم هذا القيل البتعي مشتركاً في الجزية ليوحي بان بتع كانت حينذاك على وفاق مع الملكين الجرتيين .

٣) الرم بن سخيمم :

هذا قيل عرفناه من قبل في نقش يعود إلى عهد وتر يهأمن بن الشرح يحضب (جام ٦٠١و٦٠٢) وهو قيل للشعب سمعي شالث ذي هجرم .

٤) يرعد بن ساران :

قيل آخر لا نعرف عنه شيئاً . غـــير ان بني ساران عرفوا بانهم اقيال في بكيل . ومن ثم فاننا نرجح ان يكون هذا القيل من اقيال بكيل أيضاً .

٥) يرم بن همدان :

ويأتي في آخر القائمة القيل يارم الهمداني الذي رأيناه من قبل معاصراً لوترم يهأمن (ك ٤) . ويبدو انه كان على وئام مع الملكين وقت الجزية كما كان من قبل هو وابوه على وئام مع وترم يهأمن .

فهل يعني كل ما تقدم ان احداث النقش (جام ٦٢٩) سابقة على احداث النقش (جلاسر ١٢٢٨) . على أي حال يظهر من كل مـــا تقدم ان الملكين خاضا تلك الحرب بالجيش الرسمي لسبأ بمساندة بعض القبائل بينما كان مرثدم الجرافي يتولى مسئولية الادارة والدفاع في منطقة صنعاء وهي منطقته (جراف من ضواحي صنعاء الشمالية) حيث رابط معه بقية كبار اقيال قبائل مرتفعات سبأ الغربية . ويظهر من ذلك أيضاً ان المشائر السبئية الكبرى كانت وقت النقش ملتفة حول الملكين ، بينما كان يدع إل ملك حضرموت (بن ربشمس = ف ٤٩١٢) يقود التجمع المناهض للسبئيين والذي يجمع معظم قبائل الشرق .

وفي ذلك الوقت – على ما يبدو – بلغ نفوذ حضرموت في المناطق المجاورة لسبأ أقصى مداه [١٤٠] .

(د) كرب إل بين ملك سبأ وذي ريدان

هذا الملك الذي يجعله فون فيسمن معاصراً لكرب إل وتر يهنعم ملك سبأ [١٤١] معاصر ومحارب أيضاً ليدع إل ملك حضرموت (قارن جام ٦٢٩) كما نرى في (جام ٦٤٣و٦٤٣ مكرر) . وفي عهده نرى عودة إلى اللقب الاثير « ملك سبأ وذي ريدان » كما نرى جرت وبتـــع (جام ٦٤٣ / ٢٣–٢٥) يجتمعان تحت لوائه كما اجتمعتا في زمن سعد شمسم ومرثدم (٦٢٩) .

وهناك نقش آخر من عهده (جام ٦٤٢) لا يضيف شيئاً غير اننا نلاحظ ان صاحبه غيماني . ولكن النقشين (٦٤٣و٦٤٣ مكرر) يستحقان التأمـل . ويمكن تقسيم النقش الى أربعة أقسام :

القسم الأول : س ١-٦

في هذا الجزء الذي هو مطلع النقش فجوات كثيرة ولكن يظهر أن المعنى الإجمالي هو أن نشأ كرب وثوبان بني جرت اقيال الشعب سمهرم قدما إلى المقة قربانـــاً لانه نصر سيدهم كرب إل بين ملك سبأ وذي ريدان في الحرب التي بدأها يدع إل ملك حضرموت وقبائل كانت معهم من قبائل . . .

القسم الثاني : ٧ — ١٨

ويحكي هـذا الجزء كما يبدو قصة اتصالات جرت بين الطرفين قبل حدوث الصدام الذي يأتي في آخر النقش . ولا بد من الاعتراف بان الفجوات القليلة في أول هذا الجزء (س ٧ ــ ٩) تتسبب في صعوبة فهمه . ولكن يبدو أن المعنى العام هو أن يدع إل وجموعـــه وصلوا إلى انحاء حنان (مدينة في الجوف) وارسلوا (الفصل هنا لم يبق منه إلا حرف الواو الملحق بآخره) إلى كرب إل بين مـــا قد يفيد بان وصولهم ذاك كان للسلام أو انهم جاءوا مسالمين . فيرد عليهم كرب إل بين متحدثاً عـن السلام ومشيراً إلى محادثات أو اتفاق جرى في مارب (؟) .

على انه في الشق الثاني من هذا الجزء يبدو الأمر اكثر وضوحاً (س ٩ ــ ١٢) حيث يطلب ملك حضرموت من كرب إل أن يوجه إليه بعض الاسباء والاقيال لمفاوضات يجريها ملك حضرموت مع ملك سبأ (لمنجت يمكرن ملك حضرموت تبلتن بعم ملك سبأ) . ولا تظن أن يمكرن هنـــا تعني ملكاً حضرمياً آخر وإنما هي فعل في جمـلة (منجت يمكرن) . وكلمة (تبلتن) هي التي ترجح التفاوض . ويتأكد هذا المعنى من العبارة التالية وهي :

« فارسل كرب إل بين عبده نشأ كرب الجرتي ومعـه ثلاثمائة جندي من اسباء سمهرم وصمدوا قاصدين ملك حضرموت في انحاء حنان» (١٢ ــ ١٣). ويقدم نشأ كرب لملك حضرموت ــ على مـــا يبدو ــ وثيقة (مثبت منجيت)

يظهر انهـــا تتعلق بتفويضة (حبجن ستأذن) من قبل كرب إل (١٣ ـ ١٥) ولكن ملك حضرموت يرى الا تمر (عبرنهمو) تلك الـ (منجت) لسلامة انفس الناس الذين قصدوه من مارب إلى ناحية حنان (١٥ ـ ١٦) فسـاد نشأ كرب ومن معه إلى مارب لدى سيدهم كرب إل « ١٦ ـ ١٨) ويظهر من الجو العام أن يدع إل كان يمارس نفوذاً معترفـاً به في منطقة الجوف وأن احداثاً سابقة نجهلها قد جرت . وتسبب جهلنا هـــذا في صعوبة فهمنا للعبارات الموجزة في النقش وخاصة كلمة « منجت » و« منجيت» التي تكرر ورودها والتي هي فيما يبدو موضع الخلاف (انظر محاولة جام ترجمتها) ونلاحظ أن كرب إنما كان يقوم في هذا الجزء بمهمة سلمية وانه لما تعسر التفاهم عاد إلى ملكه في مارب .

القسم الثالث : ١٨ ـ ٣٥

في هذا الجزء نرى بوادر الصدام في خطوات متتابعة يحرص صاحب النقش على تسجيلها خطوة خطوة وهي حسب فهمنا للنص :

أ ـ وفي نفس اليوم تحرك (سبأ ؟) ملك حضرموت وجموعـــه قاصدين مدينة يثل (ربما) متحاشين هجوم كرب إل بين وجموعه من المدينة مارب على ناحية حنان (١٨ ـ ٢٠) . وتوجهوا (اي الحضارمة) إلى المدينة يثل وفتحها (لهم) اناس كانوا قد اصطفوهم فيها (اي كانوا على اتصال بهم) واقاموا فيها (٢٠ ـ ٢١) .

ب ـ ثم هجم ملك حضرموت من يثل مـــع كل جموعه على ناحية مدينتي نشق ونشن . ولكن اصحاب اوسادة (ابعل) تلكما المدينتين والحـــامية التي وضعها بهما املك سبأ لحمايتها دافعت عنهما : (٢١ ـ ٢٣) .

جـ ـ وامر كرب إل عبده نشأ كرب الجرقي ومعه سمهيفع البتعي وجماعة من الفرسان من جيش ملك سبأ لنجدة المدينتين نشق ونشن (٢٣ ـ ٢٥) .

د ـ وعندما سمع ملك حضرموت بتلك النجدة تراجع هو وكل جموعه من حول نشق ونشن (٢٥ ـ ٢٦) .

هـ ـ وجـــاءهم منذر في يثل (يخبرهم) بان كرب إل سيهجم عليهم ومعه جموع من مارب وكذلك تابعـاه نشأ كرب الجرتي وسميفع البتعي ومعهما جمع من المدينة نشق (٢٦ ـ ٢٨) .

و ـ فتحاشى ملك حضرموت هجوم الجمين . (مصرنهن) عليـــه بالمدينة يثل وتركها وذهب إلى ناحية حنان (٢٨ ـ ٣٠) .

ز ـ وقدم عليهم سيدهم كرب إل بين ملك سبأ وذي ريدان وجند مـــن المقربين اليه من مارب (٣٠ ـ ٣١) .

ح ـ فترك ملك حضرموت وكل جمعه ناحية حنان بانكسار ومذلة وذهبوا إلى محرم ذي يغرو (٣١ ـ ٣٢) .

ط ـ ونشأ كرب الجرتي وسميفع البتعي وجماهم فعادوا من نشق إلى مارب لمنازلة ملك حضرموت (٣٢ ـ ٣٤) .

ي ـ فعاد ملك حضرموت وكل جمعه من المحرم ذي يغرو إلى ناحية المدينة حنان (٣٤ ـ ٣٥) .

في هذا الجزء وردت كلمة (سفه) مرتين في « كسفهسو بعوهمو » (س٩) و« وسفه » (س ٢٨) ورأينا انها تعني « تحاشى » .

اما عبارة « محرم ذيغرو » (س ٣٢) و« محرمن ذيغرو » (س ٣٤ ـ ٣٥) فرجحنا أن (ذيغرو) إنما هو اسم المعبد وليس في الأمر اغـــارة على معبد (قارن ك ٣٢ فقرة ٤) .

القسم الربع : (جام ٦٤٣ / ٣٥-٣٦و٦٤٣ مكرر / ١-٤)

ويتحدث هذا الجزء عن المركة التي حدثت في انحاء حنان :

أ - يهجم عليهم سيدهم كرب إل بين ملك سبأ وذي ريدان بن ذمر عـلي ذرح وعبده نشأ كرب بن جرت (جام ٦٤٣ / ٣٥-٣٦) واقيال وقبائل ... مارب وينازلون حضرموت وجوعهـا ويدع إل وجوعه (جام ٦٤٣ مكرر ١-٢) .

ب - ويقتل من جموع ملك حضرموت ٢٠٠٠ جندي كما تقتل وتؤخـذ أفراسهم وكل ... وابلهم وحميرهم وكل حيوان (جرح) كان مـع ملك حضرموت وجمعه (٢-٣) .

جـ - ويعود يدع إل ملك حضرموت ومن بقي من جمعه بانكسار ودمـار وخزي (٣-٤) .

د - وبقية النقش (٤-١٠) دعاء لذلك نشأ كرب ولنشأ كرب وثوبان الجرتيان أصحاب النقش ولجرت و « لوفي بيتن سلحن وابملهو » .

ولا شك ان هذه الواقعة انما تمثل نقطة في العلاقات بين الطرفين ولا نظنها أدت إلى تغير يذكر في موازين القوى آنذاك . ولعلها تفسر العلاقات الـتي قامت بين يدع إل وعلهان نهفان بن يارم ايمن كما سنرى .

(ه) اسرة يارم ايمن الهمدانية

كانت تلك ايام حافـلة بالتغيير تطوى فيها العهود طياً سريعاً . كانت قوة الزعيم من الزعماء الاقطاعيين تعتمد على اقطاعياته أولاً وقوة قبيلته ثانياً ومـا يمكن أن يحققه من تحالفات تساعده على فرض زعامته أخيراً .

كان الزعيم منهم - فيـما يبدو - يعلن نفسه ملكاً في قومه إذا استطاع . ويسعى إلى الوصول الى مارب إذا واتته الظروف .

وكانت مارب ، فيما يبدو ، جائزة السبق الكبرى . وحولها دارت معارك انقلابية عديدة . وفي معبدها معبد المقه ثهوان بعل اوام الذي كان حرماً يقدسه الجميع كانت النقوش التذكارية تنصب لتحكي قصة الصراع كما أراد أن يرويها أصحابها .

في ذلك الجو المتقلب عايشت اسرة اوسلت رفشان الهمداني منذ عهد وترم يهأمن بن الشرح يحضب (الأول) أو ربما قبل ذلك ، وشارك اوسلت وابناؤه في الأحداث . وكنا قد رأينا يارم ايمن بن اوسلت رفشن ينجح في احلال السلام بين الاطراف العديدة المتناحرة (م ٣١٥) . فكان طبيعياً أن نراه ملكاً بين الملوك الكثر ربما بعد وهب إل مباشرة وربما في عهد ابنه كرب إل وتر يهنعم . وقد جاء اسمه متقدماً في (جام ٥٦٥) على شريكه (اخهو) كرب إل وتر كملكين لسبأ « دون ذي ريدان » .

ولا نكاد نعرف عن نشاطه بعد تملكه أو حتى عما جرى في الفترة بين اعلانه ملكاً وبين عهد ابنه علهان ، وهي فترة كما تدل الدلائل كانت مليئة بالاحداث والعلاقات المتغيرة [١٤٢] . ولهذا فانه لم يبق لنا إلا أن نتحدث عن ابنه علهان نهفان الذي رأيناه أول ما رأيناه الى جانب أبيه في النقش (جام ٥٦١ مكرر) . ولكن معارفنا عن هذا الملك أيضاً قليلة [١٤٣] ويعود اهمها الى عهد حكمه المشترك مع ابنه شاعرم اوتر .

ونلاحظ ان الملكين كانا مهتمين بعلاقاتهما مع حضرموت على عهد ملكها يدع إل . فهذا نقش (نامي ١٩) من عهدهما المشترك يتحدث صاحبه الهمداني عن لقاء تم بين سيدهم علهان ملك سبأ ويدع إل ملك حضرموت في ذات غيلم [بارض قتبان] حيث أبرموا تحالفاً فيما بينهما [١٤٤] . ولعل ذلك قد حدث في أخريات ايام يدع إل إذ أننا لا نلبث أن نرى حلفاً يعقد من جديد بين علهان نهفان وحضرموت في عهد ملكها يدع أب غيلان (م ٣٠٨ / ١٥ - ١٦) ، كما نرى جيش حضرموت يحارب الحميريين الى جانب الجيش السبئي (م ١٥٥) .

ويتحدث النقش (م ٣٠٨) أيضاً عن تحالف علهان مع جدرت ملك الحبشة بناء على طلب الملك الحبشي كما يقول النص ويصبح الطرفان بذلك جهة واحدة (كاحد) في الحرب وفي السلم ضد كل الاعداء .

وفي نفس النقش اشارة الى هزيمة الحقوهـا بعم انس بن سنحان وقبيلة خولان ، وكيف ان الخولانيين كانوا قد اوفدوا شبت بن علين الى ذي ريدان ليستنصروه ضد اسياده ملوك سبأ (١٨-٢١) غير ان شبت يضطر الى الاستسلام والخضوع لسيدهم علهان ملك سبأ (٢٣-٢٤) .

ويظهر من هذا النقش أن الاحباش اصبحوا طرفاً معترفاً به في الاحداث الدائرة آنذاك في اليمن . أما علهان نهفان فيبدو انه كان مشغولاً بمحاولة شكم الحميريين ومن أجل ذلك حالف الاحباش في الغرب والحضارمة في الشرق .

شاعرم اوتر ملك سبأ وذي ريدان

ويمثل عهد شاعرم اوتر تتويجاً للسياسة الذكية التي اختطتها اسرته خلال الاجيال القريبة السابقة لعهده والتي عاصرت فترة شديدة الاضطراب . ويبدو أن سياسة التحالفات التي اختطها والده من قبل كانت قد حققت اغراضها واستنفذتها عندما انفرد شاعرم بالحكم .

ومن بين الاحد عشر نقشاً التي اكتشفتها البعثة الامريكية في محرم بلقيس بمارب (جام ٦٣٢ ــ ٦٤٢) والعائدة إلى فترة حكمه لا يوجد نقش واحد للملك نفسه وهو في ظننا دليل قاطع على أن ما اكتشف لا يمثل إلا جزءاً من نقوش ذلك العهد الهام الذي حقق خلاله السبئيون وحدتهم من جديد تحت راية ذلك الملك الكبير الذي استطاع أن يحول طاقات السبئيين من الصراع الداخلي إلى حروب خارج حدود المملكة .

والنقش الملكي الوحيد المعروف هو النقش (ك ١١ = ذمي ١٢) الذي

يارس فيه الملك شاعرم اوتر اعترافاً علنياً بالتقصير في القيام بحرب اوصى بها المقة — فيما يبدو — ضد حيوم بن غفرن والتزم شاعرم بتنفيذها في تاريخ معين ، «فوجه المقة عبده شاعرم اوتر ملك سبأ ليقدم له هذا التمثال تكفيراً عن عدم وفائه بكل مـــا سطر بتلك التقدمة كما أمر ان يارس طقوساً دينية أخرى (كصري لمسألهو) عبده شاعرم اوتر ملك سبأ وبيتن سلحن وغمدن وادمهمو سبأ وفيشان(ك ١١ / ٤) . وفي هذا النقش نرى شاعرم نفسه يصف نفسه بملك سبأ بن علهان نهفان ملك سبأ (س ١) ونرى في نفس الوقت انه قد تملك كلا من قصري سلحين وغمدان (س ٤ » . بينما هناك نقوش قليلة (مثل جلاسر ١٣٧١ وك ١٠) وصفت علهان وشاعرم بملكي سبأ وذي ريدان ويصعب تعليل ذلك [١٤٥] . على أن المؤكد هو ان شاعرم خلال حكمه المنفرد ثم المشترك مع اخيه حيوعثتر يضع تلقب باستمرار (فيما عـدا النقش ك ١١) بملك سبأ وذي ريدان [١٤٦] .

ونلمس مـن النقش (م ٣٣٤) و (جام ٦٣٣) ان الحميريين كانوا خاضعين أو محالفين لهـــذا الملك حتى انه حين غزا حضرموت كانت قوته العسكرية تتكون من سبأ وحمير (م ٣٣٤ / ٣) .

الحرب ضد العزيلط ملك حضرموت

ترجع معلوماتنا القديمة عن هذه الحرب الى اشارات خاطفة في عـــدد من النقوش مثل (م ٣٣٤) الذي سبقت الاشارة اليه والذي ورد فيه أن الصدام بدأ في ذات غيلم [١٤٧] ، وهي اشارة هامـــة كما سنرى ، وامتد الى شبوه ، وصوأرن [١٤٨] في وادي حضرموت (س ١٧–١٨) ، والنقوش (جام ٦٣٦ و٦٣٧ وفخري ١٠٢) التي يتحدث أصحابها عن تقدمات لالمقه من الغنائم التي عادوا بها من شبوه . ومثل ذلك النقش (فخري ٧٥) . أمـا صاحب النقش (جام ٦٣٢) فان غنائمه كانت من شبوه وقنا . وهناك نقشان (جـــام ٧٤١ و ٧٥٦) وصاحبها شخص لطيف اسمه حيثع بن كلب ذكرم السبئي عبد ذت

نمميرل وحبت الذي يقدم بهما تمثالين لالمقه بمناسبة عودته سالماً من شبوه ومن البحر . ولا يكلف نفسه عناء ذكر السبب الذي حمله الى هناك والزمن الذي حدثت فيه تلك الرحلة الخالدة ، أو أن يتودد الى أي ملك من الملوك ولا حتى (ملوك سبأ) بالجملة . وهناك اشارات الى ان الحرب شملت في نفس الوقت قتبان وردمان ومضحيم واوسان (جيوكتزا) (١٤٩) وهم حلفاء حضرموت في ذلك الزمان كما نعرف .

ولدينا الآن نقش جديد (ك١٣) يؤكد كل تلك الاشارات ويوضحها ولهذا فاننا نفضل ايراد شرحه بالتفصيل (١٥٠) .

شرح النقش (ك١٣)

(١) فارع احصن الاقياني (بن اقيان) اقيال بكيل الربع من شبام (ذشبمم) مقتوي شاعرم اوتر ملك سبأ وذي ريدان بن علهان نهفان ملك سبأ أهدى المقه ثهوان بعل اوام تمثالين من الفضة (ذصرفن) من ماله الذي تملكه من المدينة شبوه .

(٢) يوم شايع سيده شاعرم اوتر ملك سبأ وذي ريدان بن علهان نهفان ملك سبأ عندما اغار (ضبا) على العزيلط ملك حضرموت وعلى جيش وقبائل حضرموت في الحرب التي شنوها على سيدهم شاعرم اوتر ملك سبأ وذي ريدان.

(٣) حمداً اذ منح (خمر) واعان المقة ثهوان بعل اوام سيدة شاعرم اوتر. العودة بسلامة وصحة وحمد واحلل (؟) وأفراس وسبي وغنم همـا أرضاه من أرض حضرموت ومن كل غزوة وغاره على جيوش وقبائل الجنوب والشمال (يمنت وشامت) .

(٤) وحمد قوة ومقسام المقة ثهوان إذ وفق أونجي (ستوفي) سيده شاعرم اوتر من كل تلك الغزوات والغارات .

(٥) وحمداً إذ منح وأعان المقة ثهوان بعل اوام سيده شاعرم اوتر بتدمير وتحطيم (قتض) وإخضـــاع (هثعلن) وومنح وحسم واستئصال كل جيش ومصر (حشد من المقاتلين غير النظاميين) وقبائــل حضرموت بناحية ذات غيل (ذات غيلم) بارض قتبـان واحضروا ملكهم العزيلط ملك حضرموت إلى المدينة مارب .

(٦) وإذلال وإخضــاع وإسقاط كل ولدعم : قتبان وردمان وخولان ومضحي وقبائل اوسان وقسم وحدلم .

(٧) وحمداً إذ منح واعان المقة ثهوان بعل اوام تابعة فارعم احصن وجند ترأسهم وأتم انطلاقته نحو القصر شقير [قصر] ملك حضرمـــوت والمدينة شبوه عندمـا وجهه وأوصاه أو كلفه سيده شاعرم اوتر بان يحصن ذلك القصر شقير ويحرس سيدتهم « ملك حلك » ملكة حضرموت ....ن علهان نهفان ملك سبأ .

(٨) وينطلقون نحو القصر شقير بثلاثين جندياً ويضمون بمابه أربعة جنود وفي اليوم الذي بلغوا فيه ذلك القصر شقير قتلوا في وسطه وحوله ابنـــاء العز وحجاب (اذن) ونائب (عقبت) ملك حضرموت وحجاب وبعضاً من اقيال ورؤساء (مرأس) وسادة (ابعل) المدينة شبوه مقتلة جيدة .

(٩) وقتلوا (بضعوا : لعله بالسيف) خمسة وثمانين جنديـاً غير من شتتوا حول القصر شقير ممن طـاردوهم « هبررو » منه جرحى وغير من واصلوا قتلهم حـــوله لما (لن) كرو على الاحضور « احضرن = الحضارم » واستأملوهم من حول فناء القصر شقير غير من قتلوا بالمفجرة [١٥١] ومن رموهم (ندفوا = الرمي من بعد بالقسي مثلا) في اطراف ؟ (صنوق؟) شبوه طيلة الايام التي تحصنوا فيها بذلك القصر شقير والذين قتلوا (إل بضعو ؟) [١٥٢] وجيدة كانت المقتلة من الجند الذين قتلوا .

(١٠) ويأتي (ياسين) » بوسط المدينة شبوه. أربعة آلاف جندي للمرابطة عندما غزا الملك إلى ذات غيل . [اما] فادعم وجند ترأسهم فتحصنوا بذلك القصر شقير خمسة عشر يوماً ، وليس لهم به ما يلزم من ماء (كل موم) للشرب [مده] ثلاثة عشر يوماً . فيشربون شرباً قليلاً حتى ان أهل (نفص) سيدهم شاعرم اوتر وجمعه بعـــد أن « سبطوا » جموع حضرموت حـول ذات غيل و (وهعنهو) وانطلق واحتل ونهب (ختترشن) وأحرق أو هـــدم (دهر) المدينة شبوه .

(١١) والغى اخته ملك حلك بوسط القصر شقير سالمـة . وإتباعه فارعم الرجل، الذي وجهه وأوصاه بالغزو وترؤس اولئك الجند، وجند معه فوجدهم سالمين لم يفقد منهم (بلتن مو) غير ثمـــانية جنود [وهم] الذين قتلهم منهم الاحضور . [اما] بعض من نساء (انث) حضرموت وخـدم القوم بالقصر شقير فبما انهم وسطة فماتوا « وضأي » من الظمأ .

«١٢» وحمد قوة ومقام المقة ثهوان إذ منح واعان واعلى (هعلن) » عبده فارعم وجند ترأسهم مقتلة حقيقية أرضتهم بوسط ذلـك القصر شقير [وفي] هجمة غادرة هجمها « مفجرة فجرو » عليهم الاحضور بمدينة شبوه (؟) وبكل اماكن شايعوا فيها سيدهم شاعرم اوتر . وحمـــداً إذ غادروا بسلامة وصحة حواس واحلل (؟) وسبي وغنائم أرضتهم .

(١٣) وحمـداً إذ داوم المقة فأتاح لعبده فارعم أن غزا وذهب (ومطو) إلى ارض حضرموت في غزوتين اخريين في اراضي حضرموت [حيث] واصل جمع الذهب والغنائم من المدينة شبوه وقنـــا . وانطلق ودمر (او احرق) تدميراً جيداً سفناً بالميناء (حيقن) قنا مرسى (مكدح) ملك حضرموت . وعاد جيشهم بسلامة واحلل (؟) وسبي وغنائم جيدة .

(١٤) وليرزقهم المقة ثهوان (حظي ورضو) سيدهم شاعرم اوتر وليواصل

:بقه اسعادهم بصحة الحواس ومقـام [حسن] واحلـــل وسبي وغنائم بكل الاراضي [التي] بها يشايعون سيدهم شاعرم اوتر وأراضي بهـــا يوصيهم وليحميهم المقة من (نضح وشصي) [كل] شاني أن بعد أو قرب .

(١٥) وليواصل المقة تدمير وإسقاط وإذلال وسحق ومحق كل ضار وشاني لسيدهم شاعرم اوتر . بالمقـــة وبسيدهم شاعرم اوتر . واودعوا تقدمتهم المقة [لحمايتها] من كل متمجرف وممربد ومزحزح لها من مكانها .

هذه هي قصة الحرب في أدق مراحلها ومنها نلاحظ :

١) ان المزيلط قد أسر في ذات غيل وجيء به إلى مارب . ولعل ذلك قد حدث نتيجة لحملة مفاجئة (فقرة ٥) .

٢) هناك إشارة سريعة إلى هزيمة كل ولدعم واوردهم بالتفصيل(فقرة ٦) .

٣) يظهر أن شاعرم اوتر احكامـاً لخطته المباغتة ارسل فارعم احصن إلى القصر شقير قبيل أو في نفس اللحظة التي اغـــار فيها على ذات غيل في أرض قتبان حيث كان المزيلط موجوداً . ويذكر فارعم أن الغرض كان حراسة ملك حلك ملكة حضرموت التي يبدو انها بنت علهان نهفان واخت شاعرم اوتر كما جـــاء في الفقرة (١١) . ومن هذه الاشارة يجوز لنا أن نستنتج ان الحلف الحضرمي السبئي أدى في وقت من الاوقـات إلى مصاهرة بين الطرفين (وغني عن القول أن هذه اول ملكة تذكر في النقوش) .

ويظهر أن شاعرم عندمـا بيت النية على غزو حضرموت كلف فارعم ببدء المهمة السرية التي أخذت حراس القصر على حين فجأة .

وهذا ايضاً يدل على أن القصر شقير لم يكن ضمن اسوار شبوه وإنما هو على أحد المرتفعات المقابلة لها أو المطلة عليهـا كما نفهم من السطر (٩) والقصر شقير

مثل سلحين ليس إلا قلعة تضم جند الملك المقربين وحراسه (الفقرة ٧) .

٤) الفقرات (٨ — ١٠) تحكي قصة إحتلال القصر والقتال الذي دار منذ لحظة وصول الغزاة ثم تحصنهم بداخله حتى وصول شاعرم اوتر .

٥) الفقرة (١١) تصور حالة من ظلوا بالقصر بعد إحتلاله . ويلاحظ أن الذين ماتوا من الظمأ هم النساء والخدم الذين كانوا بداخله .

٦) غير واضح لنا من أي جهة كان الاربعة آلاف جندي (الفقرة ١١).

٧) لا يحكي النص ماذا فعل شاعرم اوتر بعد وصوله شبوه غير اننا رأينا من النقوش الأخرى انه توغل في وادي حضرموت .

٨) بعد نجاح مهمة فارعم الاولى يحدثنا عن مهمتين اخريين احداهما اشتملت على عودته إلى شبوه حيث واصل الاختراش (اللسان : جمع وكسب.. وخرش من الشيء أخذ منه الخ) . والثانية وهي المهمة غزوته إلى ميناء قنا الذي يسميه (مكدح ملك حضرموت) . والمكدح يذكرنا بلفظة مجدح الحضرمية وهو موقف السفن على الشاطيء . ويقال ايضاً للحوت (جدح) إذا خرج إلى السبق وانحسر عنه الماء فلم يستطع العودة إلى البحر وكذلك المركب والزورق. ويسمى ميناء بير علي المجاور للميناء القديم (قنا) مجدحة . ولا بد أن هذا الاسم اثر باق من الاسم التاريخي للمكان . ويذكرنا الحديث عن السفن التي دمرت في الميناء بالنص (جيوكانزا) الذي تحدث عنه جام واستبعد ذكر السفن فيه [١٥٣] .

الحرب ضد الاحباش ومن والاهم

اما حرب شاعرم اوتر ضد الاحباش فقد شملت اقواماً آخرين وامتدت فيما يظهر من حدود قبيلته حاشد حيث كانوا يتحرشون بها إلى اراضي خولان العالية

فبلاد سهرت والاشاعر ونجران حتى وادي الدواسر وأراضي قبيلـــة كندة في اواسط الجزيرة العربية .

والنقش الرئيسي المعروف والذي يتناول هذا الجانب بتفصيل اكثر من غيره هو نقش ايكرب احرس بن عليم ويحمذل (جـام ٦٣٥) الذي يقدم به تمثالاً إلى المقة من بين ما تملكه من(قرية) ومعه طنف طيب (طنف هنا غالباً وعاء الطيـب) (١ — ٥) وذلك حمداً على نصره لشاعرم اوتر في كل المعـارك التي خاضها ضد كل الجيوش والقبائل المنـاوئة من ناحية الجنوب أو الشمال أو البحر أو اليابسة » (— ١٣) وليواصل المقة نصره له عليهم (١٣ — ١٦) .

ثم يحمده على ما من به عليه نصه (أي ايكرب) عندما اشترك في المعارك إلى جانب ملكه (١٦ — ٢١) ويحددها فيما يلي :

(١) في سهرت ضد الاشاعر وبحرم ومن كان معهم (٢١ — ٢٣) .

(٢) وفي انحاء مدينة نجران ضد محاربي الاحباش ومن كان معهم (٢٣ — ٢٥) .

(٣) وفي مدينة (قرية ذات كاهل) (كهلم) غزوتين ضد ربيعة ذي الثور ملك كندة وقحطان وضد سادة المدينة : (قرية) (٢٥ — ٢٨) .

ثم المعارك التي كلفه بها الملك وعـاد منها بالغنائم الوفيرة ويفصلها في عدة اسطر ومن ضمنها الافراس التي قتلها والتي أخذها حية (٣١ — ٣٢) .

وكان قد قاد خلالهـا جماعات من خولان حضلم ومن نجران ومن الاعراب (٣٢ — ٣٤) وذلك لحرب عشائر يحبر اسد كانوا متعاونين مع بني يونم (١٥٤) وقرية (٣٤ — ٣٦) . وقـــد جرت الحرب (ويحربهم) بكنف أرض الاسد بجزت مونهن (١٥٥) ذغال (٣٦ — ٣٧) .

وبقية النص هو الدعاء الاخير (٣٨ – ٤٦) غير اننا نلاحظ انه يقول فيه (بذت خمر المقة عبد هو حظي ورضو مرأهو شمرم اوتر الخ) فهو يحمد المقة انه حقق له رضى سيده مما يوحي بانه واثق من ذلك وهذا قد يبين مكانته .

ولهذا الرجل نقش آخر (جام ٦٣٣) يذكر فيه انّه كلف بالذهاب إلى لحج (مقمن ذلحجم) في مهمة تتعلق بالحميريين (احمدن) بمناسبة (أبدتم ذكونو بين خمسنهن) . وقد حاول جام ترجمة النقش باعتبار أن (ابدت) تعني مساكن .. ولكن ابدت قد تعني ايضاً آبده (= الأمر العظيم) الذي قد يوحي باحتكاك بين الجيشين .

هذا وقد اشير إلى الحرب التي جرت في موضع (قرية) في نقشين آخرين : (جام ٦٣٤) الذي يسميها (قريتم ذت كهلم) و (جسام ٦٤١) الذي يسميها (قريتم) . والنقش الاخير من النقوش التي ذكرت حيو عثتر يضع إلى جانب اخيه شاعرم اوتر كملكين معاً . اما القرية فهي المعروفة الآن بالفاو وتقع في وادي الدواسر [١٥٦] . والنقش (ك ١٢) وهو (شرق الدين ٢٠) في كتابه تاريخ اليمن الثقافي من النقوش التي تذكر حيوعثتر ايضاً ولكن دون اخفاء صفة الملك عليه مثل (جام ٦٤٠) . ويتناول (ك ١٢) الصراع مع الاحباش ومن لف لفهم . وسنحاول ايراد فحواه فيما يلي :

١) صاحبه هو وفيم اذرح الذي كلفه شاعرم اوتر بحراسة حدود حاشد والدفاع عنها خلال حرب اشعلها الاحباش ومن لف لفهم من سوهرن وخولان.

٢) وقد صان كل حدود ومدن واهل حاشد ومن كان معهم من (ذأ بنو) الاعراب طيلة اعوام المرابطة (بكل خريفت يجزي) للدفاع عن حدود حاشد حتى ان جاء الاحباش مرة واغاروا بالفين وخمسمائة مقاتل على الاعراب في منطقة وادي وعر بغرب حاشد [١٥٧] .

٣) عندها هجم عليهم وفيم ادرح ومعه مائة وسبعين جنديــاً من العرب (عرين) وادركوهم ليلاً بالمقر ذي الشرحــة (بمقرن ذشرحتن) وداهموا مساكنهم ليلاً وقتلوهم واستأصلوهم من مساكنهم واستنقذوا منهم خمسمائة سبي .

٤) ويوم كلفه سيده شاعرم اوتر ملك سبأ وذو ريـــدان واخيه حيوعثتر يضع بن علهان نهفـــان ملك سبأ فتقدم مفسره (المفسرقطعه من الجيش) من الجيش مكونة من ستمائة جندي لحرب ازدجيش وحريب بن علين الخولانيين(هذا يذكرنا بشبت بن علين في م ٣٠٨) .

٥) ويحاربوا اذدهم بنجد محر بن بمساكن ذي السهرة .

٦) فيوقعوا بهم مقتلة بلغت مائتين وعشرة قتلوا ذبحاً أو تقطيعاً (بضعم) وثلاثمائة سبي واربعمائة من الاولاد (أي الصغار) والنساء « هرجوا » وثلاثمائة من الإبل وثلاثمائة وألف من البقر ومائتين واثنين وسبعين من الحمـــير وعشرة آلاف من الشياه .

٧) وباقي النص للدعاء الأخير .

ولعل ما جاء في (جام ٦٣٥) هو اقدم اشارة في النقوش السبئية إلى مملكة كنده التي قامت في أواسط الجزيرة [١٥٨] والتي نراها في صدام مع شاعرم اوتر ربما لتعرضها للقوافل اليمنية الـــتي اصبحت فيما يبدو تتعرض لاخطار كثيرة بسبب الوجود الحبشي في الاجزاء الساحلية . ويبدو ان فـــترة الاضطراب والتمزق الداخلي في سبأ قد ساعدت الاحباش على تثبيت أقدامهم أكثر فاكثر وشجعتهم على التوغل في الاجزاء اليمنية ، فالمقر ذي الشرحة قـد يكون هو المعقر الذي ذكره الهمداني (الصفه) في انحاء زبيد ، ولعلهم بلغوا أيضاً بلاد الاشاعر التي تمتد على الساحل إلى باب المندب [١٥٩] ولقد استمرت المعارك بين السبئيين والأحباش بعد شاعرم اوتر كما سنرى .

اما فيما يتعلق بالعلاقات مع حضرموت فهناك نقش ناقص (جام ٦٤٠) من النقوش التي ذكرت حيوعثتر مع اخيه شاعرم اوتر دون ان تضفي عليه لقب الملك . وفيه نرى شاعرم اوتر يخف إلى نجدة العزيلط لمواجهة متاعب داخلية في مكان ما من حضرموت (١٦٠) مما يدل على ان علاقات جديدة قـد أقيمت ربما كان فيها العز بمثابة التابع لشاعرم . على ان هذا مجرد احتمال من احتمالات كثيرة خاصة وان هناك مظنة صلة مصاهرة بين الملكين (لـ ١٣) .

ومن جهة أخرى فإننا نتوقع أن يكون فارق السن بين الرجلين كبيراً حيث أن شاعرم فيما نعرف قد عاصر ملكين حضرميين من قبل العزيلط هما يدع إل (ثامي ١٩) ويدع أب غيلان (م ١١٥و٣٠٨) .

وهكذا فانه بعد اختفاء شاعرم اوتر نتوقع أن يكون العزيلط قـد عاش فترة ليست بالقصيرة .

(٥) اسرة فارعهم ينهب

لا تزال العلاقة بـين اسرتي علهان نهفان وفادعم ينهب ، إن كانت هناك علاقة ، غير معروفة . وقد شغلت هذه القضية العلماء أول ما أطلت برأسها من خـلال المساند القليلة المعروفة وتضاربت استنتاجاتهم . وكان السؤال الذي طرحوه على أنفسهم : أي الفريقين يمثل الجانب الشرعي ، وأيهم المغتصب ؟

ونحن إذا تأملنا هذه الفترة من خلال النقوش التي بلغتنا لما وجدنا من ينطبق عليه اسم الجانب الشرعي . فالشرعية ، بمفهومها التقليدي ، لم تثبت جذورها في ذلك الجو العاصف .

ولقد حاول جام مستخدماً المسند (م ٣٩٨) إلى جانب المسند (جام٦٣١) أن يثبت نظريته القائلة بوجود ملك رئيسي في مارب وإلى جانبه ملوك صغار

في الأقاليم تابعون له، وهي النظرية التي حاول بها تفسير العلاقة بين اسرتي علهان لهفان وفادعم ينهب ضمن العلاقات الأخرى [161] .

فلنتأمل أولاً في (جام ٦٣١) لنرى ماذا جاء فيه حقاً :

(جام ٦٣١)

١ — صاحب النص هو قطبان اوكن من جرت اقيال قبيلة سمهودم يهولد (١—٣) .

وهكذا فان علينا من البداية أن نلاحظ أننا أمـــام زعيم قبلي من طبقة الاقيال له قبائله التي تأتمر بأمره . كما أن علينا أن نتذكر أن جرت ، قبيلة هذا القيل ، تقع بحكم موقعها في نعض وربما صنعاء أيضاً وسطاً بين همدان وحمير . وقـــد رأيناها حليفاً لمرثد ايام الشرح يحضب الأول كما رأيناها حليفاً لحمير أيام ذمر علي ذي ريدان (جلاسر ١٢٢٨) كما تولى بعض أبنائها الملك في الجانب السبئي .

٢ — هذا القيل الجرتي يسجل في مسنده الذي أودعه معبد المقه ثهوان بعل اوام بمارب عند اهدائه تمثالين إلى المقه :

أولاً : شكره لالمقه لانه أعان عبده قطبان اوكن وقبيلته في قتالهم ضد الملوك والقبائل الذين ثاروا على سيدهم شاعرم اوتر ملك سبأ وذي ريدان الحرب من البحر واليابسة (بني ذبحرم ويبسم). وانه وقبيلته شايعوا شاعرم اوتر ضد أولئك المعتدين وعمـــلوا فيهم قتلاً وغنموا منهم الأسرى والأسلاب والغنائم (٣—١٠) .

ونستطيع ان نتصور من هذا المقطع اشتراك الاحباش في تلك الحروب ضد

شاعرم اوتر من مجرد ذكر البحر إذا شئنا غير ان النص لا يفصل شيئاً .

ثانياً : (وهذا المهم) يتحدث عن مهمة قام بها في أرض حبشت . ويصفها في العبارات التالية لا غير وفي ستة اسطر ، وهي :

« وبذت / هوشع / عبده / قطبن / اوكن / بن / جـــرت / يكن / نبلهو / مرأهمو / شاعرم / اوتر / ملك / سبأ / وذريدن / عدي / ارض / حبشت / بعبر / جدرت / ملك / حبشت واكسمن / وتاولو / بنهو / بوفيم / هو / وكل / شوعهمو / وثهبو / مراهمو / شاعرم / اوتر / ملك / سبأ / وذريدن / يكل / بلتهمو / عمن / بخشين / مثبت / صدقم / ذهرضو / مرأهمو / بن / كل / ذهبلتو / » .

(١١ – ١٦)

ماذا اراد قطبان ان يقول لنا ؟

١ – ان شاعرم اوتر أوفـــده (نبلهو) إلى أرض حبشت لدى (بعبر) جدرت ملك حبشت والاكـسوم « أو الاكـسوميين » . فهل تعني « نبلهو .. بعابر » « جهزه ضد » ؟ لا نظن !

٢ – انه عاد منها بالسلامـــة هو وكل مرافقوهم (؟) « وتاولو بنهو بوفيم هو وكل شوعهمو » . ونحن نلاحظ من هذا الجزء أن هناك مرافقين .

ولكن مع حرص قبطان على ذكر اشتراك قبيلته في كل المقـاطع الأخرى المتعلقة بالقتال فانه لا يذكرها هنا . ويذكر أن الملك اوفده (نبلهو) بما يعني انه صاحب هذه المهمة الأول وأن من ذهب معه إنما هم مرافقون لم يحرص على أن يذكر شيئاً عن إنتماءاتهم أو مراكزهم . أمـا ذكر العودة (بوفيم) فلا يحتم أن تكون العودة من الحرب ولذلك امثلة في النقوش . والسفر له اخطاره ايضاً والعودة منه بسلامة تستحق الحمد .

هنا فقط نتساءل عن عبارة (أرض حبشت) التي أرسل إليها قطبان وهل تعني الحبشة الافريقية أم كياناً حبشياً على البر اليمني ؟ مع عدم استبعاد وجود مثل ذلك الكيان فان حبشت تعني في الغالب أرض الحبشة الاصلية في افريقيا. وذكرها قبل اكسمن في عبـــارة « ملك حبشت واكسمن » يرجح ذلك فلو كانت اكسمن هي وحدهـــا الدالة على الكيان الحبشي في افريقيا وحبشت هي الامتداد على البر العربي لتقدم ذكر اكسمن على حبشت. هذا والله أعلم .

٣ ـــ ويذكر قطبان انهم (أي الوفد طبعاً) اثابوا (ثهبو) سيدهم شاعرم اوتر مثابة صادقة (مثبت صدقم) في كل ما اوفد وأمن اجـله إلى النجاشي ، أو في كل مفاوضاتهم مـــع النجاشي (بكل بلتهمو عمن بخشين) الأمر الذي ارضى سيدهم من كل ما حققوه من المفاوضات (هبلتو) .

ونلاحظ أن هذه المهمة أو المفاوضات(بلتهمم) كانت مع النجاشي شخصياً (عمن بخشين) فاي حرب هذه؟ بل أين جو الحرب المعتاد في هذا المقطع دعك عن القتلى والجرحى والغنائم الخ .

ثالثاً : (وهذه قصة ثالثة) :

١ ـــ أن المقة اعـــان عبده قطبان اوكن بن جرت وقبيلتهم سمهرم يهولد عندمـــا سبأ و« هجم » أو « نهض للنجدة » قطبان اوكن بن جرت وقبيلتهم سمهرم يهولد من المدينة نعض[في بلاد جرت] إلى المدينة ظفار ومالأهم أو شد أزرهم (هملأهمو) حاميهم (شيمهمم) عثتر عزيزن (١٦ ـــ ٢٠) .

٢ ـــ عندما زحف وهاجم بيجت ولد النجاشي وجموع الاحباش على مدينة ظفار وعسكروا حول المدينة ظفار (٢٠ ـــ ٢٢) .

٣ ـــ وعندمـــا انطلق قطبان اوكن بن جرت وقبيلتهم سمهرم يهولد إلى

المدينة ظفار خلال (قتر وعد) ليلاً ففر منهم الاحباش خـلال (عر الن) وسط المدينة (٢٢ — ٢٥) .

٤ — وخف قطبـــان اوكن بن جرت وقبيلتهم سمهرم يهولد والتقوا بلعزم ينهفيهصدق ملك سبأ وذي ريدان واقيال وقبائل ذي ريدان. وقتلوا وقطعوا واستأصلوا الاحباش من وسط المدينة (٢٥ — ٢٨) .

٥ — وفي اليوم الثالث (لثلثم يومم) يكر (يهبرر) بعض الذين من ذمـــار مع منسرة (قطمة) من الجيش وبعض من قبائــل ذي ريدان ويخترقون أو يدهمون (بعور) ليلا معسكر الاحباش ويقتلون من الاحباش اربعمائة جندي تقطيعاً بحد السلاح (٢٨ — ٣١) .

٦ — وفي اليوم الثـالث (والثلثم يومم) فيكر قطبــــان اوكن بن جرت وقبيلتهم سمهرم يهولد ويتعقب (يتسببنن) الاحباش ومعهم بعض رمــــاة (بن ندف) المعفريين (معفرم) ويقتلوا بعض الأحباش في التعقـب (يتسببنن؟) ويجلبون معهم أحباشاً (إلى) معسكرهم «٣١ - ٣٤».

هنا في هذا المقطع كلمتان هامتان :

أ) تسبب : ولعل لها صلة بلفظة « صبب » العربية .

ب) ندف : وهذه فيما نرجح تعني نوعاً من المقاتلين. وقد مر بنا لفظ(ندفو) في (ك ١٣) وشرحناها بـ (رموا) ونتصور هنـــا أن قطبان اصطحب معه رماة من المعفريين عند مطـــاردة الاحباش لتصيدهم . وليس بخاف أن لفظة (ومعهم) في العبـارة قد تعني أن المعفريين مـــع الاحباش ولكن السياق يستبعده (١٦٢) .

٧ — بعد يوم آخر أو بعد اليوم الثاني (وبعد ثنيم يومم) انسحب الاحباش من الخاء ظفار جوعاً ووردا المناهر (٣٤ — ٣٦) .

في هذه النقاط السبع ـ كما نظن ـ وصف قطبان قصةً اشتراكه مع الحميريين في معركة حول ظفار وبوسطها ضد الاحباش الذين يقودهم بيجت ولد النجاشي . فماذا نلاحظ ؟

أ) هذا مدد من جرت للحميريين المحاصرين في ظفار ربما وفقاً لتحالف قائم أو استجابة لاستنجاد ولكن حتما ليس تنفيذاً لأوامر شاعرم اوتر. ولا يفوتنا حرصه على الاشارة إلى الاله القبلي عثتر عززن في هذا المقطع .

ب) يظهر أن بيجت ولد النجاشي لم يأت غازياً من وراء البحر .

جـ) مجيء قطبان على ما يبدو أربك الاحباش وجعلهم يندفعون إلى وسط المدينة .

د) هـذا فيما يظهر سهل لقطبان الوصول إلى الحميريين والانضمام اليهم . ولعلهم كانوا من قبل محاصرين . واستطاعت القوتان معاً أن تزيل الاحباش من وسط المدينة .

هـ) وتقوم قوة مكونة من مدد من مدينة ذمار الحميرية مع فرقة من الجيش بمداهمة المعسكر الحبشي ليلاً ولا بد انها شتتتهم .

و) فترى قطبان يقوم بتعقبهم ومعه بعض من الرماة من المعفريين فتمكنوا بذلك من قتل البعض وأسر البعض .

ز) نتيجة لذلك كله اصبح الجيش الحبشي معزولاً لا يستطيع الحصول على المؤن ولما عضهم الجوع انسحبوا إلى المعاهر « ردمان » . وهذا قد يدل على :

١ ـ ان الاحباش لم يجبروا على الانسحاب تحت ضغط اليمنيين وحدهم وإنما كان للجوع أثره .

٢ ـ انهم لم ينسحبوا من اليمن كله لانهم لم يأتوا في هذه المرة من خـارج اليمن وإنما كانوا قد ثبتوا أقدامهم في مواضع كثيرة على الأرض العربية . ويرجح انهم جاءوا إلى ظفار ومن معاهر واليها عادوا بعد أن عجزوا عـن احتلال ظفار. ولكن وجودهم في المعاهر ذاته يدل على توغلهم في اليمن وهو ما رأيناهم يحاولونه ايام شاعرم اوتر .

رابعاً : (وهذه عقدة أخرى) يدعو قطبان في آخر النقش لملك جديد هو سيدهم لحيعث يرخم ملك سبأ وذي ريدان .

ومجرد الدعاء نفسه دليل قاطع في ظننا على أن النقش إنما خط في عهد ذلك الملك وأن قطبان كان يدين له بالولاء . ومن سياق النقش ايضاً نفهم أن لحيعث إنما حكم بعد ذهاب شاعرم اوتر .

الخـلاصة :

١ ـ الاشارات إلى شاعرم اوتر ـ كما يظهر ـ إنمـا هي من باب تسجيل حوادث في الماضي ولا علاقة بين مهمة قطبان في أرض حبشت ايام شاعرم اوتر والحرب التي حدثت في ظفار .

٢ ـ لا يستبعد أن يكون لعزم يهنف يهصدق معاصراً للحيعث يرخم الذي لا بد انه حكم بعد ذهاب شاعرم اوتر، ولكن اين كان مقر حكمه ؟

٣ ـ أن النص إنمـا يقدم مشاكل جديدة ولا يقدم حلاً للمشكلة القديمـة مشكلة العلاقة بين اسرتي علهان نهفان وفارعم ينهب .

وليس الحال بالنسبة إلى(م ٢٨٩) بافضل ، فاهميته ـ كما يقول جام نفسه ـ تأتي من (ذكر كل من الملك شاعرم اوتر فيما يتعلق بتسجيل احداث في الماضي، والملكين الشرح يحضب واخيه يازل بين عند الدعاء المتعلق بالمستقبل والموجه إلى الالهة) [١٦٣] .

وكان جام قد اعتمد في مناقشته على (جـــام ٦٣١) اكثر من اعتماده على (م ٣٨٩)لأنه اعتبر قطبان اوكن حين خاض معارك ظفار إنما فعل ذلك تحت راية شاعرم اوتر ، وهو ما لا سبيل إلى اثباته . بل ان هناك احتمالا بان شاعرم اوتر لم يشهد تلك الاحداث .

فنحن لا نستبعد أن يكون قد وجد من يحمل لقب ملك سبأ وذي ريدان في ظفار وفي مارب في آن واحد وذلك في فترات الصراع والصدام بين الحميريين والسبئيين . ولكننا لا نملك دليلا قاطعاً على أن ملكين في سبأ نفسها حملا نفس اللقب المزدوج في وقت واحد وعاشا في وئام .

وإذا عدنا إلى النقش (م ٣٨٩) وجدنا انه يبدو أن صاحبه كان قد عاصر شاعرم اوتر ثم خط نقشه في عهــــد الاخوين الشرح يحضب ويازل بين . وبهذه الصورة نستنتج امرين :

أ — ان عهد الاخوين كان قريباً من عهد شاعرم اوتر . وانهما لا شك عاشا على الاقل في مطلع حياتهما ايام ذلك الملك ولكننا لا نعرف شيئاً عـن نشاطهما آنذاك .

ب — ان وصولهما إلى مارب وتلقبهما بملكي سبأ وذي ريدان إنما حدث بعد عهد شاعرم اوتر . بل اننا لا نعرف الصلة بين عهدهما وعهد لحيعث يرخم الذي لا بد وانه جاء بعد شاعرم اوتر ايضاً. وكان وصولهما ايضاً بعد وصول الحميريين اليها (انظر ادناه) .

اما والدهما فارعم ينهب الذي نفهم من النقش (جام ٥٦٦ / ٨ — ١٠) انه تلقب بملك سبأ فقط فليس لنا إلا ان نستنتج انه كان احد الزعمـاء الذين حملوا لقب الملك في مناطقهم وأن ننتظر المزيد مـن الادلة بدلاً من الانطلاق مـــع الخيال الجامح .

وأغلب الظن انه بعد اختفاء شاعرم اوتر ذالك الملك الكبير أو ربمـــا في آخريات ايامه عاد الاضطراب من جديد ولعل هذا نفسه ما يؤكده النقشان دم ٢٨٩ وجام ٦٣١، ونقوش عهد الشرح يحضب وأخيه يازل بين كما سنرى .

الشرح يحضب بن فارعم ينهب

النقش الوحيد الذي لاشك في عودته إلى زمن فارعم ينهب نقش يذكر الاب فارعم مـــع ابنيه الشرح يحضب ويازل بين مع عبارة « ملك سبأ » بعد الاسماء الثلاثة كما نرى في النسخة التي نشرها جام (جام ٥٦٦ / ٨—١٠) . وهو نقش قد وصل إلينا في حالة سيئة، ولا يفيدنا في تحديد أي شيء إلا حقيقة أن فارعم على الأقل كان يدعى « ملك سبأ » ، كما تقدم ، وهـــي حقيقة تؤكدها معظم النقوش التي ذكرت ابنيه فيما بعد كملكين لسبأ وذي ريدان .

ولدينا نقش جديد (ك ١٨) يتحدث اصحابه وهم (يدم يدرم وأخيهو سعد عثتر بني سخيمم اقول شعبن سمعي ثلثن ذهجرم) عن : (نبلت واوت مرأيهمو الشرح يحضب وأخيهو يازل بين ملكي سبأ وذريدن بـــني فرعم ينهب ملك سبأ عدي بيتن سلحن وغمدن) [١٦٤] ويحمد ان المقه لانه «شكر وضرعن وهكسن كل ذيتنشأن وقتبلن بعلي مرأيهمو » . ولعله من الجائز ان نرى في هذا النقش دليلاً على أن ذلك الوصول قد كان تتويجاً لكفاح الملكين وقتالهما مـــع منافسين لم يعلن عنهم هنا .

على اننا نفهم من النقش (جام ٦٥٣) المؤرخ **بسنة تبع كرب بن ودد إل بن حزفر الثالثة** ان قبيلة سبأ كهلان في انحاء مارب وصاحبة النقش كانت آنذاك تابعة لشمريهرعش ملك سبأ وذي ريدان بن ياسريهنعم ملك سبأ وذي ريدان . بينما نفهم من النقش (م ٣١٤) **الذي خط في سنة يشع كرب بن ودد إل بن حزفر السادسة** ، أي بعد ثلاث سنوات من النقش السابق ، ان الشرح يحضب

رأخاه يازل بين ملكي سبأ وذي ريدان حارب شخصاً يسميه النقش « شمر ذي ريدان » .

ومن هذا يرجح انه في وقت ما بعد شاعرم اوتر وقبل الشرح يحضب وصل الحميريون إلى مارب (١٦٥) ومكثوا بها سبعة أعوام (جام ٦٤٧) إلى أن جاء الشرح يحضب وأخوه يازل بين واخرجاهم منها عنوة ، واضطر شمر ذي ريدان (شمريهرعش الثاني عند فون فيسمن) إلى طلب المصالحة (م ١٣٤) غير أن المعارك سرعان ما استؤنفت من جديد . ولدينا تلخيص رائع يمثل وجهة نظر الملكين في المعارك المذكورة كما جاء في نصين لهما :

(جام ٥٨٦ و ٥٧٧)

يفتتح الملكان النص الأول (جام ٥٧٦ / ١–٢) بانهما قدما لالمقه ثهوان بعل اوام عدداً من التماثيل حمداً لأنه أعان وأرضى عبده الشرح يحضب بهزيمة كل جيش وقبيلة اثارت عليهم حرباً من قبائل الشمال والجنوب والبحر والسير . ولا ندري هل هذه المقدمة عبارة عن تلخيص لما يتبعها من تفاصيل ام انه كانت هناك بالفعل معارك شاملة .. أغلب الظن انها محاولة للتخليص لأن نفس الشيء يتكرر في آخر النص الثاني (جام ٥٧٧ / ١٦–١٧) حين يتحدث عن العودة من « الغزوات ضد الملوك والجيوش والقبائل التي اثارت عليهم الحرب » .

بعد تلك المقدمة أو الملخص يقول النص ان المقه من عليهم باخذ « حجز » مالك ملك كنده وقبيلة كنده [لأنهم] اخلوا بضمان [ضمنه] مالك [تجاه] المقه والملكين [عن] مرأ القس بن عوف ملك الخصاصه (بأخذ ملككم ملك كدت وشعبن كدت يخفرت هخفر مالك المقه وملكنهن مرأ القس بن عوفم ملك خصاصتن) فاخذوا (احتجزوا) مالك ذاك وكبار كنده بمدينة مارب إلى أن احضروا ذلك الغلام مرأ القيس واعطوا رهائن من قبيلة كنده أولادهم

وأبناء رؤساء (=واخذو هوت ملكم واكبرت كدت بهجرن مرب عدي هجبأو هوت غلمن مرأ القس ووهبو اوثقم بن شمبن كدت برو هو وبني مرأس). وكبار كنده وهبوا خفارة (غرامة) المقه والملكين افراسا وركوبه (حمير؟) وجمال (= واكبرت كدت وهبو خفرت المقه وملكنهن افرسم وركبم وجملم)(١٦٦).

وهذه الفقرة تصور أهمية مناطق الاعراب وأرض كنده بالذات ، إذ يظهر أن الاعراب في أواسط الجزيرة اصبحوا مصدر ازعاج لسبأ وربما لقوافلها الأمر الذي حدا بالملوك إلى ابتكار نظام معين (نرى بعض مظاهره في هـذا النص) يساعد على حفظ الامن في تلك المناطق. وقد حرص الملكان على تسجيل الحادث لاهميته كنظام ساري المفعول لا يمكن التساهل فيه وليكون عظة وعـبرة للآخرين ، ولم يذكر النص مـاذا بدر من مرأ لقيس مما أوجب إحضاره إلى الملكين ولا ماذا فعلا به بعد إحضاره . أما الرهائن التي وضعتها كنده فلكيلا يتكرر منهم في سبيل المستقبل نفس العمل .

ثم نأتي إلى مقدمة ثانية تلخص الأحداث التالية بصورة أكثر تركيزاً، وذلك حين يتحدث النص عـن عون المقه في دحر وهزيمة احزاب حبشت وذسهرتم وشمر ذي ريدان وقبائل حمير الذين نقضوا سلماً التزموا به (س ٣) ولا ندري هل السلم الذي يشير إليه النص هو سلم سابق بعد حرب سابقة (م٣١٤/١٥١٣) أم انه مجرد تبرير للمعارك التي يصفها فيما بعد .

بعد المقدمة يقول النص ان الملكين صعدا (سمكو) من مارب إلى صنعاء لمهاجمة شمر ذي ريدان وقبائل حمير وردمان ومضحيم (س٣) وفي هذه العبارة يوجز لنا الجبهة التي كانت وراء شمر ذي ريدان على النسق التالي :

الجولة الأولى ضد شمر (٣ – ١١)

سار الملك الشرح يحضب ومعه عـدد من اقياله وجيشه وفرسانه إلى أرض

حمير ». ويحرص النص على تسجيل ما جرى للمدن والخصوم من خسائر وتدمير ويصف خط سير المعارك خطوة خطوة فمــــن بيت ذشمتن (ذي الشامة) إلى مدينة دلل فبيت يهر حتى مدينة اظور على حدود قشمم (جنوب شرق نعض غالباً) يتبع ذلك وقفة في الطريق فإلى مدينة باسن (بوسان) (لعلها في الحدأ جنوب صنعاء شرقي معبر) حيث التقوا ببعض جنود من حمير كلفوا بالدفاع عن الحدود فيهزمونهم . فسهل ذدرجمن (ذي درجمان) (لعله في أراضي سنحان قرب وادي ذي درجعين) حيث لم يقفوا على أثر لكتائب شمر (مسجلين ذلك على سبيل السخرية).

ثم يغزون مهانف (لعلها آنس حيث توجد قرية صنلف) ويباغتون مدينة تعرمن عن طريق عقبة ذيلرن وهناك سبوا كل فتيانها وفتياتها ورجالها . ويعود إلى نعض . ثم يهاجم الجزء الشرقي من قشمم « مشرقت قشمم » وينهب مدينة ايضمم ويدمر كل ذلك الجزء ويعود إلى نعض .

ثم يستأنفون غـــــزو مهانف فيخضعون مدينتي عثى وعثي (غالباهما عثى وعثية قريتان قائمتان حـــــالياً على الطريق بين صنعاء وذمار) ويعرجون على مدينة ضفو (ضاف) حيث يتم القضاء على مذرحان وقبيلة مهانف .

ويعودون إلى مدينة يكلأ (لعلها جنوب غرب نعض في النخلة الحمراء)(١٦٧) حيث جرى صدام مع بعض اقيال ذي ريدان وكتائب حمير واستأصلوهم من مرحضن إلى يكلأ ويرجعون إلى نعض .

وأخيراً يعود الملك إلى صنعاء ومعه الاسلاب والغنائم والاسرى . وهناك تصل إليه الرسل من شمر لطلب السلام (س ١١) غير انه (أي شمر) أرسل في نفس الوقت إلى عذبه ملك اكسوم يطلب مناصرته على ملوك سبأ .

الجولة الثانية ضد شمر (١١ - ١٦)

نفهم من السياق أن الشرح اكتشف نوايا شمر فما كان منه إلا أن تحرك بكامل قوته مرة ثانية (درم ثنئم) من مدينة صنعاء للقيام بجولة ثانية من الهجوم على شمر ذي ريدان وقبائل حمير وردمان ومضحيم .

فهاجموا سهل ذي حرور وعرصم وذدرجمن وتقدموا نحو قارب وقريس وردموا كل آبارهم واخضعوا مدينة قريس (ولعلها في موقع الخزابة المعروفة بقريس بجانب قرية رصابة الكبيرة في سهل جهران) .

ومنهـــا وباغت الشرح أرض يهبشر ومقرام وشداد .. واخضع بيت راس وكل المحافد (محفدت = قلاع) التي كانت للاستطلاع . وتحركوا (١٢ حرف ناقص) ونهبوا مدينة راس وبيت ذي سنفرم . وهناك سلم إليهم المتمردون(؟)

ثم توجهوا إلى مدينة ظـــلم والتقوا بقتوين ومشاة وحامية وضعها شمر ذي ريدان لحراستها معارضة لسبأ . وقـــد باغتوا تلك المدينة ومكنهم المقه من تدميرها (١٥ حرفاً ناقصاً) .

ثم تأتي أول مواجهة بين الخصمين مباشرة وذلك فيما بين مدينتي هران (شمال ذمار) وذمار :

تقدم إلشرح (كما يقول النص) ومعه اقياله و١٥٠٠ جندي و٤٠ فارس . والتقى بشمر ذي ريدان ومعه ١٦٠٠ جمل وقبائل حمير وردمان ومضحيم (٣٣ حرفاً ناقصاً) ولا نعرف بسبب تلف في النص (لعله متعمد !) كيف سارت المعركة .. ولكن يظهر انه تم سحق كتائب حمير ولدعم (كما يصفهم النص) حـــتى تلقفتهم ابواب مدينة ذمار (مصرعت ذمار) . وينتهي المسند الأول بكلمة وشمر ذريد .. ليبدأ المسند الثاني (جام ٥٧٧ / ١) بعبارة (وفرسه واحظ فهرج) .

ويذكر النص بعد ذلك ان إلشرح توجه إلى مدينة زخنم حيث عمل تقتيلا في كتائب حمير وردمان ومضحيم ثم ذهب إلى مدينة « ترزن » .. لكي يعودوا بالاسلاب والاسرى والغنائم إلى صنعاء سالمين غانمين . بينما احتمى شمر ذي ريدان وكتائبه بوسط مدينة ذمار .

ظهور الاحباش (٣ – ٦)

ويظهر جرمت ولد النجاشي ومعه احزاب حبشت وذي سهرتم لمحاربة ملك سبأ استجابة لاستنصار شمر ذي ريدان . ولكن المقه (كما يقول النص) يمكنهم من استئصال شافتهم . وبعدها فادركهم الشرح مع ألف جندي من جيشه و ٢٦ فارس للانتقام من الحرب التي حاربوها وناصروا بها شمر ذي ريدان بعد مواثيق وسلم كانت بين ملوك سبأ وحبشت . وحاربوا خمسة مواقع من مساكنهم « اديرم » ادركوا منها مقتلة وسبياً ومالاً وغنماً جيدا .

ويهاجمهم – كما يبدو – مدد جديد من الاحباش وذي سهرتم في سهل ذا احدقم ولكنهم يكسرون . ويذهب الملك الشرح ومن معه إلى مدينة صنعاء سالماً غانماً وحامداً أن مكنه من هزيمة جرمت ولد النجاشي والانتقام منه لما فعله بوفد ارسله ملوك سبأ إليه (!) .

المدعو صحبم بن جيشم (٦ – ٧)

بعد أن فرغ الملكان من رواية معاركهم مع خصمهم الرئيسي شمر ذي ريدان وحلفائه الأحباش وهو الصراع الذي لا نعرف له نتيجة حاسمة هنا ، يتطرق النص إلى قصة تمرد الانسان (ايسن) أي (المدعو) صحبم بن جيشم لخطأ ارتكبه غير واضح وإنما يتعلق باملاك المقة (؟) فقد كلف الملكان مقتويهم نوفم من همدان (الهمداني) وذي غيمان (الغيماني) أن يذهب مع مقتوين آخرين ورجال من حاشد وغيمان لتأديبه . وقد تمكن نوفم مع جنود اصطفاهم من

هزيمة ذلك الانسان صحيم بن جيشم واحضروا رأسه ويديه .. وبعد ذلك نجد إشارة ناقصة إلى خولان سجددم (لعلها خولان الشام = العالية) .

نجران (٨ – ١٥)

وآخر الاحداث التي يقصها علينا النص المذكور عبارة عن حملة تأديب كبيرة ضد قبيلة نجران التي ثارت على ملوك سبأ متآمرة مع الاحباش .. ويتم حصار طويل لمدينة ظربن خلال تلك الحملة . ولكنها تصمد بتحريض من الغير وأملاً في وصول مدد من ملك حضرموت .

ولكن نجران تهزم آخر الامر وتحت أعين (سبقلم) الحبشي (نائب الملك) فلا يستطيع أن يفعل شيئاً ، وتقدم نجران اولادها رهائن للملكين .

وكانت الاضرار التي اصابتها في الحروب كبيرة ، فهي :

٩٢٤ قتيل
٥٦٢ اسير
٦٨ مدينة اخضعت
٦٠ ألف حقل نهبت
٩٧ بئراً ردمت وسويت

العودة إلى مارب (١٥ – ١٩)

ويعود الشرح يخضب واقياله وجيشه وفرسانه وركائبه وسجانيه (أ) من كل هذه المعارك ضد الجيوش والقبائل التي ثارت عليه حامداً المقة على ما امده به من عون ولانه حفظ لهم البيتين سلحين وغمدان والمدن مارب وصنعاء ونشق .

ونرى أن الاشارة إلى المدن الثلاث ليست لغواً ولا حشواً ، فمارب مقعد

الملك الرئيسي ، وصنعاء مدينته الثانية في المرتفعـات قريباً من حدود خصومه الحميريين والاحباش، ونشق هي المدينة ذات الحقول التي اهتم بها السبئيون ايما اهتمام طيلة العهود منذ عصر المكربين حتى اننا لا ندري في أي وقت كانت هذه المدينة تابعة لمعين .

كما أن هذا التحديد يترك خارج الصورة مدناً أخرى لعل أهمها ظفار عاصمة الحميريين التي لم يبلغنا أن الشرح حاول الاقتراب منها .

وللملكين نقش معروف(جام ٥٧٤) يتحدث عن حملة انتقامية شنها الشرح يحضب على الأحباش وذي سهرت في قرام بوادي سهام(س ٣ ــ ٤)ومطاردته لهم في اتجاه وادي سردد . ومهاجمته لديار (ادور) الاكسوميين (اكسمن) وجدن وعكم « علك » وديار السهرتيين في تلك البقاع (س ٤ ــ ٨) . ولما اننا نعلم أن واديي سهام وسردد يصبان في البحر الاحمر شمال الحديده فان لنا أن نتصور مدى تغلغل الأحباش في اليمن على ذلك العهد . وفي (جام ٥٧٥) نرى قوات الملكين تطارد جماعات من الأحباش وعلك وسهرت حتى البحر(س٣ـ٤) كما نرى أن تلك الحملات قد امتدت إلى نجران ايضاً (جام ٥٧٩) . ويظهر من هذه النقوش ونقوش أخرى (مثل ك ١٩) ان الأحباش كانوا يشكلون جبهة مع علك ، التي تقع ديارهــــا في البر المواجه لجزيرة دهلك في البحر الاحمر ، (١٦٨) ومع سهرت .

اما (جام ٥٨٥) فيروي – فيما يبدو – قصة اسر شخص من غيمان يدعى هوف عثت اصحح كان الملكان قـــد اوفداه (بنلهم) إلى الأحباش في سوم (حاضرة المعافر) وإلى السهرة (سهرتن) . ولكن الأحباش فيما يظهر اسروه في تلك المدينة (هصنعو) طيلة موسم الامطـار ولعامين (برقم وثني خرفن) وتآمروا على سلامته . ويذكرنا هذا بما جـاء في النقش (جام ٥٧٧ / ٦) عن غدر جرمت ولد النجاشي بوفد الملكين اليه خاصة وان (جام ٥٨٥ /١٤ ـ ١٦) نفسه يتحدث عن جرمت ، بالاسم ، متشفيا .

ونرى في جميع هـذه النقوش أن شمر ذي ريدان والأحباش ومن والاهم قد تعرضوا باستمرار لهزائم على يد الشرح يحضب . ونفهم ايضاً أن تلك المعـــارك تخللتها فترات مسالمة وتبادل للوفود .

وهناك نقوش أخرى تحدثنا عـــن صراع آخر بين الملكين وزعيم ريداني آخر تطلق عليه نقوشهم كرب إل ذي ريدان لعله قام في حمير بعد شمر .

وليس بين تلك النقوش نقش ملـكي . والنصوص المؤكدة التي تنـاولت ذلك الصدام لا تتجاوز – فيما نظن – ثلاثة (جام ٥٧٨ و ٥٨٦ و ٥٨٩) والاخير منها (جام ٥٨٩) ، وهو ناقص ، يبدو انه سجل بمناسبة انتصار الملكين على كرب إل وجموع حمير الذين يصفهم النص بولدعم . اما (جام ٥٨٦) ، فناقص ايضاً ، ويدور حول نفس المعنى مضيفاً اخباراً قليلة من اشتراك صاحب النقش في حملات على قبيلة قشم .

وهكذا فان(جام ٥٧٨) هو المصدر الرئيسي لما بقي لنا من اخبار الصدام بين الملكين وكرب إل . وقد كتب النقش مقتويان الملكين وسجلا فيه قصة ثلاث معارك كانت كلها لصالح الملكين وأدت في النهاية إلى استسلام كرب إل.

ففي الاولى تم اجلاء كرب إل وجموع وقبائـــل وجيش حمير ولدعم من عرأساي (شرقي ذمـــار) وقرننهن في حقل حرمتم (ربما قرب جبل اتوت جنوب شرقي ريده) وطوردوا حتى بلاد لعروش (عروشتن) في انحـاء رداع غالباً (س ٥ – ٩) .

وفي الثانية اندحر كرب إل واقياله وقبائله وفرسانه ولدعم بسر ذي اظور وانسحب إلى بكلإ (التي سبق أن ذكرت في المعارك مـــع شمر) واضطر إلى أن يتذلل للملكين (٢١ – ٢٤) . ولكن الملكين يجهزان حملة أخيرة على أرض

حمير ويبلغان مدينة هكر التي كان كرب إل قد تحصن بها ويحاصرانه حتى يضطر إلى الاستسلام هو واقياله وقبائله (٢٤ - ٣٠) .

ويظهر من الهزائم المتعاقبة هنا واضطراره إلى الاحتماء بهكر ، التي كان بها قصر معروف ، ان كرب إل كان في موقف سيء للغاية [١٦٩] .

بهذا ينقطع آخر خيط في قصة الصراع الذي خاضه الشرح يحضب مع الحميريين .

وفي اواخر عهد الشرح ويازل - فيما يظهر - يختفي ذكر يازل كما نرى من (جام ٥٨٧) الذي يذكر صاحبه انه حارب إلى جانب سيده الشرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان بن فارعم ينهب ملك سبأ و (جسام ٥٧٢) الذي يقدم صاحبه نذراً لألمقة عند ابلال سيده الشرح يحضب ، ملك سبأ وذي ريدان بن فارعم ينهب ملك سبأ ، من مرض ألم بـه . ويؤكد ذلك اكثر أن النقش (جام ٥٦٧ / ٧) المؤرخ بـ(ذخرف سمهكرب بن ابكرب بن حذمت) يأتي قبل (جام ٨٧٧) بعامين، والاول من عهد الشرح يحضب لوحده والثاني من عهد ابنه .

نشأ كرب يأمن يهرحب

ويعتبر عهد الملك نشأ كرب يأمن يهرحب ملك سبأ وذي ريدان بن الشرح يحضب ويازل بين ملكي سبأ وذي ريدان (كما جاء في نقوش عهده) من اغنى العهود بالنقوش المعروفة حتى الآن . ففي مجموعة جام وحدها نجد الارقام (جام ٦٠٨ - ٦٢٥) وفي مجموعة الكهالي الجديدة فإن نقوش عهده بلغت ثمانية (ك ٢٠ - ٢٧) ، هذا غير نقوش أخرى متفرقة . ولكن تلك النقوش مع كثرتها لا تجود إلا بالقليل فيما يتعلق بالاحداث العامة والهامة .

ويلفت النظر انشغال الملك نفسه في عدد من النقوش (جام ٦٠٨ - ٦١١

و ٨٧٧) بتقديم النذور إلى المقة مستخدمـا فيها مختلف الاصطلاحات الدينية كاملاً وصري وتبشير وهوكلت .

كما يحمل عدد من نقوش ذلك العهد تواريخ مختلفة قديمة (جام ٦١٠ و ٦١٤ و ٦١٣ و ٦١٥ و ٦١٨ و ٨٧٧ وك ١٢ و ٢٥ و ٢٦) .

ولدينا من احـــد النقوش (جام ٦١٢) إشارة إلى حرب شنها الملك على حضرموت وهو نقش قصير تركه لنـا احمد يسلم بن سشاي مقتوي الملك بمناسبة عودته من تلك الحرب التي رافق فيها الاقيال والجيش بارض حضرموت (س ٨ ـ ١٠) وقتل خلالها رجلين كما يقول (س ١٢) .

وتتكرر نفس الاشارة وبنفس الايجـــاز في نقش جديد (ك ٢١) حيث يقول احد اصحاب ذلك النقش واسمه كرب عثت ارأد انه هرج رجلاً وأخذ فرسه خلال اشتراكه في الحرب التي شنها الملك على « مصر » حضرموت .

ولكن هـــذا النقش (ك ٢١) له أهمية أخرى لأن اصحابه هم برلم ارسل وكرب عثت ازأد وابنهم سمه كرب نيوذي سحر مقتويو نشأ كرب، ذلك لان الشخصين الاولين هما نفس الشخصين الذين ذكروا من قبل في نقش (٥٥٧) من عهد الشرح يحضب ويازل بين ، وكان معها والدهمـــا ابأمر اصدق . ولكن الاسماء في ذلك النقش جاءت متبوعة بعبارة «ذي صريهو» (س ١ ـ ٣) كما يلي:

ابأمر اصدق « ذي صريهم معدكرب »

وبنيهم :

برلم من غير لقب (ذي صريهم معدكرب ايضاً)

وكرب عثت من غير لقب « ذي صريهو نشأ كرب »

ينوذي سحر

ثم جاءت الاسماء الثلاثة مجردة في نفس النقش (س ١٤ ـ ١٥) هكذا :

« ابأمر وبنيهو برلم وكربعثت بـــني سحر » حيث أن « ذي صريهو » إنما هي تعبير عن عمل ديني « = الذي صريهو » والاسم الذي يليها إنمــا هو — فيما نظن — اسم احد كهنة المعبد الذي « تصرى » الواحــد منهم بواسطته (قارن جام ٧٠٣) . ونرى في (ك ٢١) انه لم يعد هنـــاك ذكر للأب أبأمر ، وأن جيلا جديداً قد ظهر في هذه الاسرة من بني ذي سحر ممثلا في سمة كرب الابن ، وان الاسرة هنا تعمل في خدمة الملك كمقتوين وقد غدا لكل من برلم وكربعثت لقب أو نعت أو كنيه . ولعل هـــذا حدث ايضاً في وقت متأخر مــن عهد نشأ كرب (قارن ٥٦٧ و ٨٧٧) .

ونلاحظ أن النقش (ك ٢١) قــد حفر ليسجل مفاخر كربعثت ، وهو الاخ الاصغر ، إذ انه يقص علينا ، قبل حديث المشاركة في حرب حضرموت ، قصة قتله اسدين « لبأنهن » كانا قد هاجمــا مدينة نشق فهجم هو عليهما يرافقه ثمانية عشر من الجنود .

ويذكرنا هذا الحديث بالجدل الذي اثاره جــام حول معنى (لبأ) في نقش آخر (جيوكنز ٦) واصحابه كما يقول جــام (١٧٠) هم نفس اصحاب النقش (جام ٦١٦) ، وهو احد نقشين آخرين نجد فيهما ذكرا لبعض الأحداث العامة ، واطولها . واصحاب هذا النقش (جــــام ٦١٦) هم وهب اوام يأذف واخوه يدرم وابناؤه جمعثت ازأد وابكرب اسعد وسخيم يزأن بنو سخيم ابعل البيت (القصر) ريمان واقيال الشعب يرسم ذي سممي الثلث من هجر ومقتويو نشأ كرب . والحــــادث الرئيسي الذي يصفه النقش المذكور هو الغارة على عشائر دواءه (دوأت) .

ويبدو ان المعنى الاجمالي للنقش هو :

ان الملك وجه القيلين بان يذهبا إلى قبائل وعشائر خولان جدد م [العالية] في مهمة يسميها النقش (وفين) ترجمها جسام بجباية ويحتمل أن تعني تجمعاً أو

اسهاماً في عمل يتعلق بالحرب فهي اصطلاح شبيه بالجزية (س ٩ - ١٢) وقد وفق القيلان في تلك المهمة واجتمعت كل قبائل وعشائر خولان (١٢ - ١٤) وأرسل كل احرارهم ضمانات و « خبطهمو » [١٧١] وكل ما أمر به الملك إلى المدينة صنعاء (١٤ - ١٧) وفي اثناء ذلك الـ « وفي » بعثوا « بهأتهمو » إلى سهرتن فوافتهم « بهأتهمو » إلى مدينة رحبم بارض خولان بعد أن « مطبو » [١٧٢] لهم قبائل دوأت (١٧ - ١٩) . وفي اليوم الذي وافتهم فيه « بهأتهمو » حركوا جيشهم وقضوا حاجتهم [١٧٣] واكتمل جيشهم ٢٦ فارساً و ٣٠٠ جندي من قبيلتهم يرسم ومن « نظر » الملك وبعض الخولانيين واغاروا على عشائر دوأت (١٩ - ٢٣) وهي :

١ - ابأس
٢ - وايدعن
٣ - وحكم
٤ - وحدلنت
٥ - وغمدم (غامد)
٦ - وكاهل
٧ - واهلني
٨ - وجدلات
٩ - وسبسم « سنبس ؟ »
١٠ - وحرمم
١١ - وسجرلمد
١٢ - واومم (اوام) (٢٤-٢٦) .

« ورضحتن بن حرث » (؟) وحاربوهم باسفل اودية البأر (ذبأرن) وخلاب (خلب) وتدحان (تدحن أو تندحن) ولعلها تندحه على الطريق بين بيشه وخميس مشيط .

والاشارة إلى سهرتن في النقش غامضة ويبدو منها (ما لم يخننا الفهم) ان العلاقات بين سبأ وأهل سهرتن لم تعد سيئة . وإذا صح ذلك ربمـــا دل على أن حملات الشرح يحضب قد أتت ثمارها في عهد ابنه نشأ كرب . فهـا نحـن نرى جيشاً عشائرياً سبئياً ينطلق لتأديب قبائل في مناطق شمالية بعيدة .

وإذا صح ذلك أيضاً فلا بد انه قد سبق زمن النقش (ك ٢٠) لان صاحبه المقتوي الذي لم يبق من اسمه إلا (همن) يذكر لنا انه غزا الجهات الغربية (مغربن) بناء على توجيهات الملك وعاد منها بالغنائم من الاحباش الذين اعتدوا مع بعض من « رسم » وبعض من « اسهرن » .

وينبغي ان نذكر هنا أيضاً نقشاً آخر (جام ٦١٩) لأننا نفهم منه انه كان هناك نائب للملك (عقبتملكن) يقيم في مدينة نشق بالجوف وهو صاحب النقش .

هذا كل ما جادت به علينا نقوش عهد نشأ كرب يأمن يهرحب بن الشرح يحضب ويازل بين الذي حرصت كل نقوش عهده على ان تنسبه إلى الملكين معاً فاثارت بذلك تساؤل الدارسين (١٧٤) . ولعل ذلك الملك خـــاف ان اكتفى بذكر ابيه « الشرح يحضب » في النقوش ان ينسبه الناس بعد حين إلى الشرح يحضب (الأول) ولم يجد سبيلاً إلى تمييز ابيه عن الملك القديم إلا بهذه الطريقة ذلك لان العادة لم تجر على ذكر الاجداد مع الآباء في النقوش . وقد اختار أن يذكر اباه وعمه وهما اللذان ارتبط اسماهما في كثير من النقوش كملكين معاً ... هذا مجرد استنتاج قد يصح وقد لا يصح .

ولعل نشأ كرب هو آخر من بلغنا أخباره من ملوك الجانب السبئي وقـــد قدر فون فسمن زمنه بحوالي عام (٢٤٠ م) .

* * *

أما في الجانب الحميري فان لدينا ملكين يبدو انهما حكما في أواخر هذه الفترة وهما :

أ) ثاران يعب يهنعم ملك سبأ وذي ريدان وحليف العزيلط ملك حضرموت بن عم ذخر (ف ٤٩٠٩) والمقصود في رأي فون فيسمن بالبادوس في البربيلوس (١٧٥) .

ب) عمدان بين يهقبض الذي عرفت له نقود حملت صورته واسم ريدان القصر الملكي في ظفار (١٧٦) .

* * *

بهذا نكون قد انتهينا من فترة شديدة التعقيد كما نراها من فرجات قليلة في جدار الجهل المطبق الذي يفرضه نقص الحفريات . وقد تم خلال هذه الفترة – ولا شك – تشكيل الكثير من ملامح الحياة العربية ولغتها أيضاً. إذ نلمس من المساند قوة الآصرة بينها وبين لغتنا الحديثة التي رسخت واستقرت بمجيء الاسلام . والمساند ، مهما كانت عيوب الكتابة على الصخر من إيجاز يشبه لغة البرق أو التزام بصيغة الغائب ، هي أقدم النصوص لهذه اللغة ، وهي كنز زاخر لمفرداتها . ومن عجب ان مؤسساتنا الاكاديمية المعنية باللغة لم تعر هذا المصدر ادنى اهتمام .

ولقد شهدت هذه الفترة استخدام الخيل في الحرب ولو ان اعدادها لم تكن كبيرة . ونحس من النقوش مدى الاهتمام بتربيتها ورعايتها والاعتزاز بها . ومنها عرفنا نوع الاسماء التي كانوا يطلقونها عليها تدليلاً (جام ٧٤٥) .

وكان التجهيز للقتال يتراوح بين الغزوة القبلية بقيادة قيل وقبائله يساندهم الفرسان احياناً والحرب التي يشترك فيها جيش الملك وفرسانه . ولا يزال

الكثير من المفردات المتعلقة بانواع الحرب والسلاح تحتاج إلى المزيد من التحقيق.

ولقد ظل السبئيون على اهتمامهم بالزراعة وحرصهم على مزارعهم ومساقيهم. وإذا كانت المساند قد التزمت الصمت فيما يتعلق بالنشاط التجاري لهم فان اهتمامهم بالجوف ونجران بل وبمناطق البدو في اواسط الجزيرة ربما كان له علاقة بطرق القوافل التجارية .

ومن الناحية الاجتماعية ظلت العلاقات مزيجاً من النظام الاقطاعي والعشائري فإلى جانب الملك كان هناك الاقيال وهم طبقة اجتماعية اقطاعية وليسوا موظفين في حكومة الملك . أما المناصب البارزة المعروفة فأشهرها منصب المقتوي الذي يعمل في خدمة الملك . وهناك من بين الاقيال من كان مقتوياً في نفس الوقت . كما كان لبعض الاقيال مقتوون يعملون في خدمتهم .

ولقد كان هناك أبناء القبائل الاحرار كما كان هناك العبيد . ولا سبيل في ظل معارفنا الراهنة إلى رسم صورة للحياة اليومية في اليمن على ذلك العهد .

٧ـ سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت

قبل نهاية القرن الثالث الميلادي[١٧٧] يطرأ على اللقب الملكي في سبأ وذي ريدان تغيير جديد إذ يصبح : ملك سبأ وذي ريـــدان وحضرموت ويمنت . و « حضرموت » هي المملكة التي مرت علاقاتها مع سبأ بتقلبات كثيرة . أما « يمنت » فهي كلمة صادفتنا في النقوش من قبل مقرونة بكلمة « شامت » وكانت تعني « الجنوب » إطلاقاً بينما كانت الكلمـــة الأخرى تعني « الشمال » . فيمنت بهذا هي المناطق الجنوبية من اليمن بما فيها الأجزاء الساحلية المطلة على البحار الواسعة حيث تقوم الموانىء والثغور ومن بينها ميناء قنا[١٧٨] .

ولدينا من محرم بلقيس بمارب نقشان من عهـــد شمر يهرعش وصف فيهما بـ « ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت بن ياسر يهنعم ملك سبـأ وذي ريدان » « جام ٦٥٦ و ٦٦١ » مما يوحي بأن ذلـــك الملك هو الذي ابتدع الاضافة الجديدة في اللقب الملكي .

كما أن هناك نقوشا اخرى من نفس المكان يوصف فيها شمر يهرعش بـ « ملك سبأ وذي ريدان بن ياسر يهنعم ملك سبأ وذي ريدان » (جام ٦٥١ و ٦٥٢ و ٦٥٥) .

ومجموعة ثالثة من نفس الموضع أيضاً تجمع بين الأب والابن في عهد واحد :

« ياسر يهنعم وابنه شمر يهرعش ملكي سبأ وذي ريـــدان » (جام ٦٤٦ و ٦٤٧ و ٦٤٨) .

وهكذا نجد انه بعد ان حكم شمر يهرعش مع أبيه حكمـــاً مشتركاً انفرد بالحكم فترة حدث خلالها التغيير في اللقب الملكي .

والاسمان ياسر يهنعم وشمر يهرعش من الاسماء التي عرفهـا الاخباريون العرب وأحاطوها بهالة كبيرة من البطولة والفخامه . فالأب هو « ناشر النعم » الذي نسبوا الى عهده الفتوحات الكثيرة . والابن هو الذي سموه «شمر يرعش» وجعلوه فاتحاً يضارع ذا القرنين [١٧٩] . ومهما كانت المبالغة في تلك الروايات فانه مما يوشك فيه ان ذلك الملك قد ترك في أذهان قومه ، جيلا بعد جيل حتى مجيء الإسلام ، أثراً باقياً وذكرى عميقة. وسنتناول فيما يلي دوري حكمه بقدر ما تتيحه لنا النقوش المعروفة :

الدور الأول :

النقش (م ٤٠٧) الذي يعود الى الدور الأول من عهد شمر يهرعش (قبل الاضافة الجديدة الى اللقب الملكي) يصف لنا اشتراك المقتوي ابو كرب مـــع سيده الملك في غزوة ضد قبائل سهرت ودوأت وصحر وحرت (١٨ — ١٩) ومقاتلتهم في وادي ضمد (٢٠ و ٢١) ثم مطاردتهم إلى عكوتين في الانحـــاء الشمالية (بكنف شامت) حتى احتواهم .(احتملهم) البحر فقتلوهم بوسطه (٢٢ / ٢٤) .

من هذا النص نفهم ان الحملة توغلت في تهامه نحو الشمال (بكنف شامت) ما بين واديي بيش وسهام [١٨٠] وهي تطارد السهرتيين وآخرين معهم . وكنا قد عرفنا سهرت من قبل قبيلة وثيقة الاتصال بالاحباش الذين لم يعد هناك ذكر لهم في هذا العهد

وشبيه بهذا الكلام ما جاء في (جام ٦٤٩) ، وهو نص يفصل ذكر اسم والد شمر يهرعش ويصف معارك مشابهة دارت في نفس المناطق وفي مناطق قريبة منها ضد سهرت ليه[١٨١] وخيوان وضدحان وتنعم ونبعت وضد حرت في وادي ذي ضمد والقريتين (قريتنهن) وفي وادي حريب وضد عكم وذي سهرتم بعقبة ذي رجزجن .

وصاحب ذلك النقش مقتوي آخر لشمر يهرعش اسمه « وفيم أحبرن حبب وهينن وثأرن ذعمد وسارين وخولم اقول شعبن صروح وخولن خصام وهينن » . وقد حرص في نقشه ان يذكر عدد الأشخاص الذين نازلهم أمام الجيش فقتلهم أو أسرهم في كل المواقع التي حضرها .

أما المقتوي بهل اسعد الجرتي البدشي « بن جرت وبدش » اقبال ذمري الذين هم اربعاء (هوتن اربعو) ذسمهرم (جام ٦٥٠) فقد ذكر انه اشترك في حرب على سهرتن .

بينما يحكي لنا المقتوي عبدعم (جام ٦٥١) انه اصطحب اتباعاً وجنوداً الى مارب بأمر شمر يهرعش للمراقبة والعمل (الخدمة) أثناء موسم الأمطار (والسيول) وكذلك بناء سور المدينة وأبراجها والحيلولة دون طغيان مياه الأمطار عليها[١٨٢] .

كما سجل المقتويان شرحبيل وأخوه مرثدم ذي حظرم عمرت مسنداً يوم ان وجهه سيده شمر (هكذا في النص) ملك سبأ وذي ريدان « لوضع وشرح القصر سلحن » (جام ٦٥٢/٢٣ — ٢٥) أي للاقامة والحراسة بالقصر سلحين (اللسان : الوضيعة قوم من الجند يوضعون في كوره لا يغزون منها) .

الدور الثاني :

لم يعثر بعد على نقش ملكي يتحدث عن الخطوات التي أدت الى اخضاع حضرموت ويمنت .

كل ما في الأمر ان هناك مجموعتين من النقوش – كما تقدم – احداهما تقتصر على (سبأ وذي ريدان) والأخرى تضيف (حضرموت ويمنت) في اللقب الملكي . ومن المجموعة الاخيرة النص (جام ٦٥٦) وأصحابه عدد من أبناء سبأ كهلان يتحدثون فيه عن غزوهم لحضرموت على أيام ملكيها شرح إل وربشمس. وقد تكون تلك إحدى المعارك التي ادت الى إخضاع حضرموت .

وهناك نقش (م ٩٤٨) يتحدث عن دخول شمر يهرعش الى حجر . وهو الوادي المعروف في جنوب حضرموت . وقد تحدث النقش عن جمع اللبان في تلك المنطقة [١٨٣] .

وأغلب الظن ان شمر يهرعش استطاع أن يسلب حضرموت أجزاءها الجنوبية الساحلية ومنافذها على البحر . فهذا ما يوحي به لفظ (يمنت) في اللقب ، كما استطاع ان يحكم قبضته على حاضرة حضرموت الرئيسية (شبوه) وهو ما نفهمه من نص تركه لنا زعيمان لقبيلة سبأ هما يعمر اشوع وآخر سقط اسمه من النقش عند تقديمها نذراً الى المقه لأنه حقق ليعمر اشوع رجاء تقدم به اليه وهو في شبوه « بامّلا / ستملا بعمهو / بهجرن / شبوت » وذلك عندما وجهه سيده شمر يهرعش للمرابطه بشبوه مع قبيلته سبأ « لقرن / ونظر / بهجرن / شبوت / بعم / شعبهمو / سبأ » . (جام ٦٦٣ / ٨ – ١٤) .

ويرد اسم يعمر اشوع في نقش آخر (جام ٦٦٠) لوهب أوام الذي يبدو انه كان كبيراً للاعراب ومقتوياً لشمر يهرعش بمناسبة تكليفه ،أي وهب أوام، بمطاردة الحارث بن كعب وسود أو سعد بن عمر واللذين تسللا من « ذخزفن »

(لعله اسم موضع) بمدينة مارب هما وجنودهم من نخع وجرم ومعهم يعمر زعيم قبيلة سبأ وقد أدركهم وهب أوام وأعادهم مكبلين الى سيدهم شمر يهرعش .

ومن متحف صنعاء لدينا نص [١٨٤] سجله أب شمر اولط وأخاه رفا اشوس بنو حضنم ودنم ويشع كرب وخولين وذاولم ووعلين افيشن اقول شعبن ايفع مقتويو شمر يهرعش جاء فيه :

أ) ان شمر اولط ذهب أو اوفد (بلت) الى مدينة شبوه ليتقرب الى حاضر (الحضر) سين (١٠ — ١٢) .

ب) ان رفا اشوس نجا من اضطرابات « خمطنم » بمدينة مارب وانه ظل نائباً (للملك) « عقبم بمدينة مارب وبالقصر سلحين » (١٢ - ١٧) .

جـ) ان تلك الاضطرابات حدثت أثناء غياب شمر في شبوه لانه عندما عاد مع مقتوييه من تلك المهمة بالسلامة وجد أخاه رفا اشوس قد خرج من تلك الاضطرابات هو ومقتويوه سالمين أيضاً (١٨ — ٢٣) .

ولنفس القيلين المقتويين نقش آخر (جام ٦٥٨) يذكران فيه انهما رافقا سيدهما شمر يهرعش عندما غزا أرض خولان الدان (الددن) . وان الملك كلفه (؟) بترتيب حراسه بمدينة صعده : « رتع شرحتم بهجرن صعدتم » (١١ — ١٢) ولمراقبة وكبح عشيرة خولان الددان بعد محاربة الملك : « وبجأ من عشر خولان الددن بعد حربت ملكن » (١٢ — ١٤) . وانهم بعد ذلك اغاروا على عشيرة سنحان بوادي دفأ (١٤ — ١٥) كما انهم حملوا برفقة اقيال وبتكليف من الملك على سهرتن وحرتن وحاربوا عشائر نشد إل بوادي عتود في شامت (١٩ — ٢٢) .

ويبدو مما تقدم ان قوات شمر يهرعش فيتوغلت المناطق الشمالية وقاتلت

عشائر من عرب الشمال [١٨٥] في عسير فيما وراء وادي عتود . ولا يستبعد ان تكون لتلك العشائر صلة بامرىء القيس بن عمرو (مات ٣٢٨ م) الذي كتب على شاهد قبره (نقش النماره : ف ٤٨٣) انه ملك العرب كلهم وانه أخضع فيمن أخضع الأسدين ونزار ومعد وانه شتت مذ حج(هرب)وبلغ نجران مدينة شمر.

كما لا يستبعد ، وانما يرجح جداً ؛ ان مذحج كانت بين العشائر الاعرابية المقاتلة في جيش شمر يهرعش البدوي الى جانب كنده (جام ٦٦٠/٢)

وكل تلك الاشارات توحي بانه ربما كان على شمر يهرعش في اخريات أيامه ان يواجه جاراً قوياً في الشمال له صلات متينة بالرومان . وهذا في ذاتـه يفترض صلات حسنة بين شمر يهرعش والفرس . ولكن نقشاً سبئياً عرف بشرف الدين (٤٢) وجاء تحت رقم (٣١) في كتابه تاريخ اليمن الثقافي - الجزء الثالث - أوحى لبعض الدارسين بعكس ذلك اذ فهموا منـه : ان قوات من الاعراب الهجانة والخيالة قد قامت بقيادة صاحب النقش بالاغارة على ملـك الأسد في أرض تنوخ التابعة لفـارس . وان مملكتي قطو (٠٠) وكوك (أو كوكب) قد تعرضتا للضغط [١٨٦] .

غير ان النص المنشور تحت رقم (٣١) لا يعطي ذلك الانطباع ، فالجزء المتعلق بهذه المسألة لا يعدو العبـارات التالية : « وحمدم / بذت / اتو / بوفيم / عدي / قط / وصف / وكوك / مملكت / فرس / وأرض تنخ / وخمر همو / المقه / اتو / بوفيم / وحفش / بكل / ذبلتهو / مرأ همو » . وهي قـد تعني الوصول الى تلك البقاع في مهمة سلمية ثم العودة منها مكللين بالنجاح وتحقيق كل ما اقدم من اجـله سيدهم . وهكذا فاننا نقف في هذه القضيـة حيارى بين احتمالين متناقضين .

وفي عهد ياسر يهنعم (ربما ابن شمر يهرعش) مـع ابنه ذرأ أمر أيمن نرى

سعد تالب يتلف الجدني كبير اعراب ملك سبأ وكنده ومذحج وحريم (حرمم) وباهـــل وزيد إل وكل اعراب سبأ وحمير وحضرموت ويمنت يذكر في نقش (جام ٦٦٥) انه قاد جماعة من اعراب ملك سبأ وكنده أو اصحاب (ابعل) نشق ونشن قاصداً مهاجمة العبر (عبرن) وأن عدد جيشهم (جشهمو) قـد بلغ سبعمائة وخمسين جندياً من الهجـانة (ركبم) وسبعين فارساً (١٥ ــ ١٦) وانهم صمدوا من المجرة(ورقيو بن مفجرتن) وانتقوا ثلاثين جندياً من الهجانة وأربعة من الفرسان كطليعة . فالتقت تلك الطليعة بسبعين جندياً اختارهم ملك حضرموت ليأخـــذوا له اسرى (لاخذ لهم اخذم) من محاربي المدينتين ومــــارب (١٦ ــ ٢١) وتصدت لهم الطليعة وبعض من الجيش بموقع يدعى اراك (ارك) فقتلوهم واسروهم كلهم وابقوا على حيـاة بعض اولئك الاحضور أي الحضـــــارم (ومتع بن همت احضرن) اشخاصاً من الراكبين وثلاثين من الراجلين (٢١ ــ ٢٤) . ومنها والتحقوا بجيشهم ثانية وأغاروا على دهر ورخيه وعملوا فيهم قتلا واسراً وسبياً واستولوا على ابل وثيران وبقر وحنـان الامر الذي أفرح جيشهم (٢٤ ــ ٢٧) ومنهـا وقفلوا (راجمين) وحاربوا باسفل عيون خرصم (٢٧ ــ ٢٨) . وبعـد أن ارتاحوا ليلتين قدمت عليهم كتائب حضرموت [المكونة من] ثلاثة آلاف وخمسمائة جندي من الهجـــانة ومائة وخمسة وعشرين فارساً وعلى رأسهم الزعماء ربيعة بن وائل وذهل والين (؟) وافصى بن جمن قائد الهجانة واقيال وكبار حضرموت . وقـد هزموا الحضارم وقتلوا منهم ثمانمائة وخمسين بحد السلاح (يضمم) واسروا من بينهم افصى القائد وجشم قائد الفرسان واربعمائة وسبعين جندياً ممن كانوا في خدمة اقيال ورؤساء حضرموت . وانتزعوا من فرسانهم خمسة وأربعين فرساً واستحوذوا على ثلاثين فرساً [أخرى] كما انتزعوا الف ومائتي ركوبة برحلها (٢٨ ــ ٢٩) .

وفي الاسطر الأخيرة (٤٠ ــ ٤٩) قصة معركة ، في مكان آخر ضد جيش بساعم ، اشترك فيها دو جدن وعدد من الفرسان .

ولا نعرف اين تقع (المفجرة) التي نفذوا منها إل العبر . والعبر منطقة في

الصحراء شمال غرب وادي حضرت بها آبار وبالقرب منها موضع به مخربشات معروفة سبق أن مر بنا ذكرها .

وفي النقش اشارة إلى ملك حضرموت (س ١٩) دون ذكر لاسمه أو مقر حكمه وهي إشارة هامة رغم ايجازهـــا خاصة إذا ربطنا بينها وبين الاعداد الكبيرة من المقاتلين الحضارم .

ولقد دارت تلك المعـــارك في أطراف وادي حضرموت الغربية ولم تتجاوز واديي دهر ورخيه (س ٢٥) في ذلك المكان .

وقد ناقش جـــام (١٨٧) لقب كبير الاعراب سعد تالب يتلف فقسم القبائل التي ذكرت على انها تحت اشرافه (س ١ ـ ٤) إلى قسمين، الأول ويضم الأقل أهمية ، في نظر جـــام ، وهي : كنده ومذحج وحرمم وباهل وزيد إل ، وممتلكات التاج (أي اعراب ملك سبأ) . والثـــاني ويضم الاكثر اهمية وهي : سبأ وحمير وحضرموت ويمنت . ولكننا إذا تأملنا ما جاء في النقش سنجد أن ما فعله سعد تالب إنما كان محاولة لحصر المناطق التي بها اعراب فبدأ بالتفصيل ، وهو ما يسمه جام بالجزء الأول من اللقب، فذكر القبائل البارزة وليست الأقل اهمية ، ثم زيادة في الحيطة ورغبة في تأكيد شمولية اشرافه على الاعراب قال : وكل اعراب سبأ وحمير وحضرموت ويمنت، أي اعراب كل المناطق التي يتكون منها اللقب الملكي .

على ان نقشاً جديداً لسعد تالب يتلف الجـــدني كبير الاعراب (ك ٣٢) يجعل من المرجح أن ذمر علي يهبر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت هو الذي حكم بعد ياسر يهنعم وذرا أيمن (جـــام ٦٦٥) والنقش الجديد يصف حملة اوسع على حضرموت يقودها نفس القائد سعد تالب كبير الاعراب. وفيه يذكر سعد تالب (فقرة ٢) انه عاد من حضرموت إلى حسامية نشق حيث وصلته تعليمات من سيده ذمر علي يهبر بأن يتولى قيادة قبيلة سبأ وابعل مارب واعراب

ملك سبأ وكنده ونجران وسفلن (فقرة ٣) وانهم انطلقوا نحو الحرم ذيغرو (قارن جام ٦٤٣ / ٣٢ ـ ٣٥) واستكملوا عـدة جيوشهم خـلال سبعة ايام « قيوو كل اجيشهمو سبعة يمم » ولم يذهب (١٨٨) إلا ثلاثمائـة جندي من سبأ وثلاثمـائة جندي من الاعراب وعشرة جنود من تابعي الفرسان (اتلوت ركبت افرسم ؟) ممن كانوا مرابطين بمدينة نشق (فقرة ٤) والتحق بهم خمسون فارساً أو فرساً . فسبأو وأغـاروا على مدينـة صوأرن [في وادي الكسر بحضرموت] وتمكنوا منها (فقرة ٥) واستسلم لهم أهلها [بل] واشتركوا معهم في الهجوم على أهل شبام وعلى الصدف [قبيلة قديمة معروفة كانت تعيش بحضرموت (١٨٩)] وجرى القتال خارج مدينة شبام . ثم اضطر [الحضارم] إلى الاحتماء بالمدينة التي حوصرت بعد ذلك ثلاثة عشر يوماً استسلمت بعدهـا (فقرة ٦) . ومن هناك مضى [السبئيون] نحو رهغة [لا يعرف مكانها الان] وسيئون ومريمة [معروفتان إلى اليوم] وحـدب [لا يعرف مكانها ايضاً] وحاصروا تلك المدن التي يبدو أن اهاليها استشعروا الخطر من البداية فاحتموا باسوارها ولكنهم اجبروا على الاستسلام [في النهاية] ثم اغار السبئيون على عرأهلن[لا يعرف مكانه] وتريم التي فر أهلها إليها فحوصرت اثني عشر يوماً ونهبت كرومها ثم استسلمت (فقرة ٧) . ومنهـا واغاروا على دمون [بجوار تريم مباشرة] ومشطه [تليها] وعركلم [اما أن يكون حصناً مجهولاً بين مشطه وقسم أو انه حصن العر بين قسم والسوم] واستسلمت هذه الاماكن . ثم جاسوا خـلال كل مدن حضرموت وأوديتها « بخشو كل اهجر حضرموت وأوديتها » بحثاً عن الغنائم (١٩٠) وكان القتلى الحضارم ثلاثمائة الف وجرحاهم سبعمائة والسبي منهم ثلاثة آلاف (فقرة ٨) . وقفلوا راجعين إلى مدينة ظفار لدى سيدهم الملك ومعهم امار الذي ملكوه حضرموت « ذمملكو حضرموت » وربيعة بن وائل وافصى جمن وجشم بن مالك (قارن جام ٦٦٥ / ٢٨ ـ ٣٩) وثوبان بن جذيمة الصدفي [لا بد وانه زعيم الصدف] وسيبابيان احدهما يدعى قضاع والآخر لم يبق من اسمه حرف وبقية النقش تالف (١٩١) .

ومن نقش جديد (ك ٣١) نلمس أن عهد ذمر علي يهبر لم يكن بعيداً حتى عـــن عهد شمر يهرعش نفسه ذلك لأن صاحب هذا النقش هو لفعثت يشع بن مرحبم الذي عــاش في زمن شمر يهرعش (جام ٦٥٧) ثم أصبح زعيما لقبيلة سبأ في عهد ذمر علي يهبر كما يفهم من النقش الجـديد (ك ٣١) الذي يذكر اشتراك لفعثت في الحملة على حضرموت مع قبيلة سبأ دون أية اشارة إلى سعد تالب مع أن سعد تالب نفسه (ك ٣٢) ذكر قبيلة سبأ بين القبائل التي كانت تحت قيادته. ويختلف (ك ٣١) عن (ك٣٢) في أن الأول يضيف مدينتي عقران (جنوب شبام) وشبوه ضمن المدن التي تعرضت للغارات السبئية .

وهكذا فاننا نستنتج من النقوش ان عهود الملوك المذكورين اعلاه تعاقبت على الصورة التالية :

(١) شمر يهرعش بن ياسر يهنعم (جام ٦٥٧ : لفعثت)
(٢) ياسر يهنعم وابنه درا أيمن (جام ٦٦٥ : سعد تالب)
(٣) ذمر علي يهبر (ك ٣١ : لفعثت و ك ٣٢ : سعد تالب)

(أما ثاران ايفع الذي جاء اسمه مشتركاً في الحكم مع ياسريهنعم (جام ٦٦٤) فليس هناك ما يعيننا على تحديد مكانه وزمانه) [١٩٢] .

ويبدو أن الاغارات على وادي حضرموت استمرت . فهذا نقش يبدو أن أصحابه هم قبيلة سبأ كهلان ، ذات النقوش العديدة في معبد اوام ، يــذكر غنائم وأسرى من مدن سررن (= السر ، أي الوادي) ويقصد به غالباً وادي حضرموت . ويعود النقش إلى عهد ذمر علي يهبر مــع ابنه ثاران يهنعم الذي لدينا من عهده نقش جديد عثر عليه في المصنعه شمال غرب ذمار ونشره مؤخراً كل من مطهر الارياني وجيوفاني جاربيني [١٩٣] .

ويتحدث النقش الجديد عن اصلاحات واسعة للطرق تمت حوالي عــام

أربعمائة وأربعة وثلاثين من التقويم الحميري (٣١٩ / ٣٢٥ م) . ولكن لقب الملك في النقش (ولقب أبيه أيضاً) يأتي من غير اضافة (وحضرموت ويمنت) هكذا .

« ثاران يهنعم ملك سبأ وذي ريـــدان بن ذمرعلي يهبر ملك سبأ وذي ريدان » وهو أمر يصعب تفسيره .

كما ان تقدم عهد هـذا الملك إلى حوالي ٣١٩ / ٣٢٥ م يقتضي منا مراجعة التواريخ المقترحة لمن سبقوه وما ترتب عليها من دلالات (١٩٤) .

* * * .

وقبل أن ننتقل إلى ملككرب بن ثاران يهنعم ينبغي علينا أن نشير إلى ملك لم يتفق بعد على تحديد مكانه وهـــو كرب إل وتر يهنعم ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت الذي جاء اسمه في نقشين (جام ٦٦٦و٦٦٧) يشير ثانيهما اشارة خـاطفة إلى ثورة حدثت بمدينة ظفار (جام ٦٦٧ / ٨و٩) قبل كتابة النقش بوقت ولكنه لا يقدم لنا ما يساعدنا على تلمس موضع ذلك الملك بين الملوك في هذه الفترة .

وفي مجموعـــة الكهالي نقش جديد (ك ٢٨) سجله « شرح عثت اشوع ذحبب ... أقول شعبنهن صروح وخولن خضلم » بمناسبة عودتـــه من مهمة سياسية بـــأرض حبشت واكسمن أوفده فيها ملك كرب إل وتر يهنعم إلى النجاشي ؛ وذكر أنه عاد من هناك يرافقه وفد من الأحباش بعد أن مكث في البحر (يقصد الخارج) سبعة أشهر . ويذكر أن عودته كانت عن طريق الخا (مخون) .

وفي النقش المذكور عبارة تستحق أن نتوقف عندها قليلاً وهي :

« وهذكي بعمهمو تنبلتم احيقم وزلنس » إذ أن « احيقم وزلنسن » — فيما

يبدو – اسمان لشخصين من الأحباش قد يكونان هما عضوا الوفـــد الحبشي ، ورئيساه ،وقد يكونان أيضاً هما اللذان اوفدا ذلك الوفد مع شرح عثت اشوع. فهل نحن هنا أمام اسمين لحاكمين (ملكين) حبشيين لم يعرفا من قبل ؟

وهذا يجرنا إلى الحديث عن الاحتلال الحبشيّ الأول الذي لا يكاد يخلو من الاشارة إليه كتاب تناول هذه الفترة (١٩٥) فقد لوحظ من نقوش وجدت على البر الحبشي أن بعض الملوك هناك كانوا يذكرون مناطق يمنية في القاب السيادة منهم سمبروتس الذي وجد له نقش في دقي محساري بارتريا (١٩٦) وعيزانا الذي يعتقد أنه الملك الذي أدخل المسيحية في بلاده وفي لقب ذلك الملك نجد اسماء ريدان وسبأ وسلحين . والسؤال هـــو كيف تسنى له أن يفعل ذلك ؟ هناك محاولات عديدة للإجابة على السؤال منها محاولة فون فيسمن الذي يرى تقديم عهد عزانا عن الوقت الذي اقترح له حتى الآن وجعله أقرب ما يكون إلى عهدي جدرت وعذبه ، ذلك لأن من رأيه أن عهد ياسر يهنعم (الثالث) هو أضعف عهود هذه الفترة (١٩٧) . ولكننا لا نزال بحاجة إلى المزيد من الأدلة من الجانبين العربي والحبشي لتثبيت أحداث هذه الفترة وعلاقات الطرفين خلالها . وغاية ما يمكننا قوله الآن هو استبعاد أي احتلال حبشي جديد شامل مـا بين عهد شمر يهرعش (الثالث) والاحتلال الحبشي المعروف في أوائل القرن الخامس أو السادس . ولعل نقش ادوليس (١٩٨) الذي تحدث عن غزوات ملك اكسومي لم يعرف اسمه في البر الافريقي حتى حدود مصر شمالاً وبلاد الصومال جنوباً وفي البر العربي فيما أسماه النقش ببلاد « الكنايدو كولبيتاي » حتى لايكه كومــه (ربما ينبع) إنما يشير إلى احتلال حبشي لعسير والحجاز في زمن لا يتأخر عن عهد جدرت المعاصر لعلهان نهفان (١٩٩) . ولما اننا رأينا تغلغل الأحباش بعد ذلك حتى بلاد الاشاعر عند باب المندب ومحاولة احتلالهم لظفار (جام ٦٣١) فإن ذلك يكفي – مؤقتاً – لتفسير تزيين ملوك حبشت واكسوم لقبهم الملكي بأسماء مناطق يمنية في حالتي السيطرة الحقيقية والادعاء .

على ان تحديد موضع كرب إل وتر يهنعم من الأهمية بمكان بالغ خاصة وان

الاشارة الوحيدة إلى الأحباش في ظل لقب ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت هي التي جاءت في (ك ٢٨) .

* * *

هناك ، على أي حال ، نقوش (جام ٦٦٩ — ٦٧١) من عهد ثاران يهنعم وابنه ملككرب يهأمن وهي التي يرى ركانز انها آخر ما عرف من نقوش ورد فيها ذكر المقه بعل اوام [٢٠٠] . ويلاحظ ان اسم ملككرب في احدها (جام ٦٦٩ / ٢٧—٢٨) جاء في عبارة : « وبنيهو ملككرب » من غير « يهأمن » قبل عبارة « ملكي سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت » والنقش المذكور لا شأن له بالسياسة وإنما يتناول أحوال اسرة حمدت المقه لأنها رزقت ابناً ذكراً (٨—١٨) وتوسلت إليه أيضاً أن ينجي أحد أفرادها لانه قتل [غير عامد] رجلاً يدعى يحمد دخل أرضهم وتمارك مع أولادهم (١٨—٢٦) . أما (جام ٦٧٠) فصاحباه قيل وابنه ولكنهما مشغولان فيه بحمد المقه على نجاة الأب من مرض أصيب به في ظفار . وقد جاء اسم ملككرب هناك متبوعاً بـ « يهأمن» (س ٢٣) .

ولكن (جام ٦٧١) ، الذي تعرض لتلف في مطلعه وختامه ، حفظ لنا أخبار تصدع أصاب سد مارب في عهد ذينك الملكين : « ثاران يهنعم وبنيهو ملككرب يامن » ملكي سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت (س ٨ — ١٩ و٢١ / ٢٣) . وهذه هي المرة الثانية التي تحدثت فيها النقوش المعروفة عن تصدع ذلك السد .

ويبدو أن صاحبي هذا النقش (جام ٦٧١ / ١—٥) هم نفس صاحبي النقش المتقدم (جام ٦٧٠ / ١ — ٥) رغم إضافة « خولان جددتم) هنا إلى القبائل التابعة للقيلين وإضافة « أسأر » نعتاً للابن [٢٠١] .

ولدينا نقش ملكي (بيت الاشول ٢) من عهـــد ملككرب يهامن وابنيه ابكرب اسعد وذرأ أمرأين « أملك سبأ وذريدن وحضرموت ويمنت » سجله الملك وولداه المذكوران في النقش بمناسبة بناء بيت لهم واختتموه بعبارة «بعقام مرأهمو مرأسمين » أي « بعقام سيدهم سيد السماء » وتاريخ : شهر ذدأون من عام ٤٩٣ ح = ٣٧٨ / ٣٨٤ م[٢٠٢].

ونلاحظ أن هذا النقش جاء بعد ما يقرب من ستين عاما من نقش ثأران يهنعم بن ذمر علي يهبر (٤٣٤ ح) الذي هو والد ملككرب كما يعتقد فهل خط النقش الأقدم في أوائل عهد ثاران والنقش الأحدث في أواخر عهد ملككرب بحيث تكون الأعوام المنصرمة فيما بين النقشين هي مجمل عهدي الملكين الأب والابن ؟

ولقد تحدث الاخباريون عن ملككرب ، وان كانوا قد حرفوا اسمه أحياناً فجعلوه كليكرب ، ونسبوه إلى غير أبيه ، وجعل بعضهم مـــدة حكمه خمسة وثلاثين عاماً[٢٠٣] . ولعل هذا – إذا صح – يفسر الفارق الزمني بين النقشين السابقين .

على أن تلك الأعوام – فيما يبدو – شهدت تحولاً في العقيدة الدينية يحتمل أن يكون قد تم تحت تـــأثير الديانة اليهودية أو لعله كان تحولاً نحو اليهودية بعينها . فهذا نقش (بيت الاشول ١) من عهد ذرأ أمر أيمن ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت ، الذي لا يستبعد أن يكون هو ذرأ أمر الوارد اسمه في النقش المتقدم ذكره (بيت الاشول ٢) ، وصاحب النقش الجديد يهودي اسمه يهودا يكف سجله بمناسبة إنشاء بيته المسمى « يكرب »[٢٠٤] .

ولكننا ، من ناحية أخرى ، لا نستطيـع أن نتحدث بيقين تام عن عهد لذرأ أمر كملك ينفرد بالحكم بعد ملككرب مباشرة خاصة وأن ذرأ أمر أيمـــن بن ملككرب الذي جاء اسمه في نقش (بيت الاشول٢) يأتي بعد أخيه ابكرب

اسعد في الترتيب . ويتكرر نفس الشيء في نقش آخر من منكث [٢٠٥] حيث نقرأ :

« ابكرب اسعد واخهو ذرأ أمر أيمن وبنهو حسن يأمن ومعد كرب ينعم وحجر ايفع املك سبأ وذريدن وحضرموت ويمنت » .

ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت واعرابهم طودأ وتهامه

ويعد ابكرب اسعد بن ملككرب يهأمن أشهر ملوك اليمن الاقدمين إذ تخلف عن عهده دوي قوي تردد صداه في روايات الاخباريين الذين عرفوه باسماء مختلفة منها « تبع » و « اسعد الكامل » [٢٠٦] ونسبوا إليه فتوحات معينة ورووا انه « تهود وطلب من قومه الدخول في اليهودية » [٢٠٧]. وقال الهمداني ان مولده كان بخمر وان نشأته كانت بجبل هنوم ، وكلا الموضعين يقعان في بلاد همدان . كما نسب إليه اشعاراً كثيرة [٢٠٨] .

وفي عهد ابكرب اسعد اضيفت عبارة « واعربهمو طودم وتهمتم »إلى اللقب الملكي دلالة على ضم التهائم والهضاب الممتدة خلفها والضاربة في قلب الحجاز إلى حكم ذلك الملك وإخضاع القبائل التي كانت تقيم فيها. وهذا قد يعني في نفس الوقت تطهير التهائم نهائياً من أي نفوذ حبشي كان قد بقي هناك حتى عهد ابكرب اسعد أو عهد ابيه .

ومن بين النقوش التي جاء فيها اللقب الملكي ، شاملاً الاضافة الجديدة، ذلك الذي عثر عليه في موضع متقدم في شمال الجزيرة العربية يدعى ماسل الجمح[٢٠٩] وهو النقش (ركمانز ٥٠٩) الذي نعلم منه أن ابكرب اسعد وابنه حسان يهأمن قد زارا ذلك الموضع في ركب من اعراب كنده .

ويبدو أن ابكرب اسعد قد عمر وحكم طويلاً إذ أن نقشا (ركمانز ٥٣٤) يذكره مع خمسة من ابنائه من بينهم حسان يهأمن المتقدم ذكره وشرحبيل يعفر.

وقد خط ذلك النقش في عـام ٥٤٣ من التقويم الحميري (٤٢٨ / ٤٣٤ م) أي بعد خمسين عاماً من نقش (بيت الاشول ٢) .

وبعد عشرين عاماً من ذلك التاريخ نجد شرحبيل يعفر بن ابكرب اسعد على العرش وحيداً . ففي عام ٥٦٤ ح (= ٤٤٩ / ٤٥٥ م) كما يدل النقش(م ٥٤٠) تعرض سد مـــارب لتصدع ، هو الثالث فيما ذكرت النقوش المعروفة ، وأمر شرحبيل يعفر باصلاحه ولكن لم يلبث أن تصدع مرة أخرى في العـام التالي ٥٦٥ ح ، فسخر الملك عشرين ألفاً من رجال حمير وحضرموت للقيام بالترميات المطلوبة . وذكر النص كميات الطعام وانواعه المختلفة التي استهلكها ذلك العدد الكبير من العمال المسخرين .

واشير إلى السد في نقش جديد ، نشره منذ وقت قريب جيوفاني جـــار بيني [٢١٠] ، ويعود تاريخه إلى عـــام ٥٧٢ ح اي بعد سبعة اعـوام من النقش السابق .

ويحتوي النقش الجديد على وصف تفصيلي ممتع لعملية بنــــاء وتجميل قصر لذلك الملك . وفيما يلي محاولة لشرحه اعتماداً على الصورة التي حققها جار بيني للنص .

١ — شرحبيل يعفر ملك سبأ وذي ريـدان وحضرموت ويمنت واعرابهم طوداً .

٢ — وتهامه بنو ابكرب اسعد ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت واعرابهم .

٣ — طوداً وتهامة بنوا وأسسوا وجمـــلوا (وعـــذبن) بينهم « هرجم » [اسم القصر] من اساسه إلى ...

٤ — وطلوا واجهته بالجير ؟ (وهجبأو تبيتم جير تقلأهو اقدمن)، واقاموا لحمايته سقفاً عالياً م . . .

٥ — . . . م وحجـــارة مربعة (ربعتم ؟) ونوافذ تفتح وتغلق (والهجم مودلم)واحاطوه بافريز (نعيهو شرعتم؟) تماثيل ثيران منحوتة (اثورم عصبيم) وظباء واسود .

٦ — واجراس (ومعهرتم) من الذهب/النحاس (ذذهبم) بين تماثيل الثيران .

٧ — المنحوتـة (ذ عصبين) . وكان (. . ون) حسنا هو تجميل المسود (عسم هو موسم مسودن) .

٨ — ونصبوا (ووتنو) به اعمدة .

٩ — من الحجارة المنحوتة(اعصبيم) بوسط الجزء المسقوف (بوسط مظللن) ومن الخارج (وتفرع

١٠ — . . .) فاحاطوه (وشرعهو) تماثيل [بشرية] (اصلمن) واوعال واسود وانمر من الذهب / النحاس . ومعه [اي في نفس الوقت] .

١١ — رمموا (وعذبو) العرم [اي السد] الذي بمارب تنظيفاً وتجصيصاً (مسرم وشصنم) . وبنو رحبم كل جـدرانه (عودهو) ، وجـــددوا رحم [موضع بالسد] .

١٢ — . . . سصقل (؟) السد بالجدار (بعودن) في عام واحد، بنصر وعون ومقام سيدهم الرحمن بعل .

١٣ — السماء والأرض ، وبقوة وعـون قبائلهم وجيوشهم (اخمسهمو) سبأ وحمير وحضرموت .

١٤ — ويمنت . وكان هذا الانجاز (مقحن) بالشهر ذي إلن في العام الثاني والسبعين وخمسمائة .

(وسيجد القارىء تعليقاً على هذا الشرح في الهامش رقم ٢١٠) .

وبهذا النقش تنقطع آخر اخبار شرحبيل يعفر واسرتـه الكبيرة وندخل فترة شديدة الغموض ، نتيجة لنقص النقوش ، تمتد ما يقرب من ستين عامـاً ما بين ٥٧٢ و٦٣١ من التقويم الحميري .

فالنقوش القليلة الناقصة لم تحمل الينـا إلا اسماء اشخاص مصحوبة بالقاب الملك وآخرهم معـد كرب يعفر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت واعرابهم طوداً وتهامة الذي ورد ذكره في نقش(فلبي ٢٢٨) ارخ بسنة ٦٣١ ح .

ويبدو أن معد كرب يعفر هذا هو آخر من تحلى بذلك اللقب الملكي الطويل الذي بدأه ابكرب اسعد قبل زهاء قرن من هذا التاريخ ، فبعد عـام ٦٣١ بقليل نجد في اليمن ملكاً جديداً لا يستخدم اللقب الطويل ويقاتل الاحباش في ظفار وفي نجران كما جاء في نقش طويل (جام ١٠٢٨) عثر عليه في بئر الحيمة (شمال غرب نجران) .

يتكون النص المـذكور من اثني عشر سطراً . وقد كتبه أو امر بكتابته القيل شرحئيل ذي يزأن عندما رابط في نجران [٢١١] بقبائل همدان حضراً واعرابـاً ، وبرمـسـاة [٢١٢] من الازن (اليزنيين) ، وباعراب كنده ومراد ومذحج (س ٦و٧) .

وقد افتتح النص بالدعاء التالي : « ليبارك إلن الذي له السماء والارض الملك يوسف أسأر يثأر ملك كل الشعوب وليبارك الاقيال لحيعث يرخم وسميفع أشوع وشرحئيل اشوع وشرحبيل اسعـد بني شرحبيل يكمل سادة يزأن وجدن [الذين] ساندو (خصرو) سيدهم الملك يوسف اسأر يثأر عندما دمر حرقساً

(دهر) الكنيسة أو القليس (قلسن) وقتل الأحباش بظفار [والذين ساندوه] في / على محاربة الاشاعر والركب وفرسان والخا (ومخون) وفي / على محاربة واحتلال (ومقرنة) نجران وتقوية دفاع (تصنع) جبال (سسلتن؟) المندب ، وعندما التفوا حوله (كجمع عمهو) وعندما أمدهم بجيش ، (؟) وعندما ظفر وغنم الملك بهـذه الغزوة ٥١٢ ألف قتيل و ١١ ألف سبي و ٢٩٠ ألف من الابل والبقر والضان (س ١ ــ ٦) .

والنصف الأول من النص (س ١ ــ ٧) كما رأينا يحكي احداثاً حدثت قبل كتابة النقش بوقت وفيه حرص القيل أن يبين أن « مخاصرتهم » للملك شملت كل الاعمال الحربية التي شنها في ظفار وفي الاجزاء الجنوبية من تهامة عند باب المندب وفي نجران والتي كانت نتيجتها ذلك العدد الهائل من الخسائر في الاعداء والغنائم للملك واحتلال نجران وتقوية دفاع باب المندب وكلا المنطقتين فيما يبدو هما الطرفان اللذان يتوقع نزول الاحباش بهما مرة ثانية .

واقيال يزأن وجدن الاخوة في هذا النقش يمكن وضعهم في الشكل التالي:

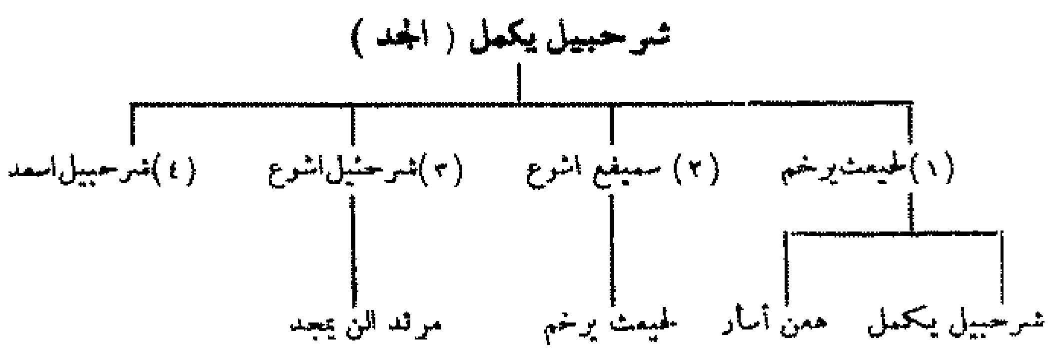
شرحبيل يكمل

(الأب الذي لا شأن له بالنقش)

الاخوة : (١) لحيعث يرخم (٢) سميفع اشوع (٣) شرحئيل اشوع (٤) شرحبيل أسعد

وقد كان من نصيب الثالث شرحئيل اشوع أن يتولى احتلال نجران بالحشود التي ذكرها . أما اخوته الاقيال ــ كما يقول النص ــ فكانوا مع الملك يرابطون بالبحر من حبشت (قرنم ببحرن بن حبشت) ويقومون بتقوية استحكامات سلسلة (؟) المندب (٦ــ٨) وكل ما ذكروه بهـذا المسند [من] مقتله وغنم واحتلال / مرابطه فكان في حملة [تمت] قبل أن يعودوا إلى ديارهم (؟) بثلاثة عشر شهراً (٨ــ٩) .

ويدعو مرة أخرى لابناء الاسرة فيقول: «وليبارك الرحمن أبناءهم شرحبيل يكمل وهعن أسار بني لحيمث ، ولحيمث يرخم بن سميفع ، ومرثد إلن يعجد بن شرحئيل سادة يز أن » (٩-١٠) وهنا ينبغي أن نضع هؤلاء الأبناء في الشكل التالي الذي يوضح العلاقة بين أفراد هذه الاسرة الهامة :



ويختتم النقش بعبارة : « أرخه ذي مذرأن من [عـام] ثلاثة وثلاثـين وستمائة » (؟) ويضيف أنه وضع المسند في حماية السماء وولاء وقوة الجند من كل خسيس (؟) ومخـادع ، ويستعيذ بالرحمن العلي ضد كل مخادع يحـاول مسحه . صاغ وسطر وقدم باسم الرحمن . صاغه تيم ذحذيت [٢١٣] . رب هود بمحمد.

ولقد اختلف الدارسون في شرح العبارات الختامية ، غير أنهم متفقون على أن صاحب النقش يهودي . ونحن نعرف من مصادر قديمة عديدة أن الملك الذي حاربه الأحباش عند احتلالهم لليمن كان يهودياً يدعى « ذا نواس » وكان قد عذب النصارى في نجران . ونعرف في نفس الوقت من عدد من نفس المصادر ان ذلك الملك كان أيضاً يدعى « يوسف » [٢١٤] . من هنا فان هناك قـدراً كبيراً من التوافق بين الاخبار القديمة وبين هذا النقش .

وواضح أيضاً أن القيل شرحئيل اشوع إنما يتحدث عن أحداث جرت قبل أكثر من عام من تاريخ نقشه وان جماعات من الأحباش على الأقل كانت موجودة باليمن في عام ٦٣٢ أو قبله . وكل هذا ينم على صراع ديني ذي خلفية سياسية قد دار على أرض اليمن وأدى إلى تلك الحرب التي يصفها النقش والـتي كان فيها

بعض سكان التهائم ونجران في الصف المضاد للملك اليهودي (؟) يوسف أسأر . ولعل مرجع ذلك هو اعتناقهم المسيحية التي لم يتفق بعد على تاريخ دخولها اليمن [٢١٥] .

والمصادر المعاصرة التي تناولت موضوع تعذيب نصارى نجران وخاصة المسيحية منها تناولته بعاطفة متأججة وبغضب ملحوظ وقد استعرضها جواد علي في الجزء الثالث من مؤلفه الضخم تاريخ العرب قبل الاسلام وجميعهالا يضيف كثيراً إلى علمنا بسير الاحداث خلال تلك الحرب التي نرى جانباً منها في نقش شراحيل اشوع .

ويبدو من نقش حصن الغراب (م ٦٢١) ان الصراع دام بعد ذلك حتى عام ٦٤٠ ح وهو وقت كتابة ذلك النقش الهام.

ومرة أخرى يكون محدثنا زعيم يزني آخر من نفس الاسرة بل اننا نرجح انه احد اخوة شراحيل اشوع الذين كانوا برفقة الملك يوسف أسأر يثأر ، ولنتأمل مطلع النص حيث يرد :

« سميفع اشوع وبنيهو شرحبيل يكمل ومعد كرب يعفر بني لحيعث يرخم الهت الكلاع (كلعن) وذيزأن وجدنم الخ ... » (س ١-٢) .

ما علاقة هذه الاسماء ببعضها ؟ هل هم عبارة عن اب (سميفع اشوع) وولداه (شرحبيل يكمل) و (ومعد كرب يعفر) وان (لحيعث يرخم) هو والد سميفع وجد ولديه ؟

لا نظن ذلك، وإنما نرجح أن (لحيعث يرخم) إنما هو الأخ الأكبر لسميفع اشوع وان شرحبيل ومعد كرب إنما هما ولدا لحيعث . وكنا قد رأينا شرحبيل يكمل من قبل ابناً للحيعث يرخم الكبير في (جام ١٠٢٨) . أما اسم معدكرب

يعفر فلم يرد في ذلك النقش بأي صورة من الصور . ولهذا نرجح انه كان وقتها ، قبل سبعة أعوام ، لا يزال صغيراً لم يبلغ مبلغ الرجال .

وقد سطر سميفع اشوع وولدا أخيه ذلك النقش (م ٦٢١) في «عر ماويه» المعروف اليوم بحصن الغراب ، عندما رمموا سوره وبابه وصهاريجه وطريق العقبه الصاعدة إليه وتحصنوا به عندها عادوا من أرض حبشت ووجدوا الأحباش « ذرافات (زرفتن) بأرض حمير حيث قتلوا ملك حمير واقياله الحميريين (احمرن) والارحبيين » (س ٦-٩) .

والسؤال هو ماذا كان يفعل سميفع وولدا أخيه في الحبشة ؟

ثم من هو ملك حمير الذي قتله الأحباش ، ولماذا لم يذكر اسمه ؟

كذلك ، لماذا خلا النقش من أية اشارة دينية ؟

اننا إذا تأملنا قائمة القبائل والمناطق التي ذكرت في النقش (س٢-٦) نجد ان سميفع يدعي السيادة على قبائل ومناطق واسعة تمتد من حضرموت إلى منطقة ظفار (سأكلن) على الأقل .

ولكننا لا نجد ذكراً لاخوانه لحيعث يرخم وشرحئيل اشوع وشرحبيل اسعد وأبنائهم الآخرين بما فيهم ابنه لحيعث يرخم .

ويبدو من النص ان سميفع كان يقبع متربصاً في حصن الغراب (عر ماويه) وان الامور في سنة ٦٤٠ ح لم تكن قد استقرت بعد . ولعل تسوية قد تمت بعد احتلال الأحباش لمدينة ظفار والمناطق الغربية بين الغزاة وبين هذا الزعيم اليمني . ولعل اختفاء النغمة اليهودية من نقشه كان دليلا أو تمهيداً لتحول ديني أتاح له التفاهم مع الأحباش .

وغاية ما يمكن استخلاصه من النقشين أن اليزأنيين كانوا أقيالاً واسمي

النفوذ . وانهم وقفوا في وقت من الاوقات مع يوسف أسار ثم لا ندري مـاذا حدث لهم خـلال السنوات السبع التي انقضت بين نقشي (جـام ١٠٢٨) و (م ٦٢١) .

هذا ومن ناحية اخرى فان المصادر القديمة تجمع على أن الغزو الحبشي جـاء نتيجة لاضطهاد المسيحيين في اليمن . وقيل أن جستنيان الاول امبراطور بيزنطة وجه رسالة إلى النجاشي كالب أو إلا اصبحه طالباً منه التدخل لانقاذ اخوة العقيدة، وانه أمده باسطول روماني شارك في حمل القوات الحبشية [٢١٦]، ولم يكن دافع الرومان ، في الغالب ، خالصاً لوجه العقيدة وإنما كان لرغبة منهم في حماية مصالحهم التجارية التي تعرضت للخطر من جراء الموقف العدائي للملوك الحميريين .

ويبدو أن تلك الحرب مرت بمراحل متعددة واستغرقت وقتاً ليس بالقصير حتى تمكن الاحباش في النهاية من قتل الملك الحميري واقياله الحميريين والارحبيين في عام ٦٤٠ ح (٥٢٥ / ٥٣١ م) .

وحتى بعد ذلك لم يفكر الأحبـاش ، فيما يظهر ، بأن يحكموا اليمن حكماً مباشرا وإنما حاولوا أن ينصبوا من بين ابنائها ملكاً يضمون ولاءه لهم . وفي هـذا يحدثنا بروكد بيوس [٢١٧] عن ملك من نصارى حمير ولاه الاحباش على اليمن ويسميه ايسميا فس (لعله سميفع) ويقول أن الأحبـاش الذين بقوا في اليمن خلصوه وولوا بدلاً عنه عبداً نصرانياً اسمه ابراهام (ابراموس) .

الحكم الحبشي

وابراهام هذا هو بلا شك ابرهة الذي حكم اليمن وتلقب في النقوش بنائب الملك الأجعزي رمحيس زبيمن ملك سبأ وذي ريـدان وحضرموت ويمنت واعرابهم طوداً وتهامة . ولا ندري هل عبارة « زبيمن » ملحقة برمحيس أم انها

تعني « الذي باليمن » وتعود إلى ابرهـة دلالة على انه نائب ذلك الملك في اليمن ، على أن ابرهة لم يكن في الحقيقة تابعاً عادياً للملك الحبشي وإنما كان أقرب إلى الصديق والحليف بالنسبة اليه . وكانت بعض المصادر قد تحدثت عن تمرده ايام إلا اصبحه أو كالب ثم قبوله التبعية ايام خلفه [٢١٨] .

وفي النقش (م ٥٤١) الذي تركه لنـا بمارب ذلك الحاكم الحبشي نلمس جوانب مختلفة من الاوضاع في اليمن على عهده :

يبدأ النص الطويل (١٣٦ سطراً) بعبـارة : بقوة وعون ورحمة الرحمن ومسيحه وروح قدس سطروا هـذا المسند . ان ابره نائب (عزلي) الملك الاجفري رعيس زبيمن (؟) ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت واعرابهم طوداً وتهامة (س ١ ــ ٩) . وهكذا فإن ابرهـة (ابره) يتلقب بنفس اللقب السبئي الطويل .

ثم يمضي النص ليتحدث عن تمرد يزيد بن كبشة واخلاله بالمواثيق بعد أن استخلفوه على كنده ، وتمرد عدد من اقيال سبأ إلا ساحر معه وهم مُره وثمامة وحنش ومرثد وحنف ذو خليل واليزنيون الاقيال معد كرب بن سميفع وهمن واخوته بني اسلم (س ٩ ــ ١٨) . ويقع اختيار ابرهة ، فيما يبدو ، على زعيم اسمه جره ذزبنز [٢١٩] ليتولى مهاجمة حصن كدار (كدر) بالمشرق (س ١٨ ــ ٢١) وهو الذي اعتصم فيه الاقيـال المتمردون . ويذكر النص أن يزيد جمع من اطاعه من كنده وحـارب بهم حضرموت وأسر مازن هجن الاذمري (س ٢١ ــ ٢٤) .

ولمـا بلغ الخبر الملك جمع جيوشه حبشت وحمير بالالاف في شهر ذي القيض من عام ٦٥٧ وتحرك عن طريق صرواح شمالاً نحو «نبط» في اتجاه المبر . ومن « بنط » أخذ يعد العدة لارسال سرية إلى كدار (س ٢٤ ــ ٣٧) . ولكن يزيد سارع إلى اعلان ولائه قبل أن تتحرك السرية المذكورة (س ٣٧ ــ ٤١) . وفي

هذه الاثناء جاء من يستصرخ الملك من سبأ لأن العرم (السد) قد تهدم حاجزه وقنواته ومصارفــــه وذلك في شهر ذ مذرأن ذي السبعة (س ٤١ ـ ٤٦) . ووصل في اعقاب ذلك الاعراب الذين عادوا مع يزيد واعلنوا ولاءهم وقدموا رهائنهم . كما أن السرية التي توجهت إلى كدار تمكنت مــــن الاقيال المتمردين (س ٤٦ ـ ٥٥) .

ثم أصدر الملك اوامره إلى الاحباش بان يشتركوا في الاعمال التي يتطلبهــــا ترميم السد والخراب الذي حــــدث بمارب ويذكر الاعمال المطلوبة بالتفصيل . ويقول انه واعدهم شهر ذي الصراب ذي السبعة (س ٥٥ ـ ٦٣). ويبدو أن ذي السبعة هنا وفيما سبق اختصار لعــام ٦٥٧ . وبعد ذلك ذهب الاعراب إلى مدينة مارب وقدسوا بيعتها (٦٣ ـ ٦٧) ومن هناك توجهوا إلى العرم وقاموا بالحفر . كما اتجهو إلى العر (الجبل) ليأخذوا منه الحجارة المطلوبة لاقامــــة الاساس لجسم السد . وبعـــد ان تم لهم وضع الاساس الحجري انتشر مرض بين القبائل وفي المدينة. ولما رأى الملك أن ذلك قد أرهق القبائل أذن لهم احباشهم واحمرهم (حميرهم) (س ٦٧ ـ ٧٥) . وبعدها ورد الاقيال الذين احتموا بكدار بصحبة السرية التي أرسلت لاحضارهم واعلنوا ولاءهم للملك (س ٧٥ ـ ٨٠) .

ثم عاد الملك من العرم إلى مدينة مارب ومعه الاقيال الذين كانوا موالــــين له وهم :

اكسوم ذو معاهر ابن الملك
مرجزف ذو ذرنح(ذو ذرانح)
عدل (عادل) ذو فيش (ذو فايش)
ذو شولم
ذو شعبن (ذو الشعب)
ذو رعين
ذو همدان

ذو كلعن (ذو الكلاع)
ذو مهدم
ذو ثات
وعلسم (؟) ذو يزأن
ذو ذبيان
كبير حضرموت
ذو فرنه (س ٨٠ – ٨٧)

وتحدث النص بعد ذلك عن وفود الدول التي قدمت إليهم وهم :

سفراء النجاشي
سفراء ملك الروم
وفد ملك فارس
رسل المنذر
رسل الحارث بن جبله
رسل ابكرب بن جبله (س ٨٧ – ٩٢)

وما لبثت الغمة ان انجابت بعون الرحمان ووردت القبائل في الموعد الذي اتفق عليه من قبل وبدأ أبناؤها في عمليات الترميم . ويذكر النقش ابعاد العمل الذي تم إنجـــازه في اجزاء السد (س ٩٢ – ١١٤). وكما فعل شرحبيل يعفر حرص ابرهه على أن يذكر كميات الطعام التي أتت عليها القبائل منذ اليوم الذي تحركوا فيه لغزوتهم وتقديس البيعة إلى أن تم إصلاح العرم (س١١٤–١٣٠) .

وتحدثت الاسطر الأخيرة عن المدة التي استغرقها العمل حتى نهايته في شهر ذي معن من عام ٦٥٨ (س ١٣٠ – ١٣٦) .

ورغم الثورات الداخلية والضغوط الخارجية فان ابرهه استطاع فيما يبدو أن يدير دفة الحكم بيد ثابتة وان يكتسب صيتاً ذائعاً بـــين العرب الذين كانوا يكنونه بابي يكسوم كما نرى في شعر المخبل المعدي (٢٢٠) الذي يقول فيه :

ويوم ابي يكسوم والناس حضر
على حلبان إذ تقضى مجـــامله
طوينا لهم باب الحصين ودونه
عزيز يمشي بالحراب مقـــاوله

ويوم حلبان الذي يتحدث عنه الشاعر جـــاء ذكره أيضاً في نقش لابرهه (ركانز ٥٠٦) يصف حمله على معد القبيلة الشمالية الكبيرة وذلك حين تمرد كل بني عامر (بني عمرم) فسير عليهم الملك مقاتلين من كنده وسعد وقبائل أخرى حاربتهم في أحد الاودية واحدثت فيهم مقتلة واصابت منهم مغانم كثيرة . ثم هاجم الملك نفسه حلبان فاستسلمت له معد وقدمت له الرهائن . واستخلف عليهم عمرو بن المنذر بعد أن قدم هو الآخر ابنه رهينة . وقفل راجعاً بحول الرحمان . وأرخ نقشه بعام ٦٢٢ ح .

وتذكر المصادر العربية[٢٢١] ان ابرهه شيد في صنعاء كنيسة سموها القليس (قارن جام ١٠٢٨) وبالغ في تجميلها . وقالوا انه قام بحملة لغزو مكة وكان هدفه تهديم الكعبة . وهذه هي الغزوة التي اشار إليها القرآن الكريم في سورة الفيل . وقد عرف العام الذي حدثت فيه بين العرب بعام الفيل وهو العام الذي ذهبت بعض الروايات إلى أنه العام الذي ولد فيه الرسول عليه الصلاة والسلام[٢٢٢].

وبعد ابرهة ولي الحكم ابنه يكسوم . ولعله هو المعني باكسوم ذي معاهر في النقش الكبير (م ٥٤١) . ومن بعد يكسوم انتقل الملك إلى أخيه مسروق وهو الذي تم في عهده إخراج الأحباش من اليمن حين ثار عليهم سيف بن ذي يزن واستعان في قتاله لهم بالفرس وكان ذلك في حوالي عام ٥٧٥ م .

سيف بن ذي يزن والفرس

وتختلف الروايات في سيرة سيف بن ذي يزن وبواعث ثورته ومـا جرى له

بعد أن تمت هزيمته للاحباش . وقد اختلطت الحقيقة بالاسطورة في حياة ذلك البطل الوطني (٢٢٣) . وفيما يتعلق بالحرب فــان الروايات تتلخص في أن سيفاً قصد الروم بادىء الأمر لينصروه على الاحباش فلما خاب امله فيهم لجــأ إلى الفرس فأمده كسرى بقوة تحت قيــادة وهرز حملتها السفن ونزلت بساحـل حضرموت في موضع يدعى مثوب (٢٢٤) . ثم زحفت من هنــاك إلى ان التقى الجيشان وقتل مسروق وتشتت الأحباش . فأثبت الفرس سيفاً ملكاً على اليمن وفرضوا عليه جزية وخراجاً معلوماً يؤديه كل عــام . وقفل وهرز عائداً إلى كسرى . ولكن من بقي من الاحباش في اليمن — كما تقول الروايات — وثبوا على سيف وقتلوه غيلة . ولما بلغت الاخبــار كسرى بعث بوهرز على رأس قوة جديدة قضت على التمرد الحبشي،وبقيت اليمن بعد ذلك في قبضة الفرس يحكمها ولاة منهم حتى مجيء الاسلام . وكان آخرهــم هوباذان ، الذي اسلم وأقره الرسول عاملاً على اليمن تحت راية الاسلام .

القسم الثاني

في بعض جوانب الحضارة اليمنية القديمة

١ ــ اليمن واكسوم

قامت مملكة اكسوم ، كما هو معروف وكما تدل آثارهــا الباقية ، في الجزء الجنوبي من ارتيريا . واثبتت تلك الآثار بما لا يدع مجالاً للشك الروابط الوثيقة التي كانت تربط بناة تلك المملكة بالحضارة اليمنية وذلك لأن أقدم النقوش التي عثر عليها حتى الآن في ذلك البر الافريقي لا ترقى إلى ابعد من القرن الخامس قبل الميلاد في حين تعود اقدم النقوش اليمنية إلى القرن العاشر قبل الميلاد تقريباً ، كما أن اقدم الاخبار الموثوقة عن مملكة اكسوم لا ترقى إلى أبعد من القرن الاول قبل الميلاد ، في حين تعود اقدم نقوش عهد المكربين في سبأ إلى القرن الثامن قبل الميلاد تقريباً. وهكذا فان كل ذلك يشير إلى أن تلك المظاهر الحضارية التي وجدت في البر الافريقي والتي كانت لها خصائص المظاهر الحضارية عند اليمنيين إنما حدثت بفعل هجرة من الجانب اليمني في وقت يمكن تقدير تاريخه من دراسة تلك الآثار ومقارنتها (٢٢٥) .

وإذا اردنا أن نتتبع تطور الاحوال في البلاد التي تعرف اليوم باسم «اثيوبيا» ، فإننا نجد أن اقدم الاشارات التي جاءت في الكتابات المصرية القديمة التي كانت تطلق على البلاد الواقعة على حدود مصر الجنوبية (بما فيها اثيوبيا أو الحبشة) اسم بلاد « كوش » نسبة إلى سكانها الكوشيين الحاميين (٢٢٦) ، حيث اقاموا الصلات التجارية منذ اقــدم عهود الحضارة المصرية وكانوا يجلبون منها الرقيق والذهب . ويعتقد انهم كانوا يسلكون اليها طريقين احدهما من الغرب بواسطة

نهر النيل وفروعه ، والآخر من الشرق عـــن طريق البحر الاحمر الذي بدأت اساطيلهم تشق عبابه منذ الالف الثالث قبل الميلاد [٢٢٧] .

في تلك العصور كان الكوشيون هم العنصر السائد في البلاد التي نعرفها اليوم باسم اثيوبيا ، بينما كان الزنوج ، الذين يعتقد انهم كانوا السكان الاصليين، قـــد انحسروا إلى اطرافهـــا الغربية الداخلية البعيدة عن البحر دون أن يخلفوا اثراً يدل على سابق احتلالهم لتلك المنطقة [٢٢٨] .

وبعد أن اقام اليمنيون حضارتهم واخذوا يهتمون بالتجارة الخـــارجية التي كانت من ابرز دعائم حياتهم تطلعوا إلى البر الافريقي المجاور لهم .

ولما ان عرض البحر عند باب المندب يضيق إلى درجة يسهل معها لمن يقف على أحد شاطئيه رؤية مرتفعات الشاطىء المقابل في الاوقات الـتي يكون فيها الجو صحواً ، وهي أكثر الاوقات ، فانه يحق لنا ان نستنتج ان أول لقاء بين سكان الشاطئين العربي والافريقي تم عن طريق ذلك المضيق.

ويلفت اللندروف [٢٢٩] نظرنا إلى التشابه الصارخ بين طبيعة الساحـــل الارتيري واليمني الغربي فكلاهما قاحل وحار ، وكلاهما يفضي إلى هضبة جبلية مرتفعة تتمتع بامطار موسمية منتظمة . وهناك من الادلة ، كما سنرى، مايجعلنا نتصور ان اليمنيين بعد نزولهم بذلك الساحـــل تسلقوا الهضبة الواقعة خلفه ووصلوا إلى أراض خصبة أغرتهم بالاستقرار بين سكانهـــا الأصليين . ونشأت هناك ، فيما يبدو ، جاليات ظلت ، في بادىء الامر ، على صلة بالوطن الام : اليمن . وقد جاء أولئك المهاجرون ، كما تشهد الآثار ، إلى الأرض الجديـــدة بمظاهر حضارتهم المتفوقة على حضارة السكان المحليين خاصة في مجالي الفن المعماري وصناعة الاسلحة . وترتب على ذلك تفوق العنصر العربي الطارىء على غيره من السكان .

ويبدو ان تلك الهجرة التي بدأت في القرن السابع قبل الميلاد أو قبله [٢٣٠] استغرقت وقتاً طويلاً فليس هناك ما يدل على غزوة أو هجرة واسعة تمت دفعة واحدة .

وبمضي الزمن وتوافد المهاجرين من اليمن وتكاثرهم على الأرض الافريقية ، وربما تزوجهم من السكان المحليين قامت في تلك البلاد مستوطنات ، نعرف منها اكسوم ، يغلب عليها طابع الحياة اليمنية . فنجدهم يبنون نفس النوع من الابنية والمنشآت والصهاريج التي عرفت في اليمن ويطلقون على بعض الأماكن أسماء عرفوها في الوطن الأصلي كعادة المهاجرين دائماً. ولا يزال المتأمل في أسماء بعض الأماكن حول مصوع يلمس ما عليها من مسحة عربية. كما ثبت أن أقدم النقوش التي وجدت هناك وتعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد[٢٣١] كتبت بالخط المسند. وكانت لغة بعضها سبئية صرفة ولغة البعض الآخر تشبه السبئية ولكن مع اختلاف في المفردات نتيجة الاختلاط بالسكان الحاميين بطبيعة الحال . ونعلم أن بعض تلك النقوش ذات اللغة السبئية ذكرت سبأ ومرب (ماربا) ، والاله السبئي « المقه » وبعض الالهة اليمنية الأخرى [٢٣٢] .

وما أن جاء القرن الأول الميلادي حتى كانت مملكة اكسوم قد برزت إلى الوجود [٢٣٣] . وشجعها — فيما يبدو — إنشغال اليمنيين بالصراع الداخلي على التطلع إلى الشاطىء العربي المقابل واحتلال أجزاء واسعة من عسير وساحل الحجاز ، أو المنطقة التي اطلق عليها بطليموس في خارطته اسم « الكنايدو كولبتاي » . وتم ذلك في نظر فون وزمن عند نهاية القرن الأول الميلادي ، وسرعان ما اصبح الاحباش طرفاً في الصراع اليمني نفسه فحالفوا الهمدانيين ضد الحميريين (م ٣٠٨) وحاولوا احتلال ظفار لحسابهم (جـام ٦٢٩) ثم ناصروا شمر ذي ريدان ضد السبئيين (جـام ٥٧٦و٥٧٧) . ولعل النقوش الحبشية التي زين فيها الملوك القابهم باسماء مناطق يمنية تعود إلى نحو هذا الوقت .

وفي مطلع القرن الثالث الميلادي (وفقاً لأحدث التقديرات) نعرف من

البريبلوس انه كان على عرش اكسوم ملك يدعى زوسكاليس (لعله زاهكاليه) الذي يصفه الكتاب المذكور بالبخل والصلاح والالمام بالآداب الاغريقية . وكان معاصره في اليمن حسب رواية البريبلوس أيضاً ملك يدعى خربئل (لعله كرب إل) ويبدو من حديث الكاتب ان الامور كانت مستتبة للملكين بصورة عامة. فالتجارة في ميناء عدول ، التي تقع على بعد خمسة أيام من حاضرة الاكسوميين، مزدهرة ومنها يصدر العاج الذي يرد إلى اكسوم من البلاد الواقعة خلف النيل . وكذلك كان الحال في مخا الميناء السبئي على البحر الأحمر والذي كان يعج بالسفن وبالحركة التجارية النشطة .

وفي وقت ما من القرن الثالث أو الرابع الميلادي فيما يبدو يتم لاكسوم القضاء النهائي على مملكة مروى[٢٣٤] وتبلغ ذروة اتساعها على الشاطىء الافريقي. ويحدثنا عزانا أحد ملوك اكسوم في نقوشه عن حروبه ضد البجه وشعوب أخرى في نواحي نهر عطبره وإلى ما يقرب من ملتقى النيلين . ويزين لقبه في نفس الوقت باسماء مناطق يمنية : حمر (حمير) وريدان وسبأ وسلحن . ولكن يصعب معرفة الاسباب الكامنة وراء ذلك الادعاء . ويقال ان المسيحية دخلت الحبشة في زمان ذلك الملك كما استدل من تراوح نقوش عهده ونقوده بين الرموز الوثنية وبين الاشارة إلى « رب السماء الذي يهيمن على كل كائن في السماء والارض »[٢٣٥] .

ومهما يكن من أمر فان المسيحية أخذت في الانتشار حتى اصبحت الدين المسيطر بوضوح على البلاد . كما قويت الصلاة بين أباطرة الروم وملوك اكسوم.

وتنقطع الاخبار عن العلاقات اليمنية الحبشية بعد ذلك فترة ، لعلها شملت القرنين الرابع والخامس لنفاجأ بحروب جديدة في مطلع القرن السادس تتخذ صبغة دينية تتمثل في الصراع بين اليهودية والمسيحية ويبدو ان تلك الحرب التي شنها كالب ملك اكسوم بدعم من جستنيان الاول امبراطور بيزنطه كانت ، في نفس الوقت ، مرحلة في الصراع بين فارس وبيزنطه[٢٣٦] .

وتم لاكسوم — بعد صراع مرير — نصر مؤقت . إذ لم يلبث أن استقل بالحـــكم في اليمن محتفظاً بولاء اسمي للملك الاكسومي ومتبعاً سياسة مستقلة في التعامل مـــع القوى المتنافسة من حوله كما نرى في نقشه الكبير الذي تركه لنا عند السد في مارب (٥٤١ م) .

وفي عام ٥٧٢ م انتهى الاحتلال الحبشي وانكفأت دولة اكسوم على نفسها ولم تلبث أن زادت عزلتها بعد انتشار الاسلام فتقوقعت داخل جبالها الحصينة وازداد الاكسوميون بذلك بعداً عن اليمن .

٢ ـ البخور والطرق التجارية

كثير من الرحالة والمغامرين الغربيين شغلوا منذ اواخر القرن الماضي بالسعي إلى اكتشاف بلاد البخور ، ومحـــاولة الوصول إلى شبوه عاصمتها ذات الستين معبداً ، والبحث عن الطريق الرئيسي الواحد الذي كانت القوافـــل تسلكه وهي تحمل تلك البضاعة النفيسة .

ويعتبر بليني المسئول الأول عن انتشار تلك الأخبار والافكار التي اختلطت فيها الاوهام بالحقائق فقد تحدث في كتابه (التاريخ الطبيعي) عن كنوز بلاد العرب التي جعلتهـــا ـــ كما يقول ـ تدعى بالسعيدة ، والتي جعلت العرب اغنى شعوب العالم على الاطلاق . وقـــال انه : « لا توجد بلاد تنتج اللبان إلا بلاد العرب ، ولكن ليست كلها تنتجه ، وإنما بلاد الحضارم وهم جماعة من السبئيين، تقوم عاصمتهم شبوه (سباتا) فوق جبل عالي ، وعلى بعد ثمان مراحل منهـــا في اتجاه شمال الشرق تقع منطقة إنتاج اللبان المعروفه باسم سبأ (؟) وهي بقعة يصعب النفاذ إليها لأنها محاطة بالجبال من كل جانب، وتفصلها عن البحر الواقع عن يمينها منحدرات صخرية شاهقة ، وتبلغ مساحــــة تلك المنطقة مائة ميل طولاً في عرض خمسة من الاميال. وتنمو فيها الاشجار على منحدرات تلال عالية تميل في اتجاه السهول » .

« وإلى جوار الحضارمة المعينيون الذين يخترق بـــلادهم الممر الوحيد عبر

طريق واحد ضيق . وهم أول من مارس هذه التجارة ؟ ومـا زالوا يمارسونها اكثر من غـيرهم حتى أن البخور ليعرف بالمعيني نسبة إليهم بينما السبئيون هم وحدهم – من دون العرب الآخرين – الذين أتيح لهم أن يروا شجرة البخور . وتحتكر ذلك الحق ثلاثة آلاف اسرة مقدسة لها طقوس معينة تتبعها عند جني اللبان . وبسبب تلك الطقوس الدينية صارت اسعار تلك السلعة مرتفعة .

ويشكو بليني في كتابه من انه لم يستطع كاتب لاتيني واحـد من المعروفين لديه ، أن يصف لنا تلك الشجرة ، وان وصف اليونان لهـا جاء متضاربا . ثم يشير إلى غرس تلك الشجرة على عهد البطالمة في مصر وفي مناطق اسيوية أخرى . ويقول أن السفراء الذين وصلوا من بـلاد العرب إلى روما في زمانه ، جعلوا الأمر اكثر غموضاً مما مضى بما قالوه في وصف تلك الشجرة . ويمضي إلى القول بانه عندما كانت فرص تصريف تلك السلعة قليلة في الماضي فإن الحصاد كان يتم مرة واحدة في السنة . اما الآن ومع الاقبال الشديد عليها فإنه يتم مرتين في العام الواحد . ويقارن بين امانة العرب الموكلين بمحصول اللبان في بلادهم وبين الخوف الشديد من العمال في مخازن تلك البضاعة في الاسكندرية .

ويصف لنا بشيء من التفصيل مواسم جمع اللبان وطرق جمعه ودرجـات جودته واشكاله والوانه واسمائه المختلفة .

ويورد لنا قصة عن الاسكندر حين أحرق كمية كبيرة من البخور ، فعاتبه استاذه ليونيدس. وقال انه سيكون من حقه أن يفعل ذلك عندما يستولي على المناطق المنتجة له. ويضيف ان الاسكندر، بعد أن تم له اخضاع بلاد العرب(؟) ارسل إلى استاذه كمية ضخمة من اللبـان معلناً أنه اصبح بامكانه أن يقدم منه ما يشاء إلى الالهة بلا حدود .

وينتقل إلى وصف القوافل فيقول انه : بعد أن يجمع اللبان ينقل على ظهور الجمال إلى شبوه ، حيث يفتح فيها باب واحد لاستقباله . ويعتبر الانحراف عن

الطريق العام جريمة كبرى . وهناك يأخذ الكهان قسطاً منه يساوي العشر ، بالتقدير وليس بالميزان ، باسم الههم الذي يدعونـــه سابس (؟) وانه لا يجوز التصرف في اللبان قبل أن يتم ذلك الاجراء ، ومن ذلك العشر تواجه المصاريف العامة ، إذ أن الالهة تقوم بواجبات الضيافة تجاه الاغراب الذين يأتون إلى هناك من مسافة ايام .

« ثم يصدر البخور عن طريق بلاد القتبانيين (جيبا نيتي) ويقتضي ذلك دفع ضريبة أخرى لملكهم . وتستغرق الرحلة من تمنع (تومنا) عاصمتهم ، إلى غزة ٦٥ يوماً بالجمال. وتدفع كميات من اللبان إلى الكهان ، وإلى الملك واعوانه، وكذلك إلى الذين يقومون بخزنه وحراسته ، وإلى حراس البوابة (مدخل المدينة) وموظفين آخرين . وعلى طول الطريق يستمر الدفع : فهناك اماكن يبتاع فيها الماء ، وأخرى يشترى فيها العلف ، كما أن هنـــاك تكاليف الاقامة بالمحطات وضرائب أخرى متنوعة . ونتيجة لكل ذلك تبلغ تكاليف الجمل الواحد ، عند وصوله إلى شواطىء بحرنا ، ٦٨٨ ديناري . وحتى هنا فإن جباة امبراطوريتنا يأخذون عليه المكوس » .

ويخصص بعد ذلك فصلاً آخر يتساءل فيه لماذا سميت بلاد العرب بالسعيدة ويجيب في سخرية ومرارة : « انهـا لا تستحق ذلك الاسم الذي قد يتبادر إلى الذهن انه اضفي عليها من الالهـــة العلوية ، بينما هي مدينة بذلك في الحقيقة ، إلى الالهـة السفلية ، إذ أن اسراف الانسان حتى في مناسبات الموت هو الذي جعل بلاد العرب سعيدة — ذلك الاسراف الذي يجعله يحرق مع الميت ما كان يقصد به اصلاً أن يكون في خدمة الالهة. والعارفون يقولون أن تلك البلاد ما كانت لتستطيع أن تنتج في سنة كاملة ما يساوي الكمية التي احرقها الامبراطور نيرو من العطور في مراسيم جنازة زوجته بوبيا » . (٢٣٧) وعلى الرغم من أن بليني اعتمد في كتابه على مصادر تعود إلى عهود مختلفة يرجع بعضها إلى زمان سابق لعمره إلا اننا نستطيع أن نخرج بالانطباعات العامة التالية :

(١) ان تجارة البخور كانت ترتبط في أذهان سكان العالم القديم ، في حوض البحر الابيض المتوسط ، بالعرب لانهم – فيا يبدو – كانوا وحدهم الذين يحملون اصنافه إلى شواطىء ذلك البحر . وهذا قد يفسر سكوت بليني عن لبان البر الصومالي الذي يذكره البريبلوس .

(٢) أن اهمية تلك التجارة وعلاقتها بازدهار حياة العرب جعلتهم يسنون القوانين الكفيلة بحمايتها من العبث والتخريب بل والتهريب . وانهم اعتمدوا ايضاً على المعتقدات الدينية لضمان تلك الحماية حيثما كان تطبيق القانون مستحيلاً .

(٣) ان العرب كانوا حريصين على أن يكتموا اسرار تلك التجارة المربحة التي كانوا يحتكرونها . وانهم إذا احرجوا بالسؤال عنها تعمدوا الغموض والابهام في اجاباتهم ، ولعلهم ايضاً تعمدوا أن يحيطوها بالاساطير على سبيل الدعاية .

(٤) أن الاقبال على تلك السلعة حتى وقت بليني بالذات كان كبيراً لارتباطها الوثيق بالطقوس الوثنية في معابد الامبراطورية الرومانية القديمة .

(٥) ان ابناء الامبراطورية الرومانية اصبحوا – ايام بليني – يتألمون لاضطرارهم إلى دفع المبالغ الطائلة للحصول على تلك البضاعة وغيرها من السلع الشرقية التي تتحدث عنها الكتب الكلاسيكية والتي يزعم بليني انها تكلف خزانة الامبراطورية مائة مليون من الدنانير سنويا .

اما فكرة الطريق الواحد فهي وهم وقع فيه قراء بليني لأن الممر الوحيد الذي يخترق أرض المعينيين عبر طريق واحد قد يعني مجرد تحكم المعينيين في القوافل ولا يعني بالضرورة أن هذه الطريق مستمرة من مناطق انتاج اللبان إلى آخر الرحلة خاصة وان هذه الاشارة جاءت منفصلة عن وصفه المنفصل لسير القوافل . كذلك وصول القوافل إلى شبوه ودخولها عن طريق باب واحد يفتح خصيصاً لاستقبالها واعتبار الانحراف عن الطريق العام جريمة كبرى قد تعني

وجود طريق واحد رسمي من قنا (التي لم يشر إليها بليني) إلى شبوه داخـــل نفس المملكة ، وليس اكثر من ذلك .

شبوه

ونفهم من بليني أن شبوه لعبت دوراً هاماً في تجارة البخور كما نفهم مــن البريبلوس صراحة انها كانت عاصمة أرض اللبـان ومقر ملكها ، وهي حقيقة اثبتتها النقوش المعروفة. ومع ذلك فإن بوين ، وهو يتحدث عن الطرق التجارية القديمة ، يرى انه من الصعب أن يتصورهـــا الانسان عاصمة لوقوعها في منطقة قاحـــلة ، ولانها ليست باكبر من مجرد بئر في الصحراء على حد قوله وانه حتى اهميتها كبئر أمر مشكوك فيه لأنه سرعان ما تصبح مياهها مالحــة في اوقات الجفاف . ويقول انه لا دليل هناك على وجود زراعة واسعة فيما حولهـــا في الماضي ، وليس هناك اثر لاقامة بشرية فيما بينها وبين وادي حضرموت[٢٣٨] .

ومثل هذا القول قد جاء على لسان جام في كتابه(نصوص العقلة) وتعرضنا لمناقشته في كتابنا آثار ونقوش العقلة وأوضحنا أن هناك مــا يدل دلالة قاطعة على انتشار الآبار في الارض المحيطة بها بما في ذلك منطقة العقلة ذاتهـــا[٢٣٩] . ولا غرابة فان شبوه تقع على وادي المشار الذي هو امتداد لوادي العطف الذي هو بدوره امتداد لوادي عرمة . وقلنا أن شبوه لم تكن معزولة عـن اودية حضرموت فإن سلسلة من الطرق المختصرة عبر سلسلة من الاودية تربطهـــا من اقصر الطرق بمنـــاطق العمران من وادي حضرموت مباشرة دون الحاجة إلى الذهـــاب بطريق الصحراء إلى قعوضة البعيدة التي اعتبرها بوين نهاية العمران لوادي حضرموت. ونريد ان نؤكد هنا ، بعد رحلات عديدة في تلك الاصقاع، أن قعوضة ليست نهاية العمران في ذلـك الوادي . فهناك منطقة الخشمة ذات المياه الوافرة والقريبة من السطح والتي تمتد بين قعوضة وبين اسفل وادي رخيه. بل أن هناك منطقة فيما يليها تسمى النقعة (يدل اسمها على الرطوبة) تمتد اسفل

وادي دهر الذي يلي وادي رخيه من ناحية الغرب . ثم أن هناك سلسلة من الآبار القديمة لا تزال اثارها باقية وبعضها لا تزال القبائل الرحل ترتادها ، تمتد فيما بين شبوه وعساكر لمن اراد التوجه من شبوه إلى الشمال بدلاً من الشرق. وهكذا يثبت لنا أن شبوه وان كان موضعها يبدو ، من النظرة الاولى ، شاذاً لم تكن مجرد بئر معزولة في الصحراء .

تحديد مناطق اللبان والمر العربية

لا يختلف اثنان على أن ظفار هي منطقة انتاج اللبان الرئيسية ولكن لا يستطيع أحد ان يثبت ان اشجار اللبان لم توجد خارج ظفار في المناطق اليمنية الأخرى . ولدينا ، كما رأينا ، إشارة قديمة إلى تواجد اللبان في وادي حجر (م ٩٤٨) . بل أن انواعاً من اشجار اللبان لا تزال تنتشر في تلال حضرموت ومنها ذلك الذي يسمى حالياً « لبان بدوي » والذي تفد ، حتى وقتنا هذا ، افواج من البر الصومالي لفصده وجمعه في مواسم معينة . زد على ذلك ان كاتب هذه الاسطر شهد بنفسه تجربة استنبات اشجار اللبان في المزارع المروية وكانت ناجحة .

اما المر فإن بليني يتحدث عن نموه في مناطق عديدة مختلفة ويؤكد امكان استنباته في المزارع قائلاً أن المر المستنبت افضل من ذلك الذي ينمو في الغابات (٢٤٠) ، ويحدثنا عن اصناف عديدة منه تسمى باسماء المناطق والممالك المنتجة له. ولقد شاهد كاتب هذه السطور اشجار المر الطبيعية في بعض الشعاب والاودية القريبة من شبوه . ويرى فون فيسمن ـ اعتماداً على بليني ـ أن المر ربما كان من محصولات بلاد الاشاعر في تهامة قريباً من باب المندب(٢٤١) ، مما يذكرنا باشارة البريبلوس إلى تصدير المر دون اللبان من المخا (٢٤٢) .

طرق القوافل البرية

يحتمل أن الطرق البرية القديمة لنقل اللبان من ظفار إلى حضرموت كانت

تمر باطراف الربع الخالي الجنوبية أو من خلال بلاد المهرة فوادي المسيلة بداية وادي حضرموت من ذلك الطرف . على انه من المؤكد أن اللبان كان ينقل بالبحر من ظفار إلى قنا ومن هناك بالجمال إلى شبوه .

ويرى بوين (٢٤٣) من دراسة الخرائط أن هناك عدة طرق يمكن أن تكون القوافل قد استخدمتها في اوقات مختلفة .

(أ) فالقوافل تستطيع ان تذهب من بير علي (قنا) إلى مارب عبر شبوه، فتتجنب بذلك بيحان (قتبان) . كما تستطيع ان تذهب رأساً إلى الجوف ، فتتجنب المرور بمارب وتتجنب في نفس الوقت المرور ببيحان ، وذلك لوجود ممر مطروق خلال رملة السبعين بالقرب من شبوه . وهذان الطريقان من شبوه إلى مارب ومن شبوه إلى الجوف لا يزالان يستعملان إلى اليوم. وتستطيع القوافل ان تذهب أيضاً من بير علي إلى نجران عبر شبوه والمشينقة حيث توجد البئر التي عثر عندها فلبي على رموز مائية قديمة (٢٤٤) .

(ب) أما فيما يتعلق بالطريق من بير علي إلى بيحان (دون المرور بشبوه) فيعدد بوين عدة احتمالات يقدم لها بوصف شيق ودقيق لطبيعة المنطقة ومعالمها الجغرافية البارزة : واحد هذه الطرق هو الذي يأتي من بير علي ، صعوداً بوادي ميفعة ، نزولاً بوادي جردان ، ومنه إلى اطراف بيحان السفلى حيث يوجد واد يختط طريقاً في رملة السبعتين ، فإلى تمنع القديمة . وآخر هو الذي يأتي من بير علي (مائلا إلى الجنوب اكثر من السابق ومحاذياً اطراف الجبال) ماراً بفرع جنوبي لوادي ميفعة ، عبر حبان ، ومنه إلى السهول خلال وادي مرخة فإلى تمنع . وتعتبر هذه الطريق واحدة من اكثر الطرق استقامة واقصرها بين الموضعين (قنا — تمنع) ولعلها أسهل الطرق للقوافل القادمة من النواحي الشرقية . وهي وان كانت تمر في الوقت الحاضر ببعض الرمال التي تصل إلى حافة الجبال شرقي تمنع مباشرة . إلا أنه من المحتمل جداً أن الرمال لم تكن لتصل إلى هذا الحد في الماضي . ومن تمنع تستطيع القوافل أن تذهب ، على

اطراف الجبل ، إلى نجد مرقد ، ومنها إلى مارب . ويحتمل ان هـذه الطريق تتجنب المرور بعقبة مبلقه ، لأن ذلك يؤدي إلى زيادة في طول الرحلة . كما يلاحظ ان هذه الطريق يمكن ان تتجنب كلا من نجد مرقد وحريب إذا شاءت وان تذهب إلى مارب رأساً ، مما يحتم على السلطات في العهود القديمة ان تحرس تلك البقاع بالدوريات إذا ارادت من القوافل ان تمر بنقطة معينة كنجد مرقد مثلا . وهناك احتمال آخر لوجود طريق من قنا إلى نصاب عبر مرخه فام عادية فمارب الخ .

(ج) ولما ان عدن من الموانىء القديمة كما نعرف من الكتابات الكلاسيكية فإن بوين يرى ان الطريق الحالية من عدن إلى مارب هي نفس الطريق التي سلكتها القوافل في الماضي . ويصف تلك الطريق بانها تتجه من عدن إلى لودر (شمال شرق) فالبيضا (التي تقع على بعد أميال منها خرائب ام عاديةالقديمة) . وبعد اجتياز البيضا يميل الطريق إلى وادي بيحان . واقصر الطرق التي تقصد مارب يمر بعقبة مبلقه غرب هجر بن حميد نزولاً بوادي حريب ، ثم على اطراف رملة السبعتين إلى مارب . وبهذا – كما يقول – لا تفارق القوافل الطرق المحروسة حتى حريب . وينبغي ان نلاحظ انه لم يكن من الضروري للقوافل ان تذهب إلى تمنع العاصمة القتبانية (هجر كحلان الحديثة) حتى في حالة مرور القوافل بأسفل وادي بيحان . ويعتقد ان وجود خرائب ام عادية على مسافة قريبة من ذلك الطريق عبر الجبال يزكي احتمال استخدامها في العهود القديمة .

أما الطريق الشمالي بعد نجران فلا يستبعد ان يكون طريقاً واحداً . ولكن هذه الطريق نفسها وما كان يقوم عليها من محطات تحتاج إلى دراسة لم تتوفر أسبابها بعد . وهي طريق مهمة في فهم التاريخ العربي القديم عامة إذ بواسطتها تم ارتباط اليمن ببقية انحاء الجزيرة العربية .

وأخيراً فإنه بانتشار المسيحية في حوض البحر الابيض ونقص الاقبال على البخور وانتقال مركز الثقل في اليمن نحو المرتفعات الغربية ، منذ القرن الرابع

الميلادي ، أخذت الحواضر الشرقية القديمة بما فيها مارب في الاندثار ، وانتقل الطريق الرئيسي إلى الشمال من أطراف الصحراء (شبوه - تمنع - مارب - معين) إلى تلك المرتفعات ذات الزراعة المطرية [٢٤٥] .

الملاحة والتجارة البحرية

المصريون هم ، فيما نعلم ، أول من شق عباب البحر الأحمر طلباً للبان والمر وسلع أخرى لعلها افريقية . وتعود أقدم تلك الرحلات إلى وقت لا يتأخر عن منتصف الالف الثالث قبل الميلاد . وفي منتصف الالف الثاني أرسلت الملكة حتشبسوت بعثتها الشهيرة إلى بـــلاد بونت وهي البعثة التي خلدتها نقوش دير البحري .

وفي الالف الأول بعـــد اندثار القوة البحرية المصرية في البحر الاحمر يظهر الفينيقيون ورثة طبيعيين لهم [٢٤٦] . ورغم غياب الادلة المباشرة على قيام أي نشاط بحري لليمنيين حتى ذلك الوقت إلا أن القرائن الأخرى تشير إليه. ففي القرن السادس قبل الميلاد كانت كل من عدن وقنا معروفتين لدى سكان المناطق الشمالية المحيطة بالبحر الابيض المتوسط [٢٤٧] . ومنذ ذلك الوقت أو قبله كانت الهجرات اليمنية قد بدأت تنطلق نحو افريقيا الشرقية حيث استوطن بعضهم في هضاب ارتريا وانتشر آخرون منهم تحت الراية الاوسانية في الاجزاء الجنوبية.

ومع ذلك فإنه يمكن القول بان الرحلات البحرية التي تمت حتى ذلك الوقت كانت تغلب عليها صفة الاستطلاع ، وتحف بهـــا مخاطر جمة ، ولم تصبح بديلاً للتجارة البرية التي احكم اليمنيون قبضتهم عليها. وكانت محاولات الابحار القديمة في البحر الاحمر تهدف ، فيما يبدو ، إلى اختصار الطريق البري بـــين مصر وبعض اجزاء افريقيا الشرقية لاستجلاب بضائعها المرغوبة . ومن هنـــا جاءت مشاريع ربط النيل بالبحر الاحمر . أما السلع العربية والشرقية فقد كانت تأتي بحراً إلى ميناءي قنا وعدن ، ثم تحمل على الجمال براً إلى سواحل فلسطين . ومن

ثم فإن أي نشاط بحري لليمنيين في ذلك الوقت لا بد وانه كان محصوراً — بالضرورة — في الاجزاء الجنوبية من البحر الاحمر وفي البحر العربي والخليج العربي لجلب البضائع الافريقية والشرقية إلى موانئهم الجنوبية ثم نقلها على قوافلهم إلى الشمال . وهكذا فلم تؤثر محاولات استخدام البحر الاحمر من قبل الشعوب الأخرى على تلك التجارة ومن بينها محاولة داريوس (٥٨٥-٤٢١ق.م) إعادة شق القناة التي تربط النيل بالبحر الاحمر ابان احتلال الفرس لمصر.

وعندما اخذت جحافل جيش الاسكندر المقدوني (+ ٣٢٣ ق.م) تكتسح ارجاء العالم القديم اقتصرت اعمال ذلك الفاتح العظيم فيما يخص الشواطىء العربية — على ارسال البعثات الاستكشافية . ولم يطل به العمر لأن يفعل اكثر من ذلك .

ولما استقر خلفاء الاسكندر في ما استقطعوه من اشلاء امبراطوريته ، السلوقيون في بلاد ما بين النهرين والبطالمة في مصر ، دفعت المنافسة الفريقين إلى الاهتمام بالتجارة البحرية كل ما جاوره من بحار تحيط بالبلاد العربية، السلوقيون في الخليج والبطالمة في البحر الاحمر . ومع ذلك فاننا نجد اجاثر خيدس يقول (القرن الثالث ق.م) انه لا يوجد شعب يضارع السبئيين والجرهائيين في غنائم فهم وكلاء كل ما يدخل تحت صفة النقل التجاري بين آسيا والغرب [٢٤٨] . وإلى ذلك الوقت يعود نقش الجيزة (ف ٣٤٢٧) الذي وجد على ناؤس تاجر معيني كان يعيش في مصر . وفي القرن الثاني قبل الميلاد ، الذي ازداد خلاله اهتمام البطالمة بالبحر الاحمر وازدادت معرفتهم بحركة الرياح الموسمية [٢٤٩] ، نلمس من نقش جزيرة ديلوس (ف ٣٥٧٠) أن اليمنيين أفراداً وجاليات ما زالوا يتغلغلون في انحاء العالم القديم حتى جزر البحر الابيض المتوسط . ثم لم تلبث الاضطرابات والحروب الاهلية الرومانية في اواخر عهد البطالمة أن أثرت على التجارة عامة. ولم تستقر الاحوال إلا على زمن الامبراطور اغسطس (٣١ق.م / ٤١م)، واستعادت التجارة انتعاشها في اواخر القرن الأول قبل الميلاد ، وهو

الوقت الذي حدثت فيه محاولة الغزو الرومـانية لليمن وفشلت . واستمر ذلك الانتعاش طيلة القرن الاول للميلاد، وامتد حتى القرن الثاني . وكان الرومان قد سيطروا على مصر والشام واخضعوا بـلاد الانباط ، وازلوا اسطولاً في البحر الاحمر لمطـاردة القراصنة (٢٥٠) . وأدى كل ذلك إلى زيادة نشاط التجـــار الاغريقيين وزادت معارفهم بشؤون الابحار في المحيط الهندي . وفي ذلك الوقت كانت المخا تعمل كميناء يمني في البحر الاحمر إلى جانب اوكيلس (بريم ؟) وعدن وقنا كما يذكر بطليموس القلوذي . ولكن اليمن كانت وقتها تعاني ويلات صراع داخلي طويل اتاح للاحباش أن يثبتوا اقدامهم في سواحل عسير والحجاز وأن يحاولوا التغلغل في اليمن .

وتعود اكثر معارفنا تفصيلاً ودقة عـــن التجارة في الموانيء البحرية لليمن ونشاط البحارة اليمنيين إلى البريبلوس (القرن الثالث للميلاد) .

المخا : فهو يحدثنا عن التجارة في ميناء مخا (موزا) على البحر الاحمر التابع لملك سبأ وذي ريدان (الفقرات ٢١ — ٢٤) ويقول « أن المكان كله يعـــج باصحاب السفن العرب والبحارة و [التجار] الذين لهم صلات تجارية مع ساحل الجانب القصي (الصومـــال) وباريجازا (في الهند) ويبعثون إليها بسفنهم » . ويعدد البضائع التي ترد إلى ذلك الميناء والتي تصدر منه . ومن بين صادرات مخا — كما نفهم — المر . وكانت بريم وقتذاك مكاناً للتزود بالمياه (؟) اما عدن فيذكر الكتاب انها توقفت عن العمل بعد أن خربها كرب إل .

قنا : بعد عدن نأتي إلى ميناء قنا (الفقرة ٢٧) التابع لالعز (اليازورس) ملك بلاد اللبان (حضرموت) الذي يقيم في شبوه . وإلى قنا يرد اللبان بحراً من اماكن انتاجه . ومنهـــا يحمل براً إلى شبوه لخزنه . وتعدد الفقرة (٢٨) البضائع التي ترد من مصر إلى ذلك الميناء ومن بينها القمح والنبيذ والمــلابس والنحاس والقصدير وغيرهـــا مما يرد إلى مخا ايضاً . اما الصادرات فاهمهـــا اللبان ، الصبر .

سقطره : وتحدثنا الفقرتان (٣٠ و ٣١) عن جزيرة سقطره «وهي جزيرة كبيرة جـــدا ولكنها صحراوية وسخة وذات مستنقعات وبها نهر فيه تماسيح وافاعي كثيرة وسحليات عظيمة يؤكل لحمها ويذوب شحمها لكي يستعمل عوضاً عن زيت الزيتون . ولا تغل الجزيرة فواكه أو حبوب . وسكانهـــا قليلون ، يقيمون على الساحل الشمالي الذي يواجــه البر الرئيسي ، وهم خليط من العرب والهنود والاغاريق الذين هاجروا إليها لمزاولة التجارة ». ثم يسترسل في وصف السلاحف البحرية والبرية الموجودة هناك والتي تصدر تروسها إلى الخـــارج . ويقول أن الجزيرة خاضعة لملك بلاد اللبان وأن تجاراً من المخــا ايضاً يؤمونها . وبها تمر السفن الهندية جالبة الارز والقمح والاقمشة وعددا صغيراً من الجواري . وان اصحابها يبادلون كل ذلك بكميات كبيرة من تروس السلاحف .

موشا : اما الفقرة (٣٢) فتذكر ميناء اسمـــه موشا على خليج عمان بعد رأس فرتك اقيم خصيصاً لتلقي اللبان المعروف بالساحلي . وإليه ترد بانتظام السفن القادمة من قنا ، وكذلك السفن العائدة من الهند . والاخيرة تقضي الشتاء في ذلك الميناء إذا جاء قدمها متأخراً ويبادل اصحابها مـــع ممثلي الملك هناك اقمشتهم وقمحهم باللبان .

وفي خلال القرن الثالث تعرض اقتصاد الامبراطورية الرومانية لهزة عنيفة أدت إلى زوال الانتعاش التجاري الذي دام مـــا يقرب من قرنين . وتلت ذلك المواجهة الساسانية البيزنطية في القرن الرابع . وفي نفس الوقت ايضاً قـــامت مملكة سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت . ولكن معرفتنا عـــن التجارة في تلك الفترة قليلة وناقصة .

تحدثنا حتى الآن عن التجارة البحرية والبرية مـــع شواطىء البحر الابيض المتوسط ويجدر بنا أن نشير إلى ان التجـــارة اليمنية تطلعت شرقاً ايضاً إلى الخليج العربي والهند . وهذا طبيعي لأن جانباً كبيراً من تجارة الموانىء اليمنية والاراضي التابعة لها في قارة افريقيا وجزيرة سقطره كانت تعتمد على الوساطة

بين الهند (ومن خلالها الشرق الاقصى) وبين البحر الابيض المتوسط . فإلى هذه المناطق العربية ترد السفن حاملة بضائع الهند وإليها تأتي سفن أخرى لتحمل البضائع العربية والهندية إلى حوض البحر الابيض المتوسط عن طريق الموانيء المصرية . ونجد في البريبلوس الاشارات التالية بالإضافة إلى ما ذكرناه من قبل :

فقرة (٣٣) تتحدث عن الجزر التي يدعوها زنوبيان (لعلها كوريا موريا) وسيرابيس (لعلها مصيره) وإليهما تذهب السفن الشراعية الصغيرة وسفن البضائع القادمة من قنا بانتظام .

فقرة (٣٦) تتحدث عن وصول اللبان من قنا إلى اومانا (عمان) وعن اللؤلؤ الذي يذهب من هناك إلى بلاد العرب (اليمن) .

فقرة (٣٩) تذكر اللبان من بين واردات باريازيكم وهي ميناء على مصب نهر الاندس في الهند .

هذا مجمل ما يمكننا قوله عن طريق التجارة القديمة بحراً وبراً بين اجزاء اليمن المختلفة والبلدان الشرقية (الهند وفارس) وشواطيء البحر الابيض المتوسط . وليست هذه إلا محاولة متواضعة لجمع المعلومات المتناثرة عن هذه التجارة التي كانت عماد ازدهار اليمن القديم . فالقضية لا تزال بحاجة إلى دراسات ادق واوسع وحفريات في المناطق المختلفة التي كانت تنتشر فيها حضارة اليمن القديمة أو تتصل بها وهو ما أشرنا إليه مراراً في هذا الكتاب .

والحديث عن تجارة اليمن يقتضي كما لاحظنا الحديث عن المؤثرات الخارجية عليها من جراء التغييرات التي تطرأ بين حين وآخر في بلدان البحر الابيض المتوسط ، وخاصة مصر ، والصراع بين الامبراطوريتين الكبيرتين الفارسية والرومانية .

ولكن محاولة دراسة تلك المؤثرات رهن بربط دقيق بين كرونولوجيا تلك الامبراطوريات وكرونولوجيا الممالك اليمنية ، وهو ما لم يتحقق بعد .

٣ ـ طرق الري القديمة

يكاد يكون من المسلم به أن حضارة اليمن اعتمدت في ازدهارها على استغلال قدماء اليمنيين لميزات بلادهم الجغرافية . وأهم تلك الميزات أن سواحل اليمن تطل من الغرب على البحر الاحمر ومن الجنوب على البحر العربي الذي هو جزء من المحيط الهندي . فقد اتاح لها ذلك الوضع أن تقوم بالوساطة التجارية بين الهند والشرق الاقصى وحوض البحر الابيض المتوسط . وكان من اسباب ذلك الازدهار ايضاً الاقبال الكبير على مواد البخور وأهمها اللبان الذي تنتج اليمن أجود انواعه ، والمر الذي كان يدخل في صناعات حيوية ، لعل أهمها صناعة تحنيط الموتى في مصر القديمة . وبالرغم من أن تأليف الجمل واستخدامه في القوافل التجارية تم حوالي اواخر القرن الحادي عشر إلا أن تجارة البخور وغيرها من المواد التي تنتجها بلاد اليمن ترجع إلى أبعد من ذلك كثيراً كما تشهد الآثار المصرية القديمة . والبلد الآخر الوحيد الذي كان ينتج اللبان والمر هو الساحل الصومالي ولكن لم تكن لذلك الساحل حضارة مستقلة بل ان جزءاً منه على الاقل كان في وقت من الاوقات تابعاً لليمن (راجع البريبلوس) .

نتيجة لتلك التجارة الرائجة ازدهرت الحياة في اليمن القديمة . وانصرف الناس منذ عهود بعيدة إلى الاهتمام بتعمير الارض واستصلاحها «فالزراعة كانت

هي العمود الفقري للحياتين الاقتصادية والسياسية للدولة) [٢٥١] . والمعروف أن الكثير من مناطق اليمن في الشرق(ظفار) وفي الغرب (جبال اليمن العالية) تهبط عليها الامطار الموسمية بانتظام وغزارة . وفي كل انحاء اليمن تنتشر الاودية التي تجري المياه في بعضها طوال السنة

ولا تزال اثار اعمال الري الواسعة القديمة منتشرة في بطون الاودية التي احتفظت باسمائها القديمة الواردة في النقوش مثل اودية مسارب وبيحان ومرخه وجردان وميفعة ورخيه ووادي حضرموت الكبير على سبيل المثال . وكانت اول محاولة لدراسة طرق الري القديمة تلك التي قامت بها الميورجاردنر [٢٥٢] عام ١٩٣٧ في وادي عمد الذي تقع فيه قرية مذاب القديمة(حريضة) ومعبدها المقام لاله القمر . كما تحدث فلبي في كتابه (نبات سبأ) عن حواجز المياه التي شاهدها في الاودية وقال عنها أنها بقايا سدود قديمة .

وأول ما ينبغي أن نلاحظه هو أن الزراعة في الاودية اعتمدت ولا تزال تعتمد اساساً على السيول وهي المياه المتجمعة عقب هطول الامطار في المرتفعات والتي تنزل متدفقة في بطون الاودية التي يتجه بعضها نحو البحر ويتجه البعض الآخر نحو الصحراء . ولا يستطيع أحد ان يتنبأ بكميات المياه التي يأتي بها السيل ولا مواعيد حدوثه حتى في الاماكن التي تكون فيها الامطار منتظمة ، وإنما يختلف ذلك من موسم إلى آخر وفقاً لاختلاف غزارة الامطار . لهذا فإن نظام الري التقليدي القديم لم يكن يهدف إلى خزن مياه السيول وإنما كان يهدف إلى توزيعها بأسرع ما يمكن و الاستفادة منها إلى اقصى مدى ممكن . وهكذا فإن الحواجز التي نرى بقاياها منتشرة في الاودية إنما تعمل على رفع مستوى مياه السيل لكي تصل إلى الاراضي الزراعية المحيطة بمجرى الوادي . وتكون تلك الحواجز من القوة بحيث تحول مجرى السيول العادية إلى القنوات الجانبية . ولها مصارف يفيض منها الماء إذا كان حجم السيل اكبر من المعتاد فتخفف على الحاجز ضغط اندفاع السيل الكبير . ولكن تلك الحواجز ، التي يتكون جسمها

من التراب ، كانت كثيراً مـا تتعرض للهدم بفعل السيول الكبيرة الاستثنائية فيعاد بناؤها من جديد. ومع أن تلك الحواجز كما أسلفنا لم تكن تعمل على حجز الماء وحفظه وإنما تقوم بتوزيعه على التو فإن كميات الغرين التي يحملها السيل معه من الاعالي تتجمع خلف الحاجز على مر السنين حتى يرتفع مستوى مجرى الوادي خلف ذلك الحاجز ويصبح في مستوى الارض الزراعية على جانبيه . وفي هذه الحال يضطر الناس إلى إقامـــة حاجز جديد في مكان آخر كما حدث في اودية كثيرة [٢٥٣] ، على أن هـذا لا يحدث إلا في فترات متباعدة . وهناك قنوات رئيسية تحول المياه من وراء تلك الحواجز وتحملها إلى الأراضي الزراعيـــة ثم تتولى توزيعهـــا على الحقول شبكة من الجداول المتداخلة في الأرض الزراعية . وتظل كل تلك المجـاري مفتوحة على الدوام . وبهذه الطريقة فإن السيل الذي يأتي فجأة في الليل أو في النهار تتوزع مياهه تلقائياً على المزارع . ومن هـــذه الوجهة يمكن أن نشبه طريقة ري السيول بطريقة ري الحياض التي تقوم على فيضانات الانهار .

هذه اجمالاً هي الصورة التي توصل اليهـــا بوين في دراسته لاشكال الري في بيحان قديماً [٢٥٤] وهو يعتقد أن تلك الطريقة تتسبب في تسرب الكثير من الماء إلى باطن الارض فيرتفع منسوب المياه الجوفية في الوادي ويسهل بذلك الحصول على الماء بواسطة حفر الآبار في ذلك المكان . ولهـذا نجد إلى جانب الري بماء السيول الري عن طريق الآبار . كما توجد العيون ببعض الامـاكن وتستخدم في الري ايضاً .

سد مارب :

ولا شك أن أهم اعمال الري القديمة في اليمن هو (العرم) سد مارب الشهير الذي وصفه الدكتور احمد فخري بانه « اشهر آثار اليمن وأعظم عمل هندسي في الجزيرة العربية كلها » [٢٥٥].

وقد وردت في القرآن الكريم اشارة إلى الرخاء الذي تسبب فيه العرم في قوله تعالى : « لقد كان لسبأ في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال . كلوا مما رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . » (٢٥٦) .

ويقوم سد مارب المظيم في وادي ذنه الذي تقع مدينة مارب على الضفة الشمالية منه . وقريباً من مارب يقع الجبل المسمى بجبل بلق . وفيه يشق وادي ذنه ممراً ضيقاً وعميقاً مقسماً ذلك الجبل إلى قسمين يعرفان ببلق الايمن وبلق الايسر . وامام ذلك الممر الصخري الضيق (المعروف الآن بالضيقة) أقام السبئيون في عهود المكربين جداراً سميكاً من التراب طوله حوالي ١٨٠٠ قدم وغطوه بالصخور الكبيرة من الجانب المواجه للسيل . وجعلوا في كل طرف من ذلك الجدار (السد) فتحة للتصريف تسمى الصدف (الصدف الايمن والصدف الايسر) وبذلك تمكنوا من حجز مياه السيول التي تأتي بعد هطول الأمطار الموسمية في المرتفعات ، ورفعوا مستواها لتصل إلى الاراضي الزراعية الواقعة على جانبي بطن الوادي المنخفض . كما استطاعوا أن يضمنوا الاحتفاظ بكميات من المياه للري في الفترة بين موسم وآخر .

وواضح من طبيعة مجرى الوادي كما يشاهد اليوم بعد زوال السد انه بعد خروجه من بين البلقين عبارة عن مجرى محدد منخفض يقسم الارض الزراعية من حوله إلى قسمين مرتفعين . وهذا يثبت أن الهدف من بناء السد كان رفع مستوى المياه لتصل إلى مستوى اعلى يمكنها من النزول إلى الاراضي الزراعية المرتفعة على الجانبين .

ولا بد أن مشاكل كثيرة قد واجهت السبئيين بعد قيام السد منها تجمع الطمي في الحوض القائم خلفه ، تماماً كما حدث ويحدث إلى اليوم في السدود الصغيرة . ولا بد أن ذلك قد أدى إلى ارتفاع مستمر لقاع الحوض ومن ثم تناقص مستمر ايضاً في كمية المياه المتجمعة فيه وفيضان كميات اكثر من فوق جدار

السد . ويؤكد حدوث ذلك عمليات التعلية الظاهرة فقد بلغ إرتفاع السد في المراحل الأخيرة إلى ١٤ متراً فوق سطح الوادي .

ويبدو من الترميات التي تتحدث عنها النقوش أن السد تعرض في بعض الفترات إلى تهدم جداره الرئيسي ربما بفعل سيول كبيرة اكثر من المعتاد . ويبدو أن الترميات المتكررة أصبحت نقاط ضعف في ذلك الجدار الضخم جعلت أمر صيانته بمضي الوقت عملاً صعباً، حتى انه تهدم في عهد شرحبيل يعفر مرتين في فترات متقاربة (٥٤٠ م) ثم لم يلبث أن تهدم مرة أخرى في عهد الحاكم الحبشي ابرهه (٥٤١ م) .

٤ ــ المسند

حاول بعض العلماء ان يربطوا بين لفظ مسند وشكل الكتابة . فهذا هو اسرائيل ولفنستون [٢٥٧] يقرر أن « لحضارة جنوب بلاد العرب عقلية تنحو نحو الاعمدة في عمارة القصور والمعابد والاسوار والسدود وابواب المدن . ومن أجل ذلك يوجد عندهم ميل شديد لايجساد حروف على هيئة الاعمدة ، أي أن الحروف كلها(؟) عبارة عن خطوط تستند إلى اعمدة . وقد تنبه علماء المسلمين إلى شكل هذه الكتابات واطلقوا عليها لفظ المسند لأن حروفها ترسم على هيئة خطوط مستندة إلى أعمدة ». وهذا تخريج لا داعي له ، ولسنا بحاجة إلى القول بان « لفظ المسند » أقدم عهداً من الاسلام وعلماء المسلمين الذين لم يكونوا بحاجة إلى التخريج والتعليل فقد عرفوا الاسم من أهل اليمن ومن النقوش بل ونستطيع أن نقول ان الاسم كان شائعاً عند العرب حتى في الشمال، قبل الاسلام .

وتتكون ابجدية المسند من ٢٩ رمزاً للحروف تمثل اصوات الحروف العربية الحديثة بزيادة صوت واحد ينطق من مخرج قريب من السين، بين السين والشين على ما يبدو ، ونعتقد ان آثاره باقية في المهرية حيث يتكرر في الفاظها صوت غريب يذكرنا في نفس الوقت بالصوت الذي يرمز إليه بحرفي LL في لغة ويلز السلتية . ومن الكلمات المهرية التي نجد فيها هذا الحرف كلمة «شخوف» حيث تنطق الشين من مخرج بين السين والشين(وتشبه الثاء ؟) . وتعني كلمة «شخوف» « اللبن » ، ويقابلها في بعض لهجات البادية في حضرموت كلمة (شخب) التي

تعني اللبن ايضاً ونجد في المعاجم اللغوية : (وشخب بمعنى لبن ويقال انها حميرية). وفي كلمة « مسند » تكتب السين عادة برمز هذا الحرف الذي لا نعرف اسمه ، كما تقلب احياناً « ثاء » فتصير الكلمة « مثند » . وهذا يعود إلى تداخل بعض الاصوات عند الكتابة وخاصة في الكتابات الحضرمية القديمة كما أن فيه تلميح إلى الشبه بين ذلك الحرف وحرف (الثاء) ايضاً .

ويلاحظ أن نقوش المسند التي وصلت إلينا تمثل مستوى عالياً من الدقة والجمال في رسم اشكال الرموز ، وتمثل في نفس الوقت « اثراً باقياً لثقافة فئة ذات شخصية متميزة وعالية التطور » كما يقول الدكتور بيستون [٢٥٨] . ولا يعرف أحد إلى اليوم كيف بدأ هذا الخط . والنظريات المتعارضة التي اقترحها العلماء لنشوئه لم تستقر بعد على رأي يمكن الأخذ به . وجميع تلك الآراء تقوم على اساس مقارنة اشكال الحروف والعلاقة الجغرافية بين الاماكن التي عثر فيها على نماذج الابجديات المختلفة . ونجد في العربية – تلخيصاً – ومناقشة لجمل تلك الآراء والنظريات في كتاب جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام [٢٥٩] .

وترجع أقدم النقوش اليمنية (المسند) إلى اوائل القرن التاسع قبل الميلاد على أبعد تقدير إذا اخذنا في الاعتبار الختم الذي عثر عليه في بيتل بفلسطين[٢٦٠] علماً بان أقدم ما وصل إلينا من نقوش لا يمثل بالضرورة تاريخ بداية استخدام الخط . أما احدث ما وصل إلينا من تلك النقوش فيرجع إلى اواخر القرن السادس بعد الميلاد .

ومع أن « لسان العرب » يذكر أن جماعة من اليمن ظلوا يكتبون بالمسند وهم في الاسلام [٢٦١] إلا أن ذلك الخط لم يلبث أن اهمل بفعل انتشار الخط العربي الشمالي . ولو كان اليمنيون لم ينسوا المسند لما وقع مؤرخهم الأول في الاخطاء الصارخة التي نلمسها في كتاباتهم ولتعلموا الكثير عن تاريخ اليمن الذي ظلت نصبه التذكارية المنقوشة بارزة للعيان طوال القرون حتى جاء المستشرقون

في القرن الماضي وجاءت معهم محاولات احيـــاء ذلك الخط واللهجات العربية القديمة .

واللهجات الرئيسية التي كتبت بها نصوص المسند في اليمن هـــي السبئية والمعينية والقتبانية والحضرمية أي لهجات الممالك الرئيسية القديمة . أما مملكة اوسان شبه المجهولة فان مـــا وصل إلينا من نقوشها لا يمكننا من التحدث عن خصائصهـــا اللغوية . وهناك لهجة يدعوها بيستون « هرميه » نسبة إلى مدينة هرم [٢٦٢] تشبه في مجملها السبئية إلا أنهـــا تظهر ، في المجموعة الصغيرة من النصوص التي عثر عليها في تلك المدينة ، خصائص لغوية متميزة .

ولم يقتصر استخدام المسند على اليمن وحده . فهناك نصوص وجدت في أماكن مختلفة ، كما سبقت الاشارة في فصول القسم الأول من هـذا الكتاب . ويقسم بيستون هذه النقوش إلى ثلاثة أقسام :

١ – نقوش وجدت في مناطق احتلها مستوطنون من اليمن بصفة شبه دائمة . وهذه تتمثل في نقوش ددان (العلا) .

٢ – نقوش خلفها لنا اشخاص اثناء رحلاتهم التجارية أو حملاتهم العسكرية خارج اليمن . وهذه تتمثل في النقوش التي وجدت في مصر (ف ٣٤٢٧) ونقش جزيرة ديلوس اليونانية (ف ٣٥٧٦) والنقوش الـــتي حفرت على الصخور في أواسط الجزيرة العربية وبخربش من مصر العليا (ف ٣٥٧١) .

٣ – نقوش نلمس فيها أثر الثقافة اليمنية على المناطق المجاورة ، وأهمها مـــا وجد في الحبشة ، وكتبت بالمسند وهي أقدم النقوش الحبشية . ولكن هـذه النقوش من القصر بحيث يصعب إدراك العلاقات اللغوية فيهـــا بصفة قاطعة . وهناك مجموعة نصوص عربية شمالية شرقية استخدم في كتابتها المسند وإنمـــا بلهجة (يستعمل بستون هنا لفظة لغة) غير يمنية [٢٦٣] .

ولسنا بحاجة إلى التأكيد بأن لغة النقوش اليمنية (المسند) إنما هي لهجات عربية ، وليست لغة أو لغات مستقلة مهما اختلفت مفرداتها أو كانت غير معروفة أو غير شائعة في اللغة الشماليةالتي تمثلها أحسن تمثيل لغة القرآنالكريم. ولا شك أن بعض المفردات قد دخلت على اللهجات اليمنية القديمة بالاستعارة من لغات أخرى أو من لهجات عربية أو سامية بفعل الصلات التجارية على الاقل ، وهذا قد حدث حتى بالنسبة للهجة العربية الشمالية التي توحدت فيها ألسنة العرب مع الاسلام ، وهو ما يحدث دائماً في جميع اللغات . وينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار ، عندما نقارن اللهجات اليمنية (الجنوبية) باللهجات العربية الأخرى وخاصة لغة القرآن ، اننا نقارن نصوصاً مكتوبة منذ القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي بنصوص لم تحفظ لنا مكتوبة إلا في نتف قليلة (أعني النقوش الشمالية القليلة مثل نقش ام الجمال ونقش النمارة) أو ما كتب بعد مجيء الاسلام (القرن السابع أي بعد آخر النقوش اليمنية) ومنها القرآن الكريم والشعر الجاهلي الذي لا يتجاوز أقدم نصوصه المتفق على صحتها القرنين القريبين من الاسلام . ولا نريد بهذا القول أن ننكر وجود اختلاف في المفردات ، وإنما نريد أن نقول ان الاختلاف في هذه الناحية لم يكن بين شمالية موحدة ويمنية (جنوبية) موحدة وإنما كانت هناك اختلافات بين لهجات القبائل العربية قاطبة حتى بين اللهجات الشمالية نفسها كما تدل الشواهد التي حفظها لنا كتاب عرب بعد الاسلام . ولا نحسب كثرة المترادفات في المعاجم اللغوية العربية إلا دليلاً على ذلك الاختلاف ونتيجة له . ولا ينبغي لنا أن نفهم من مبالغات الاخباريين في التفريق بين ما يسمونه حميرياً وما يسمونه عربياً(٢٦٤) ان الفروق التي كانت قائمة ولا شك كانت تحول دون تفاهم العرب شماليين وجنوبيين . ولو كان ذلك قد حدث فعلاً لأثبتته الكتب العربية بصورة واضحة ولاحتاج اليمنيون إلى بعض الوقت يتعلمون فيه اللغة القرشية قبل ان ينسجموا مع اخوانهم الشماليين في الدولة الاسلامية العربية ، ولضربت لنا الأمثال على المفارقات التي حدثت من جراء ذلك بصورة أكبر مما نجده في الاشارات القليلة

التي بين أيدينا . وكما اعترفنا بوجود الاختلاف في بعض المفردات ، كثرت أو قلت ، فاننا نعترف أيضاً بوجود فوارق في القواعد النحوية . ولكننا نعتقد أيضاً ان تلك الفوارق لم تكن محصورة بين شمال وجنوب وحسب وإنما هي فوارق بين شمال وشمال وجنوب وجنوب ايضاً وأن حكمها – أغلب الظن – حكم الفوارق في المفردات . ويجوز ايضاً أن تكون طريقة نطق الكلمات في لهجات النقوش ، والتي نجهلها لغياب الحركات ، اكثر قربا إلى النطق في الاثيوبية والعربية الجنوبية الحديثة منهـا إلى العربية الفصحى (٢٦٥) . ولا شك أن تلك الفوارق جميعها قد حدثت نتيجة لتطور اللهجات بعد ابتعادها عما يمكن أن نسميه العربية ، أو السامية ، الام ، وبعد الجماعات البشرية ذات اللغة الواحدة عن بعضها في العالم القديم ، واحتفاظ بعضها ببعض الخصائص الاصلية وتخلصها من بعض آخر أو تأثرها بلهجات أو لغات أخرى بحكم المجاورة أو الاحتكاك لسبب أو لآخر . على اننا حين نورد هذه الآراء لا نزعم انها نهائية ولكننا نريد أن نرد بها على احكام متعجلة تحاول ، بشواهد ناقصة ، أن تحكم احكاماً قاطعة في أمر اللغة العربية ولهجاتها . واخطر تلك الاحكام هي التي تحاول أن تصور اللهجات بأنها لغات .

وهناك في اليمن لهجات حية هي التي يسميها العلماء بالعربية الجنوبية الحديثة ، وتتمثل في اللهجات المهرية والسقطرية والشحرية . وقد لمس العلماء بعض اوجه الشبه بين قواعد هذه اللهجات والقواعد التي اتبعت في النصوص اليمنية القديمة التي حفظتها لنا المساند . ونجد فوارق كبيرة بين كثير من مفردات هذه اللهجات والمفردات العربية الأخرى . بل إن الكثير من مفرداتها تختلف عن المفردات المستعملة في النصوص اليمنية القديمة . وقد يسهل تعليل ذلك فيما يتعلق بالسقطرية لأنها لغة جزيرة وان كانت عربية جنوبية إلا أنها أقرب إلى الساحل الافريقي ، وقد ظلت ، كما تشهد مؤلفات تاريخية قديمة ، عرضة لمؤثرات اجنبية بصفة مستمرة ، إذ كانت ملتقى للتجار القادمين من عرض البحار من كل مكان كما استوطنتها عناصر بشرية مختلفة . ولا تزال اللهجة المهرية واختها السقطرية ،

رغم الدراسات التي بدأت منذ القرن الماضي ، لغزاً محيراً . ولا بد أن ظروفاً جغرافية وسياسية قد أدت إلى ذلك الوضع اللغوي الفريد للمهرة وظفار . ويحدثنا أهل المهرة عن وجود نقوش قديمة على الصخور في منطقتهم ولكننا لم نطلع على شيء من ذلك إلى اليوم. والنقوش القليلة من ظفار لا يمكن أن تفسر لنا شيئاً عن هذا الوضع اللغوي .

بعد هذا الاستطراد نعود إلى النصوص اليمنية القديمة المعروفة ونقول أن ما وصل إلينا منها جاء محفوراً على الحجارة وبعض المواد المعدنية ، خاصة البرونز ، ونقوش قصيرة على الخزف والاختام ، ويجدر بنا أن نتساءل عما إذا كان اليمنيون القدماء قد استخدموا ذلك الخط في كتابة الرسائل والاغراض الأخرى المشابهة وعما إذا كانوا قد استخدموا في الكتابة وسائل أخرى غير الحجارة أو الخزف أو المعادن ؟ وكل ما نجده جواباً على هذا السؤال هو ما رواه بعض الكتاب الاسلاميين من أن أهل اليمن يسمون كل كتاب زبراً وانهم كانوا يكتبون في عسيب النخل (٢٦٦) ولعل الايام تسعدنا بالعثور على كتابات من هذا النوع .

ولقد لاحظ الدارسون للنصوص اليمنية القديمة ، منذ البداية ، أن محتويات تلك النصوص تكاد تنحصر في مواضيع محدودة،وانها لا تحتوي على مادة شعرية أو ادبية كما نجد في الاوغارتية مثلاً. ويصف بيستون هذه الظاهرة (٢٦٧) بقوله: « أن جميع هذه النصوص ذات طابع عملي بشكل صارم ، وذلك لأنها لا تخرج عن كونها تشريعات قانونية أو نصب جنائزية أو سجلات معمارية أو تقدمات متعلقة بوفاء النذور » . والنوع الاخير كثيراً ما احتوى على وصف للحملات العسكرية كما نجد في النقوش السبئية (راجع الفصول السابقة) . إلا ان مجال الشئون التي تعالجها تلك النصوص ضيق بصورة عامة ، كما انها لا تمدنا بأدلة كافية على القواعد اللغوية لانها تستخدم صياغة تكاد تكون موحدة في كل شأن من تلك الشئون المحدودة ، ويزيد الطين بلة انها التزمت صيغة الغائب بصورة تكاد تكون مطلقة .

وفوق كل ما تقدم فإن ابجدية المسند تتكون اساساً من الاصوات الصامتة مما جعل البعض يؤكد بصورة قاطعة انه لا توجد حركة في كتابة النقوش ولا علامة للسكون أو للتشديد مما يصعب معه معرفة الهيئة الحاصلة للكلمات[٢٦٨]. ولكن بيستون يرجح احتمال أن يكون حرفا « و » و « ي » في النقوش قد قاما بعض الاحيان مقام الواو في مثل (دون ويوم) ومقـــام الياء في مثل (جيل وليل) مخالفاً بذلك ما ذهبت إليه ماريا هوفز من أن الحرفين لا يمثلان بحال من الاحوال حروف علة اصلية [٢٦٩] .

اما طريقة الكتابة فتتلخص بانهـا تكتب في الغالب من اليمين إلى الشمال . وحتى في النصوص القديمة التي كتبت على الطريقة الحلزونية ، التي يماكس فيها السطر التالي السطر السابق له في الاتجاه ، تجد انهم يبدأون من اليمين في الغالب. وفي السطر الذي يكتب من الشمال إلى اليمين تتحول اتجاهـات الحروف غير المتناسقة ، مثل الراء والشين وغيرها .

ويفصل بين كل كلمة وكلمة عمود رأسي « | » . وعنـــد دخول حرف ذي مقطع واحد كحرف الجر (ب) والعطف (و) الخ فيوصل ذلك الحرف بالكلمة . التي يدخل عليها . اما إذا كان ذلك الداخل مكوناً من حرفين مثل (وبـ...) فانه في الغالب يفصل بينه وبين الكلمة التي يدخل عليها بالعمود الرأسي كما نجد في أغلب النقوش (مثل : و ب / ع ث ت ر) . وتوضع رموز الاعـــداد بين علامتين خاصتين هكذا |≷| رمز العدد |≷| .

ولقد عرف كتاب المسند استعمال الاختصار (والمونوجرامات) كما نشاهد على القطع النقدية حيث يكتفى بالحروف للدلالة على الاسم المقصود . واستعملوا رموزاً شبيهة بالحروف ولكنها في رأي العلماء ليس لها أي دلالة صوتية وانمـا هي رموز دينية وتأتي عادة في أول النقش وفي آخره [٢٧٠] .

ويظهر من اكتشاف البعثة الامريكية في هجر كحلان (موقع تمنع القديمة)

ببيحان ان اليمنيين ربما كانوا يرتبون حروف المسند بنفس الطريقة التي نجدها في ترتيب الحروف الأثيوبية [٢٧١] .

وقد لاحظنا من قبل ان كتابة النقوش لم تعرف علامة للتشديد وانما استعاضت عن ذلك ، في بعض الأحوال التي تشهد عليها أمثلة من النقوش ، بتكرار الحرف المشدد كما في لغات اوربا على حد تعبير غويدي [٢٧٢] . ويرى بيستون ان انتفاء علامة التشديد في المسند شبيه بانتفائها في الكتابة الاثيوبية ، غير انه يورد لنا مثالاً مثماً لتكرار الحرف عوضاً عن التشديد في مثل ورود لفظ (م ح م م د م) في النقش (م٣٥٣/١) والذي نرى فيه مشابهة للاسم العربي المعروف محمد [٢٧٣] وهناك ظاهرة أخرى في هذه النقوش تتمثل في غياب (همزة الوصل فيها) .

كان حديثنا حتى الآن يدور حول بعض السمات المشتركة للنقوش اليمنية القديمة (المسند) . وكنا قد اعترفنا بوجود فوارق بين اللهجات التي استخدمت في تلك النقوش ، وهي اللهجات السبئية والمعينية والقتبانية والحضرمية .

أما السبئية وهي التي وصل إلينا منها قدر أكبر من النقوش فتغطي من الناحية التاريخية فترة طويلة تمتد منذ عصور المكربين السبئيين إلى أواخر القرن السادس الميلادي . بينما تعاصر النقوش المعينية الفترة الأولى من تاريخ النقوش السبئية التي تمثل عصر المكربين والملوك الأول إلى نهاية القرن الأول قبل الميلاد تقريباً ثم تندثر وتهمل قريباً من بداية العصر المسيحي على ما يعتقد . ويستمر ظهور النقوش القتبانية إلى أبعد من ذلك فنجدها لا تزال مزدهرة في أوائل العصر المسيحي . ولا يستبعد ان تكون قد استمرت حتى القرن الثالث الميلادي . وتأخذ النقوش الحضرمية في الاندثار قرب الغزو السبئي لحضرموت في نهاية القرن الثالث أو بداية القرن الرابع للميلاد .

وهكذا فان نقوش كل من معين وقتبان وحضرموت تعاصر المرحلة الأولى

من النقوش السبئية . وعندما نصل إلى المرحلة السبئية الثانية وهي المرحلة الوسطى (منذ القرن الثاني ق.م إلى القرن الرابع الميلادي تقريباً) تكون نقوش هذه اللهجات قد ضعفت وأخذت في الاندثار والاضمحلال الواحدة تلو الاخرى تبعاً لاختفائها من المسرح السياسي كمالك مستقلة أو شبه مستقلة[٢٧٤] .

وتتيح لنا كثرة النقوش السبئية وانتشارها على مدى فترة طويلة (١٥ قرناً على وجه التقريب) أن نلاحظ فيها تطور طريقة الكتابة وتطور قواعدها اللغوية : (أ) فنجد المرحلة الاولى تمتاز في الغالب بخط ذي خطوط مستقيمة وزوايا قائمة وغير مزخرف مع ميل إلى استخدام الزوايا الحادة في بعض اشكال الخط في بعض النصوص . وإلى هذه المرحلة تعود جميع الكتابات الحلزونية . (ب) أما نقوش المرحلة الوسطى فتمتاز بالخط ذي الزوايا الحادة والاشكال المستديرة الموشاة . (ج) وتأتي نقوش القرنين الخامس والسادس للميلاد ضمن المرحلة الاخيرة من تطور الخط السبئي[٢٧٥] .

وتتفق اللهجات المعينية والقتبانية والحضرمية في استعمال الحرف (س) كسابقة في أول الفعل المتعدي بينما تستخدم اللهجة السبئية عوضاً عن ذلك الحرف (هـ) . ويلاحظ بيستون أن هذا الاختلاف لم يكن صارماً فهناك شواهد من المعينية والقتبانية والحضرمية تستخدم فيها الهاء احياناً كما في السبئية ، مما يذكرنا بنقوش مذاب الحضرمية . ويحاول الاستاذ بيستون أن يفسر استعمال الهاء السابقة لفعل (قنى) أي اهدى بدلاً من السين (هقني وسقني) بان ذلك الفعل ، كان في الاصل، فيما يبدو ، اصطلاحاً دينياً سبئياً[٢٧٦] .

وفيما عدا ذلك فهناك خصائص أخرى في جميع هذه اللهجات ، ليس هنا مجال تفصيلها ، وخاصة فيما يتعلق منها بالضمائر وحروف الجر والعطف التي تختلف فيها اللهجات أو تلتقي بطريقة يصعب معها تقسيم تلك اللهجات إلى مجاميع أو حتى إلى مجموعتين رئيسيتين . وينبغي أن نلاحظ أن هذه المقارنات

اللغوية بين اللهجات اليمنية القديمة تكاد تكون مقتصرة على مرحلة واحدة هي ما يسميه بيستون المرحلة السبئية الاولى والتي تنتهي بالقرن الثاني قبل الميلاد تقريباً ، وهو الوقت الذي قلنا أن نقوش اللهجة المعينية فيها قد اختفت تقريباً أما اللهجتان الرئيسيتان الاخريان القتبانية والحضرمية واللتان عاصرتا جزءاً ، يطول أو يقصر، من المرحلة السبئية الوسطى (حسب ما بين ايدينا من نقوش) فانهما اخذتا في الاندثار خلال تلك المرحلة واختفت نقوشهما قبل نهايتها . ولهذا فاننا لا نستطيع أن نحكم على هـذه اللهجات في القرون الثلاثة السابقة للاسلام وما طرأ عليها من تطورات في المناطق التي كانت تتكلم بها. ونتوقع أن تكون سيطرة السبئيين السياسية قـد أدت إلى غلبة ولو نسبية للهجتهم التي أصبحت لهجة النقوش واللهجة الرسمية الوحيدة والتي يعتقد العلماء انها قريبة جداً إلى اللغات السامية الغربية واللغة الأدبية العربية الشمالية (٢٧٧) .

٥ ـ ديانة اليمن قبل الاسلام

صعوبة الدراسة :

ان جهلنا بالاصول التي ترجع إليها القبائل العربية التي أقامت حضارة اليمن يجعلنا عاجزين عن معرفة الاصول البعيدة لمعتقداتها الدينية وعلاقة تلك المعتقدات بمعتقدات باقي القبائل العربية التي سكنت انحساء الجزيرة الأخرى والمناطق المجاورة لها خاصة في الشمال . ولكننا نلمس من بعض الأسماء الوثنية المشتركة بين الجنوب والشمال احتمالات وجود أصل مشترك تعود إليه تلك المعتقدات .

وتكاد معلوماتنا عن ديانة اليمن القديمة تعتمد على ما وصل إلينا من أسماء الآلهة . أما الطقوس الدينية فلا تساعدنا النقوش كثيراً على فهمها وتصورهـا لأنها جاءت موجزة شحيحة . والحفريات الاركيولوجية التي تمت في أماكن متباعدة متفرقة كانت محدودة جداً من ناحية الرقعة التي رفعت أنقاضها والزمن الذي خصص لذلك العمل . وفيما عـدا موقع واحد لمعبد قديم للآله الحضرمي سين في ظفار ، قيل 'ن الكشف عنه كان كاملا ، فليس لدينا حتى الآن صورة واضحة عن نظام بناء المعابد اليمنية القديمة الأمر الذي قد يساعدنا على استنتاج شيء عن نظام العبادة القديمة والطقوس التي كان اليمنيون القدماء يتبعونهـا في عبادتهم .

ولا يستبعد ان فترة الصراع الديني بين اليهودية والمسيحية في اليمن واحتمال

ظهور بعض الاتجاهـــات التوحيدية الأخرى الغامضة إلى جـــانب الديانتين المذكورتين قبل مجيء الاسلام قد أثرت على ما يفترض استمراره من معتقدات وثنية إلى جانب الديانة الرسمية إن كانت يهودية أو مسيحية .

ثم جاء الاسلام وعمل بنجاح على محو كل ما له صلة بالعقائد الوثنية وأدت محاربته لها إلى إهمال الاخباريين لاخبارها حتى أن مـــا نقلوه لنا عنها ضئيل ومضطرب ولا يكاد يتجاوز أسماء الأوثان . ومن المحير انهم عندما حفظوا لنا بعض الأسماء لم يذكروا شيئاً عن بعض الآلهة التي ظلت تتمتع بمكانة مرموقة قروناً طويلة مثل المقه الآله السبئي وعثتر المعبود المشترك لكل القبائل .

وهكذا فإن دراستنا لتلك الديانة تعترضها صعاب كثيرة فلا نستطيع ، بما لدينا من معلومات ، أن نفعل أكثر من الاشارة إلى بعض مظاهرها .

ديانة فلكية :

أول ما تجدر الاشارة إليه هو ان الديانة اليمنية القديمة كانت ديانة فلكية – أي أنها تقوم على عبادة آلهة تجسدها اجرام سماوية ، تماماً كبقية الشعوب العربية أو السامية الشمالية . ومها اختلفت أسماء الآلهـــة عند قبائـل اليمن وممالكها إلا أنه يمكن إدراجها تحت أحـــد أجزاء ثالوث يتكون من الزهرة والشمس والقمر .

أما نجم الزهرة فقد جـاء في النقوش باسم عثتر . كما ورد في تركيب بعض أسماء الافراد مثل « اوس عثت » و « لحى عثت » واضفيت على ذلك المعبود أوصاف مختلفة مثل « ذو قبض » و « شرقن » . ولتقدم ذكر اسمه في الصيغ التي تجمع أسماء الآلهة الاخرى يعتقد انه كان إلهاً أثيراً لدى متعبديه . ولا يستبعد أن وراء الترتيب دلالة معينة خافية علينا لجهلنا بالافكار والاساطير التي لم تصل إلينا .

وتأتي الأسماء الدالة على إله القمر أو الإله القمر، عند ذكر الثالوث كاملا، في المحل الثاني بعد الزهرة . وتختلف الأسماء الدالة عليه باختلاف القبائل . فهو عند المعينيين والاوسانيين « ود » وعند السبئيين « المقه » وعند القتبانيين «عم» وعند الحضارمة « سين » كما في بابل .

وثالثة الثالوث هي الشمس . وقد رمزوا إليها بصفات متعددة . ولما انهم كانوا يؤنثون الشمس بعكس ساميي الشمال فقد كانت كل الأسماء المؤنثة في النقوش صفات للشمس . فهي عند المعينيين « نكرح » وهو اسم يصعب تعليله أو تفسيره وعند السبئيين « ذات حميم » و « ذات بعدن » و « ذات غضرن » و « ذات برن » وعند القتبانيين « ذات صخرن » و « ذات رحبن » .

إل :

ثم ان هناك لفظ « إل » الذي يرد بكثرة في أسماء الاعلام العربية الجنوبية في مثل « يدع إل » و « كرب إل » و « راب إل » و « شرح إل » و « ورو إل » ، والذي يقابله في الشمال إسم « إسماعيل » مثلا . وجاء هذا الاسم كذلك في عدد قليل من النقوش اليمنية المعروفة في مثل إل وعثتر [٢٧٨] .

وقد أوحى شيوع ذلك الاسم بين جميع الشعوب السامية بأنه الاله الرئيسي عند تلك الشعوب منذ العصور التاريخية الغابرة . وهناك من استدل بذلك الشيوع على ان عقيدة التوحيد قديمة عند « الساميين » كما استدل بها آخرون على إنكار وجود ذلك الاله [٢٧٩] ولكن هذا الإنكار مردود كما نلاحظ من سياق ما سبق . والجدير بالذكر ان القرآن الكريم يؤكد ان التوحيد عقيدة قديمة .

رموز الآلهة :

ومع تغلغل الشعور الديني في حياة اليمنيين القدماء كما تدل وفرة النذور التي تقدم إلى الآلهة في مختلف المناسبات في حياة الافراد من الولادة إلى الوفاة وفي

حياة الجماعة في حالات الحرب والسلام وإتمام الاعمال الكبيرة كبناء القصور والابراج والسدود ، ومع تعاظم سلطة الكهان والدور الذي كانت المعابد تلعبه في حياة المجتمع فان الجدير بالملاحظة هنا ان النصب والصور التي تقام عادة للآلهة مفقودة في الديانة العربية الجنوبية (٢٨٠) ، فليس هناك ما يدل على تصويرهم للآلهة في اشكال آدمية أو اتخاذهم التماثيل لها ، غير اننا نجد رموزاً أخرى بسيطة ذات دلالة دينية مثل رسم قرص الشمس والهلال. وقد أشار إلى ذلك الهمداني في كتابه الاكليل (الجزء الثامن) . ويتكرر هذا الرمز بصورة خاصة في المباخر التي تستخدم لحرق البخور. وإلى جانب ذلك هناك صور بعض الحيوانات كالثور والوعل والنسر التي يظن انها ترمز إلى القمر . وهناك أيضاً صورة الأفعى التي يعتقد ان لها دلالة دينية .

النصوص الدينية والطقوس :

لم تصل إلينا نصوص دينية مطولة من قصص واساطير وادعية وصلوات كما هو الحال مع الشعوب السامية الاخرى . ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة الكتابة على الاحجار والتي التزمت الإيجاز في كل ما تعرضت له من موضوعات دينية ودنيوية . ومع ذلك فإن تلك النصوص على إيجازها وإتباعها صيغاً تكاد تكون جامدة ومكررة تدل دلالة قوية على عمق الشعور الديني . وهناك نص قديم من شبوه نقش على لوح نحاسي محفوظ بالمتحف البريطاني يقول فيه مقدمه انه وهب « سين » ذهباً وبخوراً ووضع في رعاية الآلهة روحه وحواسه وأبناءه ومقتنياته وذكر قلبه (٢٨١) . وعلى قلة ما نعرفه عن نظام تخطيط المعابد فان ما بين ايدينا يكفي للحكم بانها كانت تتكون من اجزاء عديدة تدل على ممارسة طقوس دينية مختلفة يؤديها المتعبدون فيها ومنها نظام الاغتسال الديني . وفي « هرم » بالجوف يبدو ان الناس كانوا يمارسون نوعاً من الاعتراف العلني بالذنوب (٢٨٢) .

الكهانة :

وقد ارتبط قيام المعابد بقيام طبقة كهنوتية ذات نفوذ واسع،بل ان العهود

الأولى شهدت جمعاً بين الصفتين الزمنية والروحية في أشخاص الحكام الذين كانوا يدعون بالمكربين (المقربين) . ولم يقتصر عمل الكاهن الذي يطلق عليه في النقوش اسم (رشو) على الأعمال الدينية وإنما هناك ما يدل على تولي بعضهم للاعمال المدنية والعسكرية ايضاً (٢٨٣) . كما يظهر أن المعابد عرفت نظام المرافة وأن الناس كانوا يأتون إلى المراف لاستشارته في شئون حياتهم المقبلة . فالنقوش تحدثنا عن تقديم النذور إلى الالهة وفاء لانجازها لما وعدت به مما يوحي بان الوعد قد تم على يد الكاهن أو المراف .

القرابين والضرائب :

إلى جانب امتلاك المعبد للاراضي الشاسعة التي كان الكهان يشرفون على تأجيرها للمزارعين ، ويثبتون ذلك في وثيقة خاصة تعرف باسم « وتف » نجد الضرائب التي تجبى باسمه والتي كانت تساوي العشر في الحاصلات الزراعية . اما القرابين التي كانت تقدم إلى الالهة في المناسبات فكانت عبارة عن قرابين دموية يسفك فيها دم الحيوان كما يستدل من وفرة المذابح التي عثر عليها في الحفريات ، والقرابين المحروقة وهي عبارة عن البخور الذي يحرق في المباخر ، كما يستدل من المباخر التي وجدت بكثرة ملحوظة في مواقع المعابد وغيرها . وليس هناك في النقوش ما يدل على تقديم قرابين من البشر . ولكن هناك ما يدل على تقديم تماثيل تمثل اصحاب النذور لوضعها في المعبد .

الحياة الاخرى :

أخذ الاستاذ ادولف جرومان (٢٨٤) على عرب الجنوب انهم لم يبدوا عناية بسبيل المقابر مثل عنايتهم بتشييد المعابد ، وقال أن « المقابر مختلفة وعملية الدفن مختلفة ايضاً » وعدد بعد ذلك انماطاً من طرق الدفن تتراوح بين الدفن في توابيت قائمة زوايا الاركان من الحجر وعليها أغطية ، والدفن في غرف منحوتة في الصخر ، (ومثل هذه المدافن كشف عنه في حريضة وفيها يمدد الموتى على

مصاطب . كما اكتشف كاتب هـذه السطور مدافن شبيهة بها في شبوه واماكن أخرى في حضرموت) والدفن في مدافن تشبه مقابر العظماء في العصور الحديثة اعني (موسولين) . وأشار إلى طريقة اخرى أبسط مما سبق وهي عبارة عن نصب تقسام على القبور في هيئة أعمدة ملساء رباعية الاركان يكتب في الجهة الامامية العليا منها اسم المتوفي ، وتحته يوجد مكان مربع قد ينتهي بجزء مربع صغير يعد عادة لرسم المتوفي. والحقيقة أن هذا النوع من النصب البسيطة تختلف اشكالها اختلافات قليلة وتوجد منها نماذج في متحف عدن، وخاصة النوع الذي يشتمل على الكتابة وتحتها عينان فقط، وهو نوع نعرفه ايضاً في المقابر الفينيقية. ولعلنا نستطيع أن نضيف إلى انواع المدافن القديمة ما يسمى بالمروم التي أشرنا إليها في كتابنا آثار ونقوش العقلة[٢٨٥] .

ومهما يكن من أمر عناية اليمنيين القدمـــاء بالمدافن فانه ينبغي الا تفوتنا ملاحظة احتواء مدافنهم وخاصة الكهفية منها على اوان ومواد حياتية أخرى تدل — في نظرنا — دلالة قاطعة على ايمان القوم بحياة أُخرى بعد الموت .

معتقدات أخرى :

إلى جانب الارتباط الشديد بالالهة والايمان بقواها الخارقة هناك ما يدل على وجود معتقدات أخرى تتعلق بالارواح الشريرة متمثلة في السحر والحسد والعين. فلا يزال بعض سكان الريف اليمني يعلقون على رقـاب اطفالهم تميمة هي عبارة عن سن الثعلب لو تأملتها لوجدت انها ربما ترمز إلى الهلال . كما يلفت الانظـار وجود عادة قديمة عبارة عن تركيب قرني الوعل في زوايا المنازل من الخارج أو وضعها على بعض القبور كما يشاهد في مدافن شبوه الحديثة. وقرنا الوعل كقرني الثور يذكران بالهـلال . وتعمد النساء في الريف ايضاً إلى تشويه وجه الوليد بالمر الاسود حماية له من العين . ومن المعتقدات التي لا شك في انها قديمة الاعتقاد في مفعول اللبان الذي تحرص النساء على حرقـه كل صباح ليطرد الشياطين كما يقولون. وظاهرة اخرى تتكرر على الصخور إلى جانب الخربشات وهي عبارة

عن رسم كفوف آدمية باصابعها الخمسة لعلها من وسائل دفع العين الشريرة [٢٨٦].

السياسة والدين :

كان الكهنة كما رأينا ، يتدخلون في الحياة العامة بصور مختلفة ، وكان الملوك حين يحاربون اعداءهم ويهزمونهم يقتسمون الغنائم بما فيها الاسرى مع الالهة ويعمدون احياناً إلى كشط اسماء آلهة العدو المغلوب من النقوش. اما في حالات حسن الجوار والتحالف فلا يتورع الملوك واتباعهم عن ذكر آلهة القبائل الاخرى في نقوشهم بل والتقرب اليها ايضاً .

خاتمة :

بعد هذه التنقلات السريعة الخاطفة بين ما حفظته لنا الآثار والنقوش والعادات عن الديانة اليمنية القديمة يجدر بنا أن نؤكد مرة أخرى صعوبة هذه الدراسة ، التي لم تتوفر بعد ادواتها والتي نخشى أن يطول بنا الانتظار حتى يتم توفرها . وكما عز علينا الوصول إلى مصادرها الاولى فإنه يعز علينا تصور الخطوات الاخيرة التي مشتها في طريق الاندثار . ذلك لأن حياة هذه الديانة كانت رهناً بحياة الممالك القديمة التي دانت بها . ونحن كما كررنا مراراً من قبل لا نملك بعد تصوراً متماسكاً لحياة تلك الممالك وحتى فيما يتعلق بحياة سبأ في اطوارها القريبة من الاسلام فاننا نفاجأ بثغرات هائلة في تاريخ تلك المملكة التي بسطت ، آخر الامر ، ظلها على اليمن كله .

الهوامش والمراجع

الهوامش

يشير الرقم الأول في كل هــــامش من الهوامش التالية إلى رقم المؤلف والكتاب الذي استشهد به حسب ترتيبها في كشف (المراجع) التي تلي هذه (الهوامش) مباشرة ، كما تشير الأرقام الأخيرة دائماً إلى الصفحات .

فالرقم (١١) مثلا يشير إلى الدكتور احمد فخري وكتابه دراسات في تاريخ الشرق القديم . وهكذا فان ١١ / ٢٣ (في الهامش رقم ٦) يعني صفحة ١٢٣ من الكتاب المذكور .

وإذا كان لنفس المؤلف أكثر من كتاب فنجد بعد رقم المرجع حرفاًأبجدياً يشير إلى الكتاب المقصود حسب ترتيبه ضمن كتب المؤلف . فالهمداني مثلا يأتي تحت رقم (١٧) في كشف المراجع ولكن كتابه « صفة جزيرة العرب » يشار إليه بالحــــرف (ب) ، فنجد مثلاً : ١٧ ب / ٩١و٩٦ حيث يشير ١٧ ب إلى الهمداني وكتابه الصفة (انظر الهامش ١٣) .

أما إذا كان الكتاب المقصود يتكون من عدة اجزاء فاننا نضع رقم الجزء بين قوسين بعد رقم المرجع مباشرة مثل : ٩(٢) / ٤٩٩ في الهامش رقم (١٢) حيث يشير (٢) إلى الجزء الثاني من كتاب جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام .

وفي احوال قليلة خاصة عند الاشارة إلى البريبلوس (مرجع ٣٦) وبليني

(مرجع ٣٩) وسترابو (مرجع ٤٢) يذكر رقم الكتاب والفصل والفقرة في مثل الهامش (٢٢) من سترابو حيث نجد : ٤٢ / كتاب ١٦ فصل ٤ فقرة ٢

التمهيد :

في الدراسات اليمنية القديمة

(١) اليمن : اسم شامل للمناطق الجنوبية من جزيرة العرب في مقابل اسم (الشام) الذي يشمل المناطق الشمالية من الجزيرة . هذه التسمية لم ترد بهـذه الصورة في أي من النقوش اليمنية المعروفة وهناك اشتباه في ان تكون لفظة « زيمن » - التي وردت في نقشين لابرهه (م ٥٤١ وركانز ٥٠٦) من القرن السادس الميلادي - تعني « الذي باليمن » . وجاء في النقوش اليمنية لفظ آخر مشابه هو « يمنت » الذي اصبح آخر الأمر جزءاً من اجزاء اللقب الملكي منذ أواخر القرن الثالث الميلادي غالباً . وهذا اللفظ يحمل نفس المعنى اللغوي من ناحية الدلالة على « الجنوب » إذ كان في النقوش القديمة مقابلا « لشامت » أي الشمال. ولكن يمنت في النقوش لا تشمل اليمن كله وإنما تعني جنوب اليمن نفسه. ومع ذلك فلا يستبعد ان يكون اليمنيون قد استخدموا لفظة (اليمن) في العصر الجاهلي القريب من الاسلام فهذا هو الشاعر الحضرمي اليمني الجاهلي عبد يغوث ابن وقاص الحارثي يقول :

أبا كرب والايهمين كليهما　　　وقيساً بأعلى حضرموت اليمانيا

٢) ١٦ / ٧٩

٣) ١٦ / ٩٨

٤) ١٤ / ١

٥) سيجد القارىء الاسم اللاتيني الكامل لهذه المدينة الشهيرة في حديث عن رموز النقوش المستخدمة في هذا الكتاب .

٦) ١١ / ١٢٣

٧) ١١ / ١٤٠

٨) ١٩ / ١٤٩

القسم الأول :

١ – اوسان

٩) التوراة : حزقيال الاصحاح ٢٧ الآية ٢٢

١٠) ٣٦ / فقرة ١٥و٤١ / ٩٤

١١) ٢٥ / ٩٤ – ٩٥

١٢) ٩ (٢) / ٤٩

١٣) ١٧ ب / ٩١و٩٦ و٢ / ٣٩٠

١٤) ٣١ / ١

١٥) ١٧ أ / ٧٧ و ٨٢

١٦) ٦ / ١٨٢

٢ – معين

١٧) ٤ / ٦

١٨) ١٧ ب / ٨١

١٩) ٤ / ٣

٢٠) ١٧ ب / ١٦٧

٢١) ١٧ أ / ٢٠٣

٢٢) ٣٩ / كتاب ١٢ فصل ٣٠

٢٣) ٤٢ / كتاب ١٦ فصل ٤ فقرة ٢

٢٤) انظر ٩ (٢) / ٨٨ – ٩٢

٢٥) ١٨ / ٦٥

٢٦) انظر ٩ (٢) / ٧٧ – ٧٩

٢٧) ٣٩ / كتاب ٦ فصل ٣٢

٢٨) ١٣ ب / ٦ نقش رقم (٨٢)

٢٩) ١٧ ب / ٨٤

٣٠) ١٣ ب / ٣٦

٣١) ٢٨ / ٤٣٢

٣٢) انظر ٤٥ أ / ٤٤٣ و ٤٤٧

٣٣) ٣٩ / كتاب ٦ فصل ٣٢

٣٤) ٢٦ (١) / ص ١٥١ و ١٥٣

٣ – قتبان

٣٥) القاموس ١ / ١١٤ وتاج العروس ١ / ٤٣١

٣٦) ٣٩ / كتاب ٦ فصل ٣٢

٣٧) ٣٨ أ / ٢١٩

٣٨) كأعلاه

٣٩) ٣٨ أ / ٢٢١

٤٠) انظر ٤٥ أ / ٤٣٢ – ٤٣٤

٤١) انظر ٤٥ أ / ٤٣١

٤٢) ٤٥ أ / ٤٦٣

٤٣) ٣٨ أ / ٢٢١

٤٤) ٣٨ أ / ٢٢١ تعليق رقم ١

٤٥) جاءت ذات غيلم هذه على صورة ذو غيلان (٣٨ أ / ٢٢١) ولكن النقوش التي نشرت لم تتحدث إلا عن ذات غيلم . ويبدو أن هذا التضارب في روايات الاسم جعل فون فسمن يعتقد أن ذو غيلان هي المدينة التي كانت تقوم في بيحان وأن ذات غيلم موضع آخر في وادي عدم (٤٥ ب / ٤١٠) وهو ما نستبعده .

٤٦) ٢١ ج

٤٧) ٢٣ أ

٤ — حضرموت :

٤٨) ١٧ ب / ٨٥

٤٩) ٣٧ ب / ١٤٤ و ٣٨ أ /

٥٠) انظر ٤٥ أ / ٤٤٤ حيث يعتبر فون فسمن النقش(ف ٢٦٨٧) اقدم نص تذكر فيه حمير ولكن يؤخر زمنه إلى فترة المد الحميري .

٥١) انظر ٤٥ أ / ٤٦٧ حيث يرى فون فسمن أن حضرموت أمتدت في منتصف القرن الثاني للميلاد من ظفـار (ساكل) في الشرق إلى جبل اسبيل غرب ردمان في الغرب .

٥٢) انظر ٤٥ أ / ٤٩٨ الجدول الذي يقترحه فون فسمن لحكام هـذه الفترة في اليمن .

٥٣) انظر ٤٥ أ / ٤٩٨ و ٤٥ ب / ٣٩٥

٥٤) ٣٨ ب / ٢٣٣

٥٥) يقع قبر هود في جـانب الجبل المطل عـلى الوادي فيا بين السوم وسنا . وفي هذا الجزء من الوادي تجري المياه طوال العام وهناك في ذلك الموقع تقام زيارة في شهر شعبان تجتمع فيها قبائل المنطقـة المجاورة . وإلى جوار الضريح تقوم مدينة بيوتها خاوية لا تؤم إلا في وقت الزيارة .وهود هو النبي المعروف الذي ذكره القرآن الكريم .

٥٦) ٢٠ / ٥٤٣

٥٧) ينبغي الا يحمل هذا الاستنتاج اكثر مما يحمل والا تقبل عبـارة حضارة على انها حضارة مستقلة. ولكن طبيعة الارض والمواصلات المتيسرة — في تلك العصور — لا بد وانها خلقت جيوباً في مواضع كثيرة من اليمن . واللهجة المهرية السائدة إلى اليوم اكبر دليل على امكان نشوء مثل هذه الجيوب .

٥٨) ٢٤ / ١٥٣

٥٩) ٣٩ / ك ٦ ف ٣٢

٦٠) ٣٨ أ / ٣٠٧
٦١) ٢٢ / ٢٧٠
٦٢) ٣٨ ب / ١٨٧
٦٣) ٣٨ ب / ١٨٨
٦٤) ٣٨ ب / ١٩٢
٦٥) ٣٨ ب / ١٩٥

٥ - سبأ

٦٦) ١٨ / ٦٤
٦٧) ٤٢ / كتاب ١٦ فصل ٤ فقرة ٢١
٦٨) ٣٨ أ /
٦٩) انظر موسكاتي مثلاً ١٢ / ٤٢ (الفصل الثاني)
٧٠) ٣٩ / كتاب ٦ فصل ٣٢
٧١) ٤٢ / كتاب ١٦ فصل ٤ فقرة ١٩
٧٢) الجرهاء مدينة قامت على ساحل الاحساء ومرت بتقلبات كثيرة وكان لأهلها نشاط تجاري : انظر ٣٣ / ١٤ وما بعده .
٧٣) وصف سترابو لهذه الحملة محير وتبدو فيه الحقائق مضطربة ومع ذلك فإن ما جاء فيه من اشارات متناثرة لا تزال هي مصادر الضوء القليل التي تلمع في ظلام تلك الفترة .. انظر حديثاً عن الحملة آخر الفصل
٧٤) بذلت محاولات للتغلب على هذه العقبة منها تلك التي يشير اليها (٤٥ أ / ٤٩٦) لكن الأمل في اجتياز هذه العقبة معقود على الحفريات .
٧٥) ٩ (٢) / ٢٥٩
٧٦) انظر ٧ / ١٢٩

٧٧) انظر ٣٧ ب / ١٤١ و ٩ (٢) / ٢٧٠ و ٣١١ وما بعدها
٧٨) ١١ / ١٥٩
٧٩) ٤٥ ب / ٣٨٩
٨٠) ١٨ / ٧٦
٨١) انظر الجدول ما بين صفحتي ٢٦ و٢٧ في ٤٥ ب /
٨٢) ٤٥ ب / ٢٤٤
٨٣) ١١ / ١٦٣
٨٤) هذا إذا اعتبرنا كلمة (الت) تعني الالهة
٨٥) ٢ / ٣٩٠
٨٦) ٢ / ٣٩٠
٨٧) ١٧ ب / ١٦٧ يتحدث الهمداني هنا عـــن (نسم) في الجوف ولا يذكر مكاناً آخر بهذا الاسم .
٨٨) يذكر الاكوع (٢ / ٣٩٠) رشا بكسر الراء انقـاض بلدة تقع في بني عبد من مراد جنوب الجوبة .
٨٩) ٢ / ٣٩٠
٩٠) ٤٥ ب / ٤١٧ (الخارطة)
٩١) يذكر الهمداني (١٧ ب / ٦٨) وفي مواضع اخرى من نفس الكتاب شيعان إلى جانب منوب في حديثه عن جبل السراه . وشيعان على أي حال تذكر في النقوش إلى جانب اوسان(قارن جام ٦٢٩)
٩٢) منهية وردت في النقش بما يدل على الماء .
٩٣) مذاب تذكر في الصفة (١٧ ب / ٨١ وما بعده) إلى جانب الخارد ولكن لعل الاسم في الماضي كان يشمل وادي الخارد كله.
٩٤) انظر (امير) في ١٧ ب / ٨٣ كذلك ٤٥ ب / ١٤٧ – ١٥٩
٩٥) اسم شقير (شقر في النقوش) نقش عـلى بعض النقود الحضرمية (انظر ٣ / ٥٢ – ٥٣) ، كما جاء في نقوش قتبأنية (جلاسر ١١١٩)

٩٦) انظر ٩ (٢) / ص ٣٤٧ وما بعدها ج ٢
٩٧) انظر ٤٥ ب / الجدول الاول لملوك سبأ ما بين صفحتي ٢٦ و ٢٧ والجدول الثاني ما بين ص ٢٨٠ و ٢٨١
٩٨) اعتمدنا هنا تقدير فون فسمن للعهود السبئية في الجداول المشار اليها اعلاه (٩٧)
٩٩) ٣٣ / ١٣
١٠٠) ٣٣ / ١٩
١٠١) ٤٥ أ / ٤٣٠
١٠٢) كأعلاه
١٠٣) ٤٢ / كتاب ١٦ فصل ٤ فقرة ٢٢ — ٢٥
١٠٤) ٤٥ ب / ٤٢ والخارطة بين ص ٢٨٠ و ٢٨١

٦ – سبأ وذو ريدان

١٠٥) ٤٥ أ / ٤٥١ وتعليقه رقم ٥٨ صفحة ٤٥٢ .
كذلك انظر ٩ (٢) / ٤١٦ وتتراوح التقديرات المختلفة ما بين عامي ١١٥ ق.م و ٨٥ للميلاد تقريبا .
١٠٦) ١ / ٨٩
١٠٧) حفريات مؤسسة دراسة الانسان الامريكية التي قادها وندل فلبس
١٠٨) ٣٥ أ / ٣
١٠٩) ٣٩ / كتاب ٦ فصل ٣٢
١١٠) ٣٣ / ٢٨
١١١) ٤٥ أ / ٤٤٧ عن بليني في وقته وقت نيرو (٥٤ — ٦٨ م)
١١٢) ٤٥ أ / ٤٤٨ — ٤٤٩
١١٣) ٤٥ أ / ٤٤٧ ايضاً عن احتمال استغلال حمير الظروف لفصل مناطق سبئية هي المناطق الجنوبية لساحل البحر الاحمر إلى وادي سهام والمرتفعات حتى الهان ومهانف وقشم .

١١٤) ٤٥ أ / ٤٥٢
١١٥) ١٨ / ٩١ — ٩٢
١١٦) ٣٥ أ / ٢٧٣ فقرة ٦ و ٤٥ أ / ٤٥٥
١١٧) ٣٥ أ / ٢٧٢
١١٨) ٤٥ أ / ٤٥٢
١١٩) انظر مثلا ٦ / ٤٥ و ٥٧
١٢٠) ٤٥ ب / ٣٦٢ وما بعدها و ٤٥ أ / ٤٥٧
١٢١) قارن : ٤٥ أ / ٤٤٥ و ٤٧٦ . كذلك انظر مواقع هذه القبائل في الخارطة ٤٥ أ / ٤٥٤
١٢٢) انظر ٤٥ ب / ٣٦٢ وما بعدها
١٢٣) علاقـــة هذين القيلين الاب والابن بأسرة الشرح يحضب الاول ثم وصولهما إلى الحكم بعد ابنه الذي لم يكن عهده طويلا على ما يبدو ووقوفهما إلى جانب حمير ضد وهب إل يحز — كل ذلـك لا يزال بحاجة إلى تفسير خـاصة وان القول بعداء تقليدي بين جرت وبتع وهمدان ليس بالامر الثابت (قارن جام ٦٢٩) .
١٢٤) انظر جام ٣٥ أ / ٢٨٤ — ٢٨٥
١٢٥) قارن : ٣٥ أ / ٢٨٥ — ٢٨٦
١٢٦) قارن : حديث فون فسمن عن الملاقسات بين القبائل الكبرى في سبأ ٤٥ أ / ٤٥٥ و ٤٥٧
١٢٧) انظر جام ٣٥ أ / ٢٨٠ و ٤٥ أ / ٤٦٠
١٢٨) ٤٥ أ / ٤٥٩
١٢٩) ١ / ٣٧ (التعليقات)
١٣٠) ثكمتن قـــد تعني الأولى وفي اللهجة اليمنية الحديثة التي تصف أول خروج للعروس (بالشاكمة) ومـــا يوحي بذلك . ولكن النقش (جام) والذي لم يذكر فيه ترتيب العام وهو اقـدم من

(جام ٨٧٧) المؤرخ بالعام الثالث من نفس الفترة يجعل من المحتمل ان تكون (ثكتن) السنة النهائية أيضاً .

١٣١) انظر : ٣٥ أ / ٢٨١و٤٥ أ / ٤٦٢

١٣٢) انظر مثلا : ٣٥ أ / ٢٨١ وأيضاً ٤٥ أ / ٤٥٣

١٣٣) انظر : ٣٥ أ / ٢٨٠

١٣٤) انظر : ٣٥أ / ٢٨١ ولو ان جام ينسبه إلى الشرح يحضب بن فارعم ينهب .

١٣٥) انظر : ٣٥ أ / ٢٨٢

١٣٦) انظر : ٣٥ أ / ٢٨٢ وقارن (جام ٦٢٩) .

١٣٧) لم نقف على مثل مشابه من نقوش أخرى في غير مجموعة الكهالي .

١٣٨) ٤٥ أ / ٤٦٤ تعليقة ٨٧ حيث يجعل فون فسمن (معاهر) قصراً في مدينة وعلان .

١٣٩) يعتمد ذلك على ترتيب العهود بالدقة ، ونحن بحاجه إلى تفاصيل أكثر لترتيب أحداث هذه الفترة وعلاقات الاسماء ببعضها .

١٤٠) انظر : ٤٥أ / ٤٦٧

١٤١) ٤٥ أ / ٤٩٨ (الجدول) .

١٤٢) يتحدث فون فسمن (٤٥ أ / ٤٦٢) عن عدوان حميري جديدعلى بلاد « سمعي » تصدى له يارم وبارج (م٣٥٣) وكانت وقتها حير تحت حكم (شمـ) ريهرعش (الأول) الخ . .
ويرى ان يارم بن همدان حكم لفترة قصيرة بعد احداث النقش (جام ٦٤٣) التي يرى احتمال كونها حدثت في نفس وقت (جام ٦٢٩) وكان حكم يارم بالاشتراك مع كرب إل وتر يهنعم (٤٥ أ / ٤٦٦ وقارن جام ٣٥ أ / ٢٨١و٢٨٦–٢٨٨) .

١٤٣) انظر ٣٥ أ / ٢٩٣ وكذلك (٤٥ أ / ٤٦٦) حيث يناقش اختفاء الاسرة التقليدية (كرب إل بين) والاسرة الجرتية (سعد شمسم

وابنه) . ويتوقع أن تكون حادثة ربشمس نمران ملك سبأ وذي ريدان البتمي حدثت في ذلك الوقت ويفترض ان يكون علهان نهفان قد اخذ معظم أراضي سبأ من ذلك الملك .

١٤٤) انظر : تفسير جام كتاب ١٩ : ٣٥ أ / ٢٩٥

١٤٥) انظر : ٣٥ أ / ٢٩٦

١٤٦) النقش (ك١١) الذي سبق نشره (نامي ١٢) من النقوش المؤرخة وهو نقش ملكي اي ان صاحبه هو الملك شاعرم اوتر نفسه وفيه يتلقب بلقب ملك سبأ فقط في الوقت الذي نعتت فيه نقوش أخرى علهان نهفان وابنه شاعرم اوتر معاً بملكي سبأ وذي ريدان . ان حل هذا اللغز فيما يبدو يعتمد إلى حد ما على زيادة علمنا بالاساس الذي تقوم عليه التقاويم القديمة

١٤٧) سبق ان اشرنا إلى التضارب بين « ذو غيلان » وذات غيلم (هامش ٦١) . ونرى من الاهمية بمكان مهما كان الأمر فيما يتعلق بذي غيلان ان (ذات غيلم) تقع في أرض قتبان ولا علاقة لها بغيل عمر كما هو واضح من النقش (ك ١٣) بل ومن سير احداث الحرب بين شاعرم اوتر والعزيلط . انظر ايضاً ٤٥ أ / ٤٦٤ تعليقه ٨٦و٤٧٤ وكذلك ٤٥ ب / ٢٠٣و٤١٠و٣٥ أ / ٢٩٧

١٤٨) يعتقد ان صوارن كانت تقوم عند ملتقى مصبي واديي عمد والهجرين .

انظر : ١٧ب / ٨٥ و٤٥ أ / ٤٧٤ تعليقة ١١٥

١٤٩) انظر : ٣٥ أ / ٣٠١ عن جيبو كنز ١

١٥٠) انظر : نص المسند في ١ / ٧٤

١٥١) مفجرتن : جاءت ايضاً في (جام ٥٦٥ / ١٦) حيث ترجمها جام بالأراضي الواطئة وقال (٣٥ أ / ١٧٠) انه من المحتمل ايضاً ان تكون اسماً للمكان . وتكرار ذكرها هنا في حالة مشابهة لنفس

الشيء توحـــي بان (المفجرة) هو موضع في الطريق بـــين سبأ وحضرموت . ولكن هذا مجرد احتمال ويضل المعنى العام للكلمة وارداً : وهو في تقديرنا يدل على مر منخفض بين جبال أو تلال أو قيزان رمل .

١٥٢) (إل بضعو) قد تعني لم يقتلوا ولكننا فضلنا المعنى الذي اوردناه.

١٥٣) انظر : ٣٥ أ / ٣٠٢ وهامش ١٠٥

١٥٤) يونم : انظر ٤٥ أ / ٤٧٤ حيث يستنتج فون فسمن احتمال تدخل الرومان في الصراع من خلال هذه الجماعة (يوان ؟). ويقول ايضاً ان حبشت وحضرموت وكنده كانوا وقتها مناهضين لسبأ وأن نجران كانت تساندهم .

١٥٥) مجزت مونهن : انظر / ١٠٣ حيث يقترح « مسيلي وادي ثمال » لعبادة «مجزت مونهن .. (= مجازة الماء ؟) ذي ثمال ». والحقيقة ان مجزت مونهن كأسم علم يصعب تصوره .

١٥٦) القرية : انظر ١٧ ب / ١٥٢ و١ / ١٠٤

١٥٧) وادي ذي وعر : لم نعثر على اسم هذا الوادي مع انه حسب النص يقع في الجزء الغربي من ارض حاشد . والمعروف ان اسماء الاماكن في اليمن تميزت بالاستمرار عبر القرون وهذا يعود إلى عدم حدوث سيطرة اجنبية عليها،حتى النفوذ الحبشي في فتراته القصيرة لم يكن مباشراً وكاملاً ، ثم ان هناك العلاقة الثقافية القديمة بين الشعبين .

١٥٨) كنده : لم نتعرض لتاريخ هذه القبيلة التي لعبت دوراً هامـــاً في تاريخ الجزيرة العربية والتي امتدت ديارها من حضرموت إلى اواسط الجزيرة . واردنا ان نلفت نظر القارىء إلى اهمية مثل هـــذه الدراسة التي لا يتسع لها مجال هذا الكتاب ولعل القارىء يجـد في كتب التراث غنى كما أن في ٩ (٣) / ٣١٥ فصلاً عن الموضوع .

١٥٩) انظر : ٤٥ أ / ٤٣٧ تعليقة ١٩

١٦٠) المكان الذي يذكره النقش (جام ٦٤٠) هو اوسرن الذي رجح جام انــه الفيضه معتمداً على خـارطة بطليموس (٣٥ أ / ٣٠٥) ومستبعداً الأيسر التي تمسك بها فون (٤٥ ب / ٤١٠) . والأيسر أو (ليسر) كما ينطق هو احـــد واديي دوعن المعروفـين بليمن (الايمن) وليسر .

١٦١) انظر : ٣٥ أ / ٣٠٥-٣٠٦

١٦٢) نلاحظ ان هـــذا هو المكان الوحيد الذي يذكر فيه المعفريون في النقش . وسنرى فيما بعد (جام ٥٨٥) .ن الاحباش سيطروا على المعافر ولكن هذا يحدث وهم على وئام مع حمير . على ان حل هذا اللغز برمته يتوقف على الحصول على مزيد من النقوش عن هذه الفترة .

١٦٣) انظر ٣٥ أ / ٣٠٥ حيث يبسط جام نظريته . كذلك ٤٥ أ / ٤٥٧ حيث يرى فون فسمن « ان (م ٣٩٨) لا يشكل عقبة في الفصل بين العهدين» : عهدي شاعرم اوتر والاخوين الشرح ويازل .

١٦٤) سلحن وغمدن : بغض النظر عن أن غمدن هنا وردت على الصورة المعروفة بعد الاسلام (غمدان) وليس (غندن) كما في مجموعة جام فإن السؤال الهام هنا هو: هل يعني مـــا جاء في النقش أن الشرح ويازل كان عليهما أن يكافحا للدخول إلى صنعاء ايضاً ؟ إن هـــذا يجعل من المرجح أن الملكين من بكيل (انظر: ٤٥ أ / ٤٩٨) .

١٦٥) من (جـسام ٦٤٧) يستنتج فون فسمن أن احتلال الحميريين لمارب دام سبع سنوات وذلـك في عهد شمر يهرعش (الثاني) بن ياسرم يهصدق (الاول) : ٤٥ أ / ٤٧٥

١٦٦) خفارة : مفتاح هذه الفقرة هي عبـــارة « بخفرت مخفر » أو « خفارة أخفر » والخفارة هي الامان وهي الذمة وانتهاكها اخفار واخفرت الرجل إذا نقضت عهده (اللسان) . وسميت الغرامة التي ذكرت في آخر الفقرة « خفرت » أو « خفـارة » ايضاً . وفي

اللغة الحفسارة كذلك جعل (أي اجر) الخفير (اللسان ايضاً) .
١٦٧) يكلا : انظر الخارطة في ٤٥ ب / ما بين ٢٩٤ و ٢٩٥ . كذلك ١٧ ب / ٨٠
١٦٨) ١٧ ب / ١١٩ عند الحديث عن تهامة اليمن يقول: « ثم سهام وهي عكية ومن بواديها واقر ، ثم المهجم عاليها لخولان وسافلها لعك » و « مور عكية ايضاً وهي مخلاف » . وياقوت : « عك يضاف اليها مخلاف باليمن ومقابلة مرساها دهلك » (مجلد ٤ ص ١٤٣) .
١٦٩) قصر هكر : انظر ٤٥ أ / ٤٧٨ و ١٧ أ / ١٠٦ ومواضع اخرى و ٢ / ٢٨٠
١٧٠) ٣٥ أ / ٣٣٨ وما بعدها
١٧١) « خبطهمو » : انظر مادة خبط في اللسان . وقد وضعناها كما هي لظننا أن الخبط هنا اصطلاح قديم يدل على نوع من الاسهام المادي طوعاً أو كرهاً وأن كان مدلول اللفظ اللغوي يرجح التطوع .
١٧٢) « بهأ تهمو » كما نرى جماعة كلفت بمهمة في السهرة (سهرتن) كما يظهر من (لبهأ لهمو) . وقد عادت« بهأ تهمو » إلى رحبم(رحاب) في خولان . وقد تكون العملية عبارة عن نوع من الاستطلاع قبل الهجوم على دوأت . اما « كهطبو » التي ارجعها جام إلى (طاب) فلا تستقيم مع الجو العام للنقش . ونتصور أن ذلك العمل له علاقة بالمهمة التي كلف بها (بهأ تهمو) في السهرة إذ عادوا بعد ان(هطبو) لهم دوأت ، ربما بعد أن رصدوا أو انذروا دوأت . ولقد اوردنا ما تقدم لمجرد لفت النظر إلى حاجة النقش إلى دراسة جديدة .
١٧٣) هبربو عوفهمو: «انظر مادة عوف في اللسان» وقد جعلنا هبربو التي تدل على القطع (قضوا) وجعلنا العوف هنا (الحاجة) (قارن ترجمة جام للفقرة) على أن العوف بمعنى الضيافة ايضاً وارد ويوحي الينا بان وجود التجمع (الوفي) في خولان كان نوعاً من الضيافة

الرسمية التي ضلت آثارها موجودة في شمال اليمن ايام الائمة في صور المكفة والخطاط والتناقيد .

١٧٤) انظر : ٣٥ أ / ٣٣١

١٧٥) انظر : ٤٥ أ / ٤٨٣ — ٤٨٤

سيلاحظ القارىء اننا لم نرجح رأياً في هذا الموضوع لأن الاحتمالات كثيرة فيما نعتقد .

١٧٦) انظر : ٤٥ أ / ٤٨٤

٧ — سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت

١٧٧) انظر : ٤٥ أ / ٤٥٦ و ٤٩٨ و ٣٥ أ / ٣٥٨ وما بعدها و ٣٩٣

١٧٨) يمنت : يجعلها جام (٣٥ أ / ٢٧٣) جنوب سبأ بينما يجعلها فون فسمن (٤٥ ب / ٤٠٢) جنوب حضرموت . ويجعلها جلاسر (انظر ٩ (٢) / ٥٣٠) القسم الجنوبي الغربي من شبه جزيرة العرب . كما أن (يمنت) كما لاحظنا من قبل (هامش ١) هي الجنوب اطلاقاً .

١٧٩) انظر مثلاً : ٩ (٢) / ٥٣١ وما بعدها .

١٨٠) عكوتين (عكوتان) : في أرض زبيد كما يروي ياقوت: معجم البلدان ج ٣ ص ٧٠٧ أنظر ٨ / ٣٣

١٨١) سهرت ليه . . وادي ليـه : « من اودية السراه »١٧ب / ٧٣ « ومأتيه من خولان صعده » ٢ / ٥١

١٨٢) يبدو لنا أن هذا النقش (جام ٦٥١) بحاجة إلى معالجة جديدة (انظر محاولة جام ٣٥ أ / ١٥٥ — ١٥٦) . ونقدم فيما يلي تصوراً جديداً اعتماداً على الجو العام للنقش في نفسه :

(١) ان المقتوي صاحب النقش يتقرب إلى المقة لأنه (بذت) اعانه تجاه (هعن وستعن) هو وقبيلته واتباعه (نظر هو ؟) وجند عصابتهم منه (س ٩ — ١٢) .

(٢) والسؤال مم تجاه ؟

والجواب : « من ودقت وعقر البيتين بيت همدان وبتع » (س ١٢ — ١٣) فماذا تعني هذه العبارة ؟ جام لا يربطها بـ (همن ومتمن) ولهذا ذهب مذهبـــاً آخر . ونحن نعتقد أن « ودقت » تدل على انهيار حدث للبيتين (انظر مـــادة ودق في اللسان) و « عقر » ستكون تابعة لها .

(٣) وذلك عندما (بكن) نزلوا واقاموا (ختتنوا) بهذين البيتين (س ١٣ — ١٤) . ان « ختن » تعني المصاهرة ولا شك وهذا ما اعتمد عليه جام . ولكنها هنـــا تأتي « ختتنو بـ ... » ، ومن ثم يبدو لنا أن هناك معنى آخر قديم للكلمة شبيه بالمعنى الآخر لكلمة (عرْس) في مثل قول الشاعر :

ومنـــاخ غير ثئية عرسته

قمن من الحدثان نابي المضجع

وهكذا فقد أوحى لنا الجو العام والقرائن أن النقش يتحدث عن نجاة من خراب بالمنزلين الذين نزل بهما صاحب النقش ومن كان معه .

(٤) وقد حدث ذلك عندما (بكن) كلفه سيده شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان بالمراقبة والعمل (لنظر وتنصفن) بمدينة مارب الحاضر (حضر) أبهي (س ١٤ — ١٧) . ويبدو أن قـــدوم ذلك الشهر في مارب كان يصحبه تجمع من القبائل المحيطة بها واعراب الصحراء القريبة في انتظـــار السيول . وربما كانوا ايضاً يحتفلون بالموسم كما يفعل الاحباش إلى الآن في عيد الصليب (المسقل) الذي يوافق موسم نزول المطر . وقد كلف المقتوي واتباعه بالذهاب إلى هناك للمراقبة وللقيام باي اعمال قد يتطلبها الموقف .

(٥) وقد نزلت الامطار في اليوم التاسع المعتاد (عهدتم ؟) . وفي اول الشهر وثانيه نزلت امطار غزيرة (ذعسم = جيده) وانهـار (وودقي) البيتان المذكوران (همي بلتنهن) التابعين لهمدان وبتع

(ذهمدان وبتع) من جراء ذلــك المطر (من هوت دمن) فمحمد المقتوي عبدعم حول ومقام المقه لنجاته ومن ممه دون ان يفقدوا من اشرعهم (؟) كبير رحل (س ٢١–٢٧) . وهناك صعوبة في شرح العبارة الأخيرة : بن اشرعهم كبر رحلم (انظر محاولة جـام ٣٥أ / ١٥٦ / س ٢٦) ولكنها فيما نعتقد تعني ان خسائرهم لم تكن كبيرة. والرجل كما نعلم هو من جملة عدة البعير والراحلة هي الناقة.

(٦) وهنا نأتي إلى اكثر الاجزاء صعوبة « ووزأو / أسيهو / لن / برثوا / عقر / بيتهن » (انظر محاولة جام نفس المرجع اعـلاه) . ولكننا نعتقد ان عقر ليس إسماً أو وصفاً لبشر وإنمـا هو شيء يتعلق بالبيتين أي المسكنين اللذين انهارا . ولا بد ان العبارة تعني انهم واصلوا العمل حتى نبشوا انقاض المنزلين .

(٧) ثم تبدأ فقرة جديدة بكلمة (بكن) أي عندما . وقــد يربط المرء بين هذه الفقرة والعبارة السابقة لها مباشرة كما فعل جام ولكننا لا نرى ذلك ضرورياً. ونعتقد ان النقش ينقسم اساساً إلى قسمين رئيسيين يحكي كل واحد منهما ويتناول جانباً معيناً وإن تداخلا :

القسم الاول (س ١٣–٢٨) هو قصة البيتين التي تبدأ بـ (بكن) الاولى (س ١٣) وهــي قصة عارضة حدثت لهم اثناء تكليفهم بالذهاب إلى مارب للمراقبة والعمل . ولعل البيتين المذكورين كانا ببلاد همدان وليس بمارب وقد مروا بهما في الطريق . بل ان هذه الامطار الغزيرة قد ترجح انها حدثت في المرتفعات الغربية ، هـذا مجرد احتمال .

والقسم الثاني (س ٢٨–٣٣) وهو قصة الاعمـال التي كلفوا بها في مارب وهي المهمة الاساسية او لعل هذه مهمة أخرى إذ أنه يقول: ان الملك (ملكن) كلفه بان يقود جيش سبأ لانقاذ وبناء اسوار

وابراج مدينة مارب وان يقيم لهـــا مظرفاً (مظرفن) يحميها من الامواج .
يبدو أن « مظرفن » نوع من المنشآت الـــتي تقام لصد المياه أو تصريفها (قارن م ٥٤٠ / ٢٩) .

١٨٣) انظر : ٣٥ أ / ٣٧٢–٣٧٣ و٤٥ ب / ١٩٩

١٨٤) انظر : نص المسند المذكور في ١ / ١٨٤–١٨٨

١٨٥) يحمل فون فسمن نشد إل هذا شخصاً : ٤٥أ / ٤٨٧ ولكنه يصعب قبول نسبة العشائر إلى اسم قائد عسكري واحد والارجح عندنا أن نشد إل اسم للعشائر نفسها .

١٨٦) انظر تلخيص فون فسمن لنقش شرف الدين ٤٢ في ٤٥ أ / ٤٨٧

١٨٧) ٣٥ أ / ٣٧٤

١٨٨) في النص نجد عبارة « وإل نفصو » . و « نفص » وردت في نقوش كثيرة منها (ك ١٣) حيث جعلناها (اهـــلّ) ومنها (شرف الدين ٤٨) حيث يبدو أن دكانز (كما يروي فون فسمن) جعلها إسماً بمعنى طليمة (٤٥ أ / ٤٤٨) . وفي هـــذا النقش (ك ٣٢) يبدو ان سعد تالب اراد ان يقول انه لم يحضر لديه أو لم يذهب معه إلا هذا العدد القليل نسبياً من المقاتلين لابراز قوة مقاتليه وشجاعتهم باقدامهم على غزو حضرموت ومنازلة الاعداد الكثيرة من أهلها . ومثل هذا نلمسه في (جام ٦٦٥) .

١٨٩) يقول الهمداني (١٧ ب / ٨٥) : « وكان بحضرموت الصدف من يوم هم ثم فاءت إليهم كنده ..... والصيعر قبيلة من الصدف » . والصيعر لا يزالون حيث هم في الاجزاء الشمالية من حضرموت في الجول الشمالي حيث لا تزال تقوم ريدة الصيعر التي ذكرها الهمداني وفي اطراف الربع الخالي الجنوبية الغربية . وينسب الهمداني عندل التي يصفها بانها مدينة عظيمة إلى الصدف . وعندل لا تزال باقية إلى

اليوم . ويظهر ان ديارهم امتدت إلى المجرين .

١٩٠) نجش: نجش الشيء استثاره واستخرجه..وأصل النجش البحث... والمنجش والمنجاش الوقاع في الناس (اللسان مادة نجش) .

١٩١) سيبان قبيل كبير يسمى في الاصطلاح القبلي (الزي) مثل الحوم يجمع عدداً من القبائل . وقد تكرر ذكر هذه القبيلة في النقوش السبئية المعروفة منذ عهود المكربين (ف ٣٩٤٥) إلى ساعة الغزو الحبشي (م ٦٢١) وديارها حالياً من الجنوبي الغربي فيما بين الوادي والساحل . ويبدو انها كانت تمتد إلى الساحل عند قنا كما نفهم من النقشين المذكورين .

١٩٢) انظر : ٤٥ أ / ٤٩٨ حيث يقدمه فون فسمن على العهد المشترك لياسر يهنعم وابنه ذرا أمر ايمن .

١٩٣) انظر ٢٧ ج

١٩٤) ان تقدم عهد ثاران يهنعم إلى حوالي ٣٢٠ م يجعل من المحتم تقديم العهود المتفق على تقدمها عليه بما فيها عهد شمر يهرعش .

١٩٥) يقول ارفن (٣٤ / مادة حبشت) : (ان نظرية الاحتلال الحبشي لليمن بعد عهد شمر يهرعش قد اسقطت في ضوء النقوش الجديدة) . وهذا فيما نعتقد هو الارجح .

١٩٦) ينسب دروز (انظر ٣٨ مـــادة حبشت) نقش ادوليس (انظر أدناه) إلى سمبروتس الذي لا يعرف عنه شيء إلا نقش دقي محاري ويـذهب إلى أبعد من ذلك حين يجعل سمبروتس هو الملك اليمني شمر يهرعش .

١٩٧) ٤٥ أ / ٤٨٧

١٩٨) أما نقش ادوليس الذي تكررت الاشارة اليه في ثنايا الكتاب فقد نسخه في القرن السادس الميلادي يوناني اسمه كوزمـــاس في ميناء ادوليس (عدول) وقد وجده مكتوباً على عرش من المرمر باللغة

اليونانية وفيه يتحدث ملك اكسومي لم يعرف اسمه عـن فتوحاته التي بلغت شمالاً حدود مصر وشملت بلاد البجة وامتدت جنوبـاً إلى ارض الصومـال وبلغت شرقاً المنطقة التي يدعوهـا النقش « الكنايدو كو لبتاي » في الساحل العربي المواجه (انظر ٨ / ٢٧ — ٢٨) .

١٩٩) انظر ٤٥ أ / ٤٧٢ والخارطة وتعليقة (ص ٤٧٣) .

٢٠٠) ٤٥ أ / ٤٩٢

٢٠١) انظر : ٣٥ أ / ٣٨٥ والنقشين (جام ٦٧٠ و ٦٧١)

٢٠٢) غير واضح المقصود تماماً بـ (مرأسمين) . وهناك من يعتقد أن المسيحية دخلت اليمن في حوالي (انظر) .
ولكن يبدو لنا أن هـذه التعابير حدثت نتيجة لتغلغل يهودي لا مسيحي .

٢٠٣) انظر : ٩ (٢) / ٥٦٩

٢٠٤) ٢٧ ب /

٢٠٥) منكث : انظر ١٧ ب / ٥٥ و١٠١

٢٠٦) هناك ايضاً طريق يمتد من مرتفعات اليمن الخضراء كثيفة السكان إلى الشمال . ويطلق على الجزء الشمالي منه على الاقـل بني خيوان وريع المنهوت شمال الطائف اسم درب اسعد الكامل. (٤٥ أ / ٤٩٣ عن فلبي) .

٢٠٧) انظر : ٩ (٢) / ٥٦٩

٢٠٨) ١٧ أ (٢) / ٥٧

٢٠٩) وادي ماسل الجمح : انظر ١٧ ب / ١٦٥

٢١٠) تعليق على نقش شرحبيل يعفر (انظر ٢٧ أ /) :
« اشتمل النقش على بضعة الفاظ يجد الشارح صعوبة في شرحها كما يقول جاد بيني في عدة مواضع من ترجمته له . ومنها الالفـاظ

الآتية التي وضعناها بين (اقواس) اثناء الشرح :

أ) ففي السطر الرابع تأتي أصعب هذه الالفاظ في عبـــارة يقول عنها جاد بيني انها « تقدم صعوبة ملحوظة عند ترجمتها » واكتفينا بالفهم العام المستنتج من كلمتي (جير) و (اقدمن) فيها .

ب) وفي السطر الخامس نجد عدة عبارات والفاظ تستحق التأمل منها كلمة (ربعتم) التي يبدو انها مرتبطة بالكلمة السابقة التي لم يبق منها إلا حرفا الميم الاول والأخير . وربعتم تعني غالبـــاً حجارة مربعة وقد يكون هذا وصفاً للحجارة التي استخدمت في البناء .

أما عبارة (الهجم مودلم) فيعتمد شرحنا لها على أن (اللهج) في اليمن الجنوبية هو النافذة وان (مودلم) إنما تصف اللهوج (الهجم) . ووجدنا في اللسان تحت مادة (أدل) انهـــا تعني فيا تعني الاغلاق واستنتجنا أن ذلك يعني أن نوافذ القصر هي من النوع الذي يفتح ويغلق .

وعبارة « نعيوه شرعتم » لم نجد من السياق العام ما يوحي باعمـال تتعلق بالميـــاه كما قد توحي كلمة « شرعتم » وفضلنا المفهوم الآخر للكلمة الذي يدل على البروز والانفتاح على الطريق . ومن ثم جـاء الشرح بما قد يوحي بان التماثيل إنما وضعت في هيئة افريز بارز حول القصر ربما من اعلاه .

ولفظة «عصبيم» جاءت وصفاً لـ «اورم» لتميزها عن بقية التماثيل. ورغم غرابـــة اللفظ إلا أن تكراره في السطرين (٧و٩) يسهلان الفهم، فعصبيم هنا هي للدلالة على أن الثيران (مثل الاعمدة في س٩) منحوتة من الحجر بعكس بقية التماثيل التي صبت من معدن«ذذهيم». وقد قارب جار بيني المعنى حين اورد المقابل العبري للكلمة .

ج) وفي السطر السادس شرحنا كلمة (معهرتم) اعتماداً على ما جاء في نسخة خطية للجزء الثامن من الاكليل نبهنا إليها الاستاذ مطهر

الارياني مشكوراً .

د) وفي السطر السابع لم نحاول ايراد مقابل للفظة « مسودن »، ونعتقد انها تعني هنا البهو الرئيسي أو القاعة الرئيسية بالقصر .

هـ) وفي السطر الثامن اخذنا باعتبار وتن تقابل وثن.. اما «مظلن» فاخترنا عبارة « الجزء المسقوف » لشرحـــها إذ بدا لنا أن النقش يتحدث عن الاعمدة المنحوتة ، وربما المزخرفة ايضاً ، التي اقيمت في الجزء المسقوف أو المظلل ربما من البهو أو القاعة ، خاصة وأن هنا ضميراً عائداً ، في عبارة « ووتنو بهو » ، إلى مظلن .

٢١١) (كقرن بعلي نجران) في السطر السادس ترجمها جام(٣٥ ج / ٤١) بـ « عندما قاتل ضد نجران » . وكان قد فسر (مقرنة) في السطر الرابع في عبارة (وعلى حرب ومقرنة نجران) بـ « تغلبوا عــلى مقاتلي نجران ووحداتها العسكرية» . وقــد جعلنا مقرنة (احتلالاً) لأننا نرى قبائل من خارج نجران ذهبت إلى هناك وبقيت كما يظهر مرابطة بها توقعاً لهجوم حبشي . ومقرنة عــادة تدل على المرابطة العادية ولكن هذه مرابطة في منطقة معادية .

٢١٢) نقر : يجعل جام (٣٥ ج / ٥١) نقرم = قوات ضارية .. من نقر. ويمكن ايضاً اعتبارهم سلاحاً معيناً في الجيش كالرماة مثلا من نفس مادة اللفظ « نقر » .

٢١٣) يجعل جام ربهد لقبا لتميم (٣٥ ج / ٥٥) واعترض ريكمانز عــلى ذلك في مقــــال نشره في (ببليوتيكا اورينتالق) السنة ٢٦ العدد ٣/٤ مايو — يوليو ١٩٦٩ ص ٢٤٨ . ونحن نستبعد أن تكون هناك صلة بين تميم وربهد (ربهود) .

٢١٤) عما جــاء في القرآن الكريم والروايات العربية التي نسجت حــول قصة الاخدود . انظر : ٨ / ٤٨ – ٥٥ .

٢١٥) سبق أن أشرنا إلى الاختلاف حــول وقت دخول المسيحية اليمن

وكانت بعض المصادر قد نسبت ذلك إلى القرن الرابع (انظر : ٨ / ٣٧ مثلاً) . ومن النقش (جام ١٠٢٨) نرى أن هناك كنيسة في ظفار وفيها احباش . ويظهر على اي حال أن المسيحية بلغت اليمن قبل الحملة الحبشية الاخيرة ربما بعد شرحبيل يعفر أن لم تكن وجدت لها جيوب في اليمن قبله .

٢١٦) ٨ / ٥٦

٢١٧) ٤٠ / ١٨٩ يلخص بروكوبيوس الوضع في اسطر منذ سماع ملك الحبشة بتعذيب المسيحيين في اليمن إلى الغزو وقتل ملك حمير وكثير من الحميريين إلى تنصيب ايسيميفيس (سميفع) الحميري المسيحي ثم ثورة بقايا الاحباش عليه مع آخرين وعزله في قلعة وتنصيب ابراموس (ابرهة) .

٢١٨) ٨ / ٥٧ و ٦٠

٢١٩) انظر : ١ / ١١٧

٢٢٠) ٩ (٣) / ٤٩٧

٢٢١) ٩ (٣) / ٥١٠

٢٢٢) ٨ / ٦٥

٢٢٣) ٩ (٣) ٥٢٢ وما بعدها و ٨ / ٦٨

٢٢٤) ٦ (٣) ٥٢٦ و ٨ / ٦٩

القسم الثاني

١ – اليمن واكسوم

٢٢٥) ١٤ / ٣٣ و ٣٤ / « مادة حبشت »

٢٢٦) ٨ / ٣٦

٢٢٧) انظر : ٣٣ / ٧ وقارن بما جاء في ١١ / ١٣٧ وما بعدها . على أن

اشهر رحلة بحرية كانت تلك التي امرت بها الملكة حتشبسوت إلى بلاد بونت (حوالي ١٤٩٠ ق.م)

٢٢٨) ٤٣ / ٤٧
٢٢٩) ٤٣ / ٤٩
٢٣٠) ٤٣ / ٥١
٢٣١) ١٢ / ٢١٤
٢٣٢) انظر : ١١ أ / ٣٣ و ٨ / ١٠ و ٣٤ / « مادة حبشت »
٢٣٣) ١٢ / ٢١٤ (جدر ملك اكسوم)
٢٣٤) ١٢ / ٢١٥
٢٣٥) ١٢ / ٢١٥ و ٨ / ٨
٢٣٦) ١٢ / ٢١٦

٢ — البخور والطرق التجارية

٢٣٧) ٣٩ / كتاب ١٢ الفصول ٣٠ — ٣٢
٢٣٨) ٢٣ أ / ٣٩
٢٣٩) ٣٥ ب / ص ٣ و ٣ / ٢٠ — ٢٢
٢٤٠) ٣٩ / كتاب ١٢ الفصول ٣٣ — ٣٥
٢٤١) انظر : ٤٥ أ / ٤٣٨ عن بليني
٢٤٢) ٣٦ / فقرة ٢٤
٢٤٣) ٢٣ أ /
٢٤٤) ٣٧ أ / ٥٤
٢٤٥) ٤٥ أ / ٤٩٣
٢٤٦) ٣٣ / ٨
٢٤٧) انظر : ٣٣ / ٩ حيث يشير الحوراني إلى ذكر سبأ وعدن وقنا من (حزقيال ٢٧ : ٢٣) . . ويقول أن الملاقـــات التجارية التي

ذكرت هناك كانت غالباً عن طريق البر.. ولكن علينا أن نتذكر أن عدن وقنا ميناءان .

٢٤٨) انظر : ٣٣ / ٢١ عن اجاثر خيدس

٢٤٩) انظر : ٣٣ / ٢٤ وما بعدها

٢٥٠) انظر : ٣٣ / ٣٠

٣ – طرق الري القديمة

٢٥١) ٧ / ١٢٢

٢٥٢) انظر : ٢٤ / ٩

٢٥٣) ٢٣ ب / ٦٣

٢٥٤) ٢٣ ب / ٦٣ – ٦٤

٢٥٥) ١١ / ١٧٥

٢٥٦) سورة سبأ (الآيات = ١٥ – ١٨)

٤ – المسند

٢٥٧) ١٥ / ٢٤٣ – ٢٤٤

٢٥٨) ١٢١ أ / ١

٢٥٩) انظر : ٩ (٨) / ٢١٤

٢٦٠) ٣٨ ب / ١٨٠

٢٦١) مادة مسند

٢٦٢) ٢١ أ / ٨ (٣ : ٩)

٢٦٣) ٢١ / ١

٢٦٤) انظر : ٩ (٨) / ٥٦٢

٢٦٥) ٢١ / ٦ (٢ : ٤)

٢٦٦) انظر : (كتاب تأثر العربية باللغات اليمنية لهاشم الطعان ، بغداد ١٩٦٨) . العسيب في اللغة : جريد النخل كشط خواصها .

٢٦٧) ٢١ / ٢

٢٦٨) ١٠ / ٣

٢٦٩) ٢١ / ٥ (٢ : ١)

٢٧٠) ٢١ / ٥ (١ : ٧)

٢٧١) ٢١ / ٣ (١ : ٢)

٢٧٢) ٢١ / ٣

٢٧٣) ٢١ / ٦ (٢ : ٥) النقش) م ٣٥٣)

٢٧٤) راجع ٢١ / ٦ وما بعدها

٢٧٥) ٢١ / ٧ (٣ : ١)

٢٧٦) ٢١ / ١٠ (٣ : ١٦)

٢٧٧) ١٨ / ٦٢

٥ — ديانة اليمن قبل الاسلام

٢٧٨) ١٤ ب / ٢١١

٢٧٩) ١٤ ب / ٢١٤

٢٨٠) ١٤ ب / ٢٣٠

٢٨١) ١٤ ب / ٢٢٨

٢٨٢) انظر : ٢٢ / ٩٧ نقش ١٠٢ مثلا .

٢٨٣) انظر : (جام ٥٥٥) مثلا .

٢٨٤) ٥ / ١٦٣

٢٨٥) ٣ / ٨٧ و٨٨

٢٨٦) يذكرنا هذا بعادة « التخميس » عند العامة في مصر اتقاء شر العين .

المراجع

(١)

الارياني ، مطهر علي : في تاريخ اليمن ، القاهرة ١٩٧٣ .

(٢)

الاكوع الحوالي ، محمد علي : اليمن الخضراء مهد الحضارة ، القاهرة ١٩٧١ .

(٣)

بافقيه ، محمد عبد القادر : آثار ونقوش العقلة ، القاهرة ١٩٦٧ .

(٤)

توفيق ، محمد : آثار معين في جوف اليمن ، القاهرة ١٩٥١ .

(٥)

جرومان ، د. ادولف : الناحية الاثرية لبلاد العرب الجنوبية — الفصل الرابع من كتاب التاريخ العربي القديم ص ١٥٠ — ١٧١ — ترجمة الدكتور فؤاد حسنين علي — القاهرة ١٩٥٨ .

(٦)

الحميري ، نشوان بن سعيد : ملوك حمير واقيال اليمن — وشرحها — تحقيق وتعليق : علي بن اسماعيل المؤيد واسماعيل بن احمد الجرافي ، القاهرة ١٣٧٨ هـ .

(٧)

رودوكناكس، د. لويس : الحياة العامـــة للدول العربية الجنوبية — الفصل الثالث من كتاب التاريخ العربي القديم ص ١١٣ — ١٤٩ — ترجمة الدكتور فؤاد حسنين علي — القاهرة ١٩٥٨ .

(٨)

عابدين ، عبد المجيد : بين الحبشة والعرب ، (دار الفكر العربي) القاهرة .

(٩)

علي ، د. جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام — ثمانية اجزاء ، بيروت — بغداد ١٩٧٠ .

(١٠)

غويدي ، اغناطيوس : المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة ، القــاهرة ١٩٣٠ .

(١١)

فخري ، د. احمد : دراسات في تاريـــخ الشرق القديم — الطبعة الثــانية ، القاهرة ١٩٦٣ .

(١٢)

موسكاتي ، سبتينو : الحضارة السامية القديمة — ترجمة د. السيد يعقوب بكر ، القاهرة .

(١٣)

نامي ، د. خليل يحي :
(أ) نقوش خربة معين ، القاهرة ١٩٥٢ .
(ب) نقوش خربة براقش (المجموعة الثالثة) — فصلة من مجلة كلية الآداب الجزء الثاني المجلد ١٨ ديسمبر ١٩٥٦ — القاهرة ١٩٥٩ .

(١٤)

نيلسون، د. د يتلف :

(أ) تاريخ العلم ونظره حول المادة — الفصل الاول من كتاب التاريخ العربي القديم ص ١ — ٥٤ — ترجمة د. فؤاد حسنين علي — القاهرة ١٩٥٨ .

(ب) الديانة العربية القديمة — الفصل الخامس من نفس الكتاب ص ١٧٢ — ٣٤٤ .

(١٥)

ولفنستون ، اسرائيل : تاريخ اللغات السامية : القاهرة .

(١٦)

وولي ، سير ليونارد : مدخل إلى علم الآثار — ترجمة د. حسن الباشا ، القاهرة ١٩٥٦ .

(١٧)

الهمداني ، ابو محمد الحسن بن احمد :

(أ) الاكليل، الجزء الثامن — تحقيق الاب انستاس الكرملي، بغداد ١٩٣١ .

(ب) صفة جزيرة العرب — تحقيق محمد بن عبدالله بن بليهد النجدي ، القاهرة ١٩٥٣ .

(١٨)

هومل ، د. فرتز : التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية — الفصل الثاني من كتاب التاريخ العربي القديم ص ٥٥ — ١١٢ ترجمة د. فؤاد حسنين علي ، القاهرة ١٩٥٨ .

(١٩)

ALBRIGHT, W.F. From the Stone Age to Christianity, Baltimore, 1967 ed.

(٢٠)

BEEK, G.W. van, COLE, G.H. and JAMME, A. An Archaeological Reconnaissance in Hadramaut, South Arabia, a preliminary Report, Smithsonian Institution Report. 1963, 1964, pp. 525 - 34.

(٢١)

BEESTON, A.F.L. :

a) A Discriptive Grammar of Epigraphic South Arabian, London, 1962

b) Epigraphic South Arabian Calenders and Dating, London, 1956.

(٢٢)

Bent, J.T., South Arabia, London, 1900.

(٢٣)

Bowen, R. Le Baron and Albright, F.P. Archaeological Discoveries in South Arabia, Baltimore, 1958.

a) Irrigation in Ancient Qataban (Beihan) page 43 ff.

b) Ancient Trade Routes in South Arabia page 35 ff.

(٢٤)

Caton-Thompson, G. The Tombs and Moon Temple of Hureidha (Hadhramaut), Reports of the Research Committee of the Society of Antiquities of London XIII, Oxford, 1944.

(٢٥)

Conti Rossini, C. Chrestomathia arabica meridionalis epigraphica, Rome, 1931.

(٢٦)

Fakhry, A. An Archaeological Journey to Yemen, Service des Antiquités de l'Egypte, I-III, Cairo, 1951-2.

(٢٧)

Garbini, G. Annali dell'Istituto Orientale di Napoli, Napoli.

a) Una Nouva Inscrizione di Sarahb'il Ya'fur, Nouva serie XIX (29), 1969. pp. 559-566.

b) Una Bilingue Sabaea - Ebraica da Zafar, Nouva serie XX (30), 1970, pp 153-165

c) (- e Aliryani, M.) A Sabaea - Rock engraved Inscription at Mosna'. Nouva serie XX (30), 1970, pp. 405-408.

(٢٨)

Ghul, M.A. New Qatabani Inscriptions, II, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, 1959, pp. 419-39.

(٢٩)

Halfritz, Hans. Land Without Shade, trans. by Kenneth Kirkness, London, 1955.

(٣٠)

Hamilton, R.A.B. The Kingdom of Melchior, London, 1949.

(٣١)

Harding, G. Lankester. Archaeology in the Aden Protectorates, London, 1964.

(٢٢)

Herodotus, The Histories (Pinguin Classics) London, 1968

(٢٣)

Hourani. G. Arab Seafaring. Princeton, 1951.

(٢٤)

Irvine, A.K. Habasat, Encyclopaedia of Islam.

(٢٥)

JAMME, A.

a) Sabaean Inscriptions from Mahram Bilgis (Mârib), Baltimore, 1962.

b) The Al-Uglah Texts, Washington, 1963.

c) Sabaean and Hasaean Inscriptions from Saudi-Arabia Rome, 1966.

(٢٦)

Periphus of the Erythrean Sea, Trans. and annotated by W.H. Schoff, New York, 1912.

(٢٧)

PHILBY, H. St. JOHN.

a) Sheba's Daughters, London, 1939.

b) The Background of Islam, Alexandria, 1947.

(٢٨)

PHILLIPS, W.

a) Qataban and Sheba, London, 1955.

b) Unknown Oman, London, 1966.

(٢٩)

Pliny, The Natural History.

(٤٠)

Procopius, The History of Wars.

(٤١)

Schoff. W.H. trans. The Periplus of the Erythraean Sea, New York 1912.

(٤٢)

Strabo. The Geography of Strabo.

(٤٣)

Ullindorf. E. The Ethiopians London. 1965 ed.

(٤٤)

Wellested. J.R. Travels in Arabia. London. 1938.

(٤٥)

Wissman. Hermann v.

a) Himyar Ancient History, Le Muséon 77. 3-4. 1964. pp. 429-98.

b) Zur Geschichte und Landskunde von Alt-Sudanabien. Wien. 1964.

فهارس للقسم الأول :
(في الممالك اليمنية القديمة)

١ ـ فهرس الاعلام

(ب)

(ت)

(ث)

٢ ـ فهرس الدول والشعوب والقبائل والجماعات

٣ ـ فهرس الاماكن

(ش)

الفهرس

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير -
ت ٨٠٧٩٠٠/١ برقياً «موكيالي»
بيروت - ص.ب ١١/٥٤٦٠ بيروت
تلكس LE/DIRKAY ٤٠٠٦٧ .